د. نبيل فاروق



العقرب

رواية

الكتاب الأول



العقرب

البداية كانت فى نهاية الثمانينيات، وبداية التسعينات، من القرن العشرين..

الفساد كان قد بدأ يضرب جذوره فى المجتمع بعمق..

والقانون كان يقف عاجزاً عن مواجهته، فى الكثير من الاحيان..

ومن هنا، ابتكرت شخصية (العقرب) ..

شخصية أسطورية، تحمل خلف قناع صاحبها بحثاً عن جواب لسؤال محيّر..

أيهما أكثر أهمية؟!.. القانون؟!.. أم العدالة؟!..

وكانت أوّل سلسلة تهاجم الفساد، من خلال رمز واحد.. رمز (العقرب)..

وعندما جاءت فكرة جمعها فى كتابين كبيرين، وجدت أن أسلوب بداياتها يمكن تعديله، أو إعادة صياغته لغوياً، دون الإخلال بالمعنى والهدف والمضمون..

ولكننى استقربت، على أنه من الأفضل أن يتم تقديمها كما هى..

كما تمت كتابتها، منذ أكثر من عقدين من الزمن..

وهكذا ظهرت إلى الوجود..

فـ (العقرب) ليس مجّرد سلسلة .. إنه تاريخ..

والتاريخ لا يصح تعديله، أو حتى تحسينه..

ولست أدرى ما إذا كان قرارى صائباً أم لا ..

احكموا أنتم.

د. نبيل فاروق

العقـــرب

الكتاب الأول

العقرب

•

رواية من الأدب البوليسي

•

إن جميع ما تقدمه (سبارك) هو مصنفات عربية مائة في المائة لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس أو النقل عن أي قصص أوربية أو أمريكية.

•

إشراف
م. سند راشد
د. تامر إبراهيم

•

تصميم الغلاف
أحمد مراد

•

الإخراج الفني
م. أحمد محمد أحمد

•

مراجعة لغوية
أبو عبد الرحمن الخولي

•

بقلم
د. نبيل فاروق

•

سبارك للنشر والتوزيع

•

•

رقم الإيداع/ 2012/ 20803



www.spark-books.com

د. نبيل فاروق

العقــــرب

الكتاب الأول

سبارك

عندما يعجز القانون البشرى عن القصاص..

عندما تحيط العدالة عينيها بعصابة سميكة..

حينما يرتفع ذلك الحاجز بين العدالة والقانون..

عندئذ يهب هو للقتال، حاملاً ذلك الاسم، الذى

يثير الرجفة فى قلوب أعتى المجرمين..

اسم (العقرب).

الرواية الأولى

سيف العدالة

سيف العدالة



1- المجرم..

"خطأ أيها الرائد.. خطأ".

صاح وزير الداخلية المصرى بهذه العبارة وهو يضرب سطح مكتبه في قوة وغضب، موجهًا حديثه إلى شاب طويل القامة، نحيل، وسيم الطلعة، قصير الشعر، يقف أمامه هادئًا، حازم القسمات، صارم الملامح، تطل من عينيه العسليتين نظرة صلبة، تشف عن قوة شكيمته، وشدة عناده وإصراره، وهو يستمع إلى وزير الداخلية الذي استطرد ثائرًا:

- إنك ترتكب الأخطاء القانونية فى سرعة تجعلك تفوق المجرمين أنفسهم.

قال الشاب في برود حازم:

- القانون يقف حائلاً بيني وبين العدالة يا سيدي.

صاح وزير الداخلية:

- خطأ أيها الرائد.. من الضروري أن تنتزع تلك الفكرة الحمقاء من رأسك، وتلقي بها جانبًا، فالقانون هو العدالة، والعدالة هي القانون.

قال الشاب في حدة واضحة:

- كيف يا سيدي؟ إننا نقضي عدة أشهر في جمع التحريات عن جريمة ما، وبعد أن يعمل رجالنا ليل نهار يتضح لنا أن شخصًا ما خلف كل هذه الجرائم، وعلى الرغم من ذلك فنحن نعجز عن الإيقاع به، وإلقاء القبض عليه؛ لأننا لم نضبطه متلبسًا، أو لأنه يحوز حصانة قانونية، أو حتى لأنه شديد الحرص والحذر، وعلى الرغم من ثقتنا في أنه قاتل أو تاجر سموم فإننا نترك له مطلق الحرية، ونكتفي بمراقبته، ونحن ندعو الله (سبحانه وتعالى) أن يوقعه في أيدينا.. أية عدالة هذه؟

عقد وزير الداخلية حاجبيه، وهو يقول فى شدة:

- العدالة التي كفلها القانون أيها الرائد.

ثم لوح بكفه في حنق، وراح يقلب عدة أوراق في ملف ضخم أمامه وهو يستطرد محنقًا:

ماذا أفعل بك؟ إن ملفك يؤكد تفوقك فى كلية الشرطة، ونجاحك بدرجة جيد جدًا، وتقاريرك كلها تشير إلى ذكائك ومهارتك، إلا أن أيًا منها لم يمنحك تقديرًا ممتازًا لسبب واحد.

عاد يضرب سطح مكتبه بقبضته مستطردًا:

- إنك لا تحترم الإجراءات القانونية.

غمغم الشاب فى برود:

- ولكننى أحترم الحق والعدالة.

بدا الغضب على وجه وزير الداخلية وهو يقول في حدة:

- يا للفلسفة السفسطائية!!

ثم أشار إلى صدر الشاب الذي يرتدي حلة مدنية، وهتف:

- اسمع أيها الرائد.. إنك تتمادى كثيرًا وتتجاوز حدودك على نحو بالغ الخطورة.. أتعلم ما الذي فعلته الليلة؟ لقد هاجمت عضوًا بارزًا بمجلس الشعب، وهددته بالقتل أمام شهود، و...

قاطعه الشاب في صرامة:

- إنه واحد من أكبر تجار المخدرات في (مصر)، ولقد تسببت سمومه في قتل طفل في العاشرة.

صرخ وزير الداخلية:

- لا شأن لك في هذا.

وعاد يلوح في وجه الشاب بسبابته في حنق، مستطردًا:

- اسمع أيها الرائد.. هذا آخر إنذار لك.. ستتبع القوانين واللوائح بمنتهى الدقة، تمامًا كأي موظف حكومي محترم، وإلا فسأعمل على فصلك من سلك الشرطة كله.. هل تفهمني؟

ران الصمت لحظة، أطلت خلالها صرامة الدنيا كلها من عين الشاب، قبل أن يقول في برود:

- أفهمك يا سيدي.

اعتدل وزير الداخلية، وهو يقول في حدة:

- حسنًا.. انصرف.

أدى الشاب التحية العسكرية في هدوء شديد، ثم دار على عقبيه، وغادر مكتب وزير الداخلية في خطوات سريعة، ولم يكد يغلق بابه خلفه حتى سمع صوتًا أنثويًا يقول في سخرية:

- كيف حال البطل الهمام؟ هل كان العرض المسرحي جيدًا؟

التفت إلى مصدر الصوت في هدوء، وتطلع لحظة إلى صاحبته، ذات القوام المتناسق، والوجه الجميل، التي ترتدي زيًا رسميًا، يحمل رتبة رائد، وقد انسدل شعرها الأسود من أسفل القبعة الرسمية لرجال الشرطة، وبدت عيناها الخضراوان تحملان طنًا من السخرية، وقال في جدية:

- ألا تكفين عن هذا العبث أبدًا أيتها الرائد (غادة)؟

أجابته في سخرية، وهي تعقد حاجبيها على نحو مشابه له:

- وأنت.. ألا تبتسم أبدًا أيها الرائد (نديم)؟

أتاها صوت ضاحك من خلفها، يقول:

- لقد ألقيت هذا السؤال على أمه فأكدت لي أنه قد ابتسم ذات مرة.

التفت الاثنان إلى صاحب الصوت، الذي لم يكن سوى اللواء (حلمي)، مدير المباحث الجنائية، التي ينتمي إليها الاثنان، وهو يستطرد في لهجة أبوية:

- كان ذلك وهو بعد في الثانية من عمره.

اعتدلت الرائد (غادة)، وأدت التحية العسكرية في احترام، وإن لم تستطع منع نفسها من الابتسام، وهي تقول:

- أظنه خداع بصري أصاب عين الأم يا سيدي.

اعتدل (نديم) بدوره، وأدى التحية العسكرية لرئيسه، وهو يقول في صرامة:

- لست أستسيغ هذا اللون من الدعابات أيتها الرائد.

أجابته (غادة) في سرعة وسخرية:

- كما تأمر يا سيادة الرائد العبوس.

ابتسم اللواء (حلمي)، وهو يسأل (نديم):

- قل لي يا ولدي: ماذا فعلت مع سيادة الوزير؟

هز (نديم) كتفيه وهو يقول في هدوء:

- نفس الحوار المتكرر يا سيدي.. لقد صرخ في وجهي، واتهمني بمخالفة القانون، ثم هددني بالفصل.

تنهد اللواء (حلمي)، وهز كتفيه في أسف وهو يقول:

- أظنه سينفذ تهديده يومًا يا ولدي، فعلى الرغم من إخلاصك الشديد لعملك، وكراهيتك للجريمة بكل صورها، فإن حماسك يدفعك دومًا إلى خرق اللوائح والقوانين، وهذا لا يتناسب مع عمل الشرطة.

سأله (نديم) في حزم:

- كيف يا سيدي؟ أليس عملنا هو أن نقيم العدالة؟

أجابه اللواء (حلمي):

- بالقانون يا ولدي.. بالقانون.

ابتسمت (غادة) في سخرية، وهي تقول:

- اطمئن يا سيدي.. إنه لن يتغير أبدًا، ثم إنه لا يخشى الفصل، فوالده مليونير كما تعلم.

التفت إليها (نديم)، قائلًا في صرامة:

- لا شأن لهذا بعملي أيتها الرائد.

رفعت كفها بمحاذاة وجهها، وفردت راحتها، قائلة بنفس السخرية:

- سمعًا وطاعة يا مولاي.

بدا أنه لم يتقبل دعابتها، وهو يشيح بوجهه عنها مغمغمًا:

- يا لك من عابثة!

انعقد حاجباه فجأة في شدة، وهو يتطلع إلى رجل ضخم الجثة، أشيب الفودين، يرتدي حلة تشف عن الثراء وفساد الذوق في الوقت ذاته، غادر مكتب الوزير على التو، واتجه نحوه، والتقت عيناه بعيني الرجل في صرامة، قبل أن يقول الرجل في غضب واضح وشماتة لا تقبل الشك:

- إذن فأنت الرائد (نديم فوزي)، الذي يتجاوز حدوده دومًا.

أجابه (نديم) في صرامة:

- نعم.. وأنت الرجل الخطير (نعمان والي)، الذي يتستر خلف عضوية مجلس شريف؛ ليرتكب أعمالًا أبعد ما تكون عن الشرف.

احتقن وجه (نعمان) في غضب، وهتف:

- إنك تتجاوز حدودك حقًا يا رجل الشرطة.

أجابه (نديم) في برود:

- وأنت تحتاج إلى من يجدع أنفك يا تاجر المخدرات.

ازداد احتقان وجه (نعمان)، وتألقت عينا (غادة)، وهي تتابع الموقف في حماس شديد، في حين هتف اللواء (حلمي) في توتر:

- (نديم).. أنت تتجاوز حدودك حقًا.

بدا وكأن (نعمان) قد انتبه على التو إلى وجود اللواء (حلمي)، وأن هذا قد زوده بقوة إضافية، جعلته ينقض على (نديم)، ويجذبه من سترته في قوة، هاتفًا:

- أسمعت أيها الشرطي؟ إنك تتجاوز حدودك، و...

وفجأة، وقبل أن يتم (نعمان) عبارته ارتفعت قبضة (نديم) في سرعة، وهوت على فك الرجل كالقنبلة..

وتراجع جسد (نعمان) في عنف، وارتطم بحائط الممر المقابل في قوة، ثم سقط أرضًا، واندفعت الدماء من واحدة من أسنانه خارج فمه، في حين اتسعت عينا اللواء (حلمي) في ذهول واستنكار، وازداد تألق عيني (غادة)، وبقي (نديم) هادئًا باردًا، وكأنما لم يفعل شيئًا.

واندفع حارسا مكتب وزير الداخلية نحو (نديم)، وراح (نعمان) يحدق في وجهه في ذهول، قبل أن يصرخ:

- كيف تجرؤ؟ كيف تجرؤ؟

وهب واقفًا، واندفع عائدًا إلى مكتب وزير الداخلية، وهو يحاول منع الدماء النازفة من فمه، على حين هتف اللواء (حلمي) في ذهول واستنكار:

- ماذا فعلت يا (نديم)؟

أجابه (نديم) في حزم:

- لقد كان يستحق هذا.

غمغمت (غادة)، وهي تبتسم في جذل:

- صدقت.

التفت إليها اللواء (حلمي) في دهشة، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه، قائلاً في صرامة محنقة:

- حسنًا.. سبق السيف العزل.. هيا.. غادر هذا المكان، وعد إلى منزلك، وسأرى أنا ما سيفعله السيد الوزير بشأنك.

قال (نديم) في هدوء:

- اسمح لي يا سيدي.. قد...

قاطعه اللواء (حلمي) هاتفًا:

- قلت لك عد على منزلك.

ثم التفت إلى (غادة)، مستطردًا في حدة:

- دعيه يذهب من هنا.

غمغمت (غادة) في سخرية، وهي تتجه إلى حيث يقف (نديم):

- هل ألقي القبض عليه؟

صاح بها اللواء (حلمي) في حدة:

- كفى عبثًا.. هيا.. اذهبا.

أمسكت بيد (نديم)، وقالت في لهجة تهكمية:

- أتتبعني في هدوء؟ أم أحيط معصميك بالأغلال؟

تطلع إليها (نديم) بنظرة باردة، ثم تبعها في هدوء إلى الخارج، وأطلق اللواء (حلمي) من أعماق صدره زفرة قوية، قبل أن يغمغم:

- فليرحمنا الله.

غمغم أحد حارسي الوزير:

- كان ينبغي أن تستبقيه يا سيدي.

التفت إليه اللواء (حلمي)، قائلاً في صرامة:

- لا شأن لك بهذا.

ثم عاد يزفر في قوة، مستطردًا:

- لم يعد لأينا شأن بهذا.



أوقفت (غادة) سيارة (نديم) أمام البناية التي يقيم فيها هذا الأخير، والتفتت إليه قائلة في سخرية:

- آخر محطة أيها الراكب الوحيد.

أجابها في صرامة:

- أأغادر السيارة؟ أم أن أوامرك لا تقتضي ذلك؟

هزت كتفيها، قائلة في استهتار:

- هذا أمر يتعلق بك وحدك.

قال في حدة:

- حقًا! ظننت أنني لم أعد أملك من أمري شيئًا، فأنت صحبتني إلى خارج مبنى الوزارة، وأنت قدت سيارتي.

ابتسمت وهي تهز كتفيها، قائلة:

- لقد أمرني اللواء (حلمي) باصطحابك إلى خارج الوزارة، ثم إنك تملك سيارة رائعة، تمنيت دومًا قيادتها، ولا علاقة لهذا بالقوانين.

غادر السيارة وهو يقول:

- حسنًا.. إلى اللقاء.

سألته مبتسمة:

- ألن تدعوني لتناول قدح من الشاي؟

توقف لحظة، ثم قال دون أن يلتفت إليها:

- إنني أقيم وحدي.

هتفت ضاحكة:

- يا لها من مصادفة! أنا أيضًا أقيم وحدي.

صمت لحظة، ثم قال:

- حسنًا.. قدح واحد من الشاي.

هتفت في جذل:

- أوافق.

صعد الاثنان إلى شقته، وما إن دخلتها (غادة)، حتى ألقت جسدها فوق أول مقعد وثير، وهي تهتف:

- يا إلهي!! أروع ما في الدنيا هو الراحة.

سألها في هدوء، وهو يجلس على المقعد المقابل لها:

- ألم يحذرك أفراد أسرتك أبدًا من الذهاب مع شاب عزب إلى شقته؟

أومأت برأسها إيجابًا، وهي تقول:

- لقد فعلوا، ولكنني أثق بك.

ثم اعتدلت مستطردة في جدية:

- ثم إنني أريد التحدث معك.

سألها في هدوء:

- عن ماذا؟

صمتت لحظة، قبل أن تسأله في اهتمام:

- لماذا فعلت هذا؟

سألها في بساطة:

- ماذا فعلت؟

قالت في مزيد من الاهتمام:

- لماذا لكمت (نعمان)؟

تطلع إليها لحظة في صمت، قبل أن يقول في حزم:

- إنني أكره المجرمين.

لم تنبس ببنت شفة، وهي تتطلع إليه، فأضاف:

- سترين أنني مخطئ.. أليس كذلك؟

ظلت تتطلع إليه في صمت، ثم ابتسمت هاتفة:

- بل أنت رائع.

ثم اعتدلت مستطردة في جدية:

- أنا أيضًا أكره المجرمين.

وانعقد حاجباها في بغض، وهي تتابع:

- لقد قتلوا أمي.

رفع حاجبيه في دهشة، وهم بقول شيء ما، عندما ارتفع رنين الهاتف المجاور له، فالتقط سماعته بحركة آلية، ووضعها على أذنه، قائلاً:

- هنا (نديم فوزي).. من المتحدث؟

أتاه صوت اللواء (حلمي)، وهو يقول في حزن:

- (نديم).. يا ولدي.. لقد صدر قرار وزير الداخلية بشأنك.

سأله في هدوء:

- هل سيخفض رتبتي؟

أجابه صوت اللواء الحزين:

- كلا يا ولدي.. لقد انتزعها تمامًا.

عقد (نديم) حاجبيه، مغمغمًا:

- ماذا تعني يا سيدي؟

أجابه اللواء (حلمي) في صوت يقطر حزنًا:

- لقد فصلك يا ولدي.. إنك لم تعد تنتمي إلينا.. لم تعد تنتمي إلى جهاز الشرطة كله.

• • •

سيف العدالة

2- رجال الشر..

ارتفع حاجبا (غادة) في دهشة، وارتسمت ابتسامة إعجاب على شفتيها، عندما وقع بصرها على (نديم)، وهو يدلف إلى مبنى مديرية أمن (القاهرة)، بعد ثلاثة أيام فقط من الموقف السابق، فاندفعت نحوه هاتفة:

- (نديم).. مرحبًا بك هنا.. لقد تصورت أنك.. أنك...

ارتج عليها، فعجزت عن إتمام عبارتها مما جعله يسألها في هدوء:

- تصورت أنني ماذا؟

ضحكت قائلة:

- تصورت في الواقع أنك لن تطأ هذا المكان بقدميك مرة أخرى.

مط شفتيه، قائلاً:

- لأنهم فصلونني؟! لا يا عزيزتي.. صدقيني.. هذا لا يؤلمني قط.

هتفت:

- هذا هو (نديم) الذي أعرفه.

ثم سألته في اهتمام بالغ:

- ولكن ما سر قدومك؟ لقد انتهت إجراءات فصلك تمامًا، ويقال إنها أسرع إجراءات تمت هنا، في ظروف مماثلة.

أجابها في هدوء:

- جئت للحصول على ترخيص.

سألته في دهشة:

- ترخيص بماذا؟

صمت لحظة، ثم أجابها في هدوء:

- ترخيص بافتتاح مكتب تحر خاص.

حدقت في وجهه لحظة في دهشة، ثم لم تلبث أن أطلقت ضحكة عالية، وهي تقول:

- تحر خاص؟! أين تظن نفسك؟ في أمريكا؟!

أجابها في حزم:

- بل في (مصر)، ولست أول من يحصل على ترخيص كهذا، أتحبين أن أذكر لك أسماء بعض المكاتب؟

ضحكت قائلة:

- لا داعي.. إنني أحفظها عن ظهر قلب.

ثم سألته مبتسمة:

- ولكن ما الذي تتوقع أن تفعله بمكتب تحر خاص هنا؟

رفع رأسه في شموخ، وهو يقول:

- أن أقيم العدالة.

تنهدت وهزت رأسها مغمغمة:

- يا لك من رجل!

ثم عادت تبتسم، قائلة:

- ولكن هل تعلم من المسئول عن منح مثل هذه التصاريح؟

أجابها في هدوء:

- العقيد (مجدي).

ضحكت قائلة:

- وهل تتوقع أن يمنحك إياه؟

صمت لحظة، ثم لم يلبث أن هز كتفيه، وهو يقول في بساطة:

- ولم لا؟

ثم اتجه في ثبات نحو مكتب العقيد (مجدي)، وتتبعته (غادة) بعينيها لحظات، ثم لم تلبث أن هزت رأسها مرة أخرى، مغمغمة:

- يا لك من رجل!

• • •

"مكتب تحر خاص؟!".

لفظ العقيد (مجدي) هذا التساؤل، في مزيج من الامتعاض والاستنكار والدهشة والسخرية، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة متهكمة عريضة، ويقول:

- ولم لا تطلب ترخيصًا بإنشاء لواء مشاة؟

أجابه (نديم) في هدوء:

- ليس هذا من حقي يا سيدي، فألوية المشاة من اختصاص القوات المسلحة.

انعقد حاجبا العقيد (مجدي)، وهو يقول في حدة:

- هل تسخر مني أيها الرائد؟

أجابه في برود:

- لم أعد أحمل هذه الرتبة أيها العقيد!

احتقن وجه العقيد (مجدي)، وقال في حدة:

- مطلبك مرفوض يا (نديم).

عقد (نديم) حاجبيه، وهو يقول:

- لماذا؟ إن أوراقي كلها سليمة، فأنا مصري، من أبوين مصريين وصحيفتي الجنائية نظيفة، و...

قاطعه في شماتة:

- وعنيف إلى حد يكفي لعدم منحك الترخيص.

انعقد حاجبا (نديم) أكثر، فاستطرد العقيد (مجدي) في سرعة:

- وهذا مسجل في أوراق رسمية، مع قرار فصلك من الشرطة.

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة شامتة، وهو يردف:

- إنه رفض قانوني تمامًا.

أجابه (نديم) في برود صارم:

- ولكنه ليس عادلاً.

وازدادت ابتسامة العقيد (مجدي) اتساعًا وسخرية وشماتة، وهو يقول:

- إنه قانوني، وهذا يكفي.

حدجه (نديم) بنظرة باردة كالثلج قاسية كالفولاذ، وهو يقول:

- هكذا؟!

ثم نهض من مقعده، مستطردًا في صرامة مخيفة:

- إذن فأنت أيضًا تفصل ما بين القانون والعدالة.

ارتبك العقيد (مجدي)، وشعر بتوتر عجيب في أعماقه، وهو يقول في حدة:

- هل تهددني؟

أجابه (نديم) في برود:

- وهل تحوي عبارتي أية كلمة تهديد؟

ثم استدار في هدوء، واتجه نحو باب المكتب، وقد ساد المكان صمت رهيب وقطعه العقيد (مجدي)، وهو يقول في عصبية:

- اسمع يا (نديم).

توقف (نديم)، والتفت إليه في هدوء، فأردف في عصبية زائدة:

- لقد أصدرت قرارًا بسحب ترخيص السلاح الذي تحمله.

لم ينبس (نديم) ببنت شفة، وهو يتطلع إليه في برود، فأضاف العقيد في حدة:

- وهذا يعني أنك أصبحت ممنوعًا من حمل السلاح.

وفي حركة سريعة اندفعت يد (نديم) إلى جيب سترته، وانتزع مسدسه، وصوبه إلى العقيد (مجدي)، الذي شحب وجهه، وتراجع هاتفًا:

- ماذا تفعل؟ هل.. هل جننت؟

مط (نديم) شفتيه في برود، ثم ألقى مسدسه فوق مكتب العقيد (مجدي)، فارتطم المسدس الثقيل بزجاج المكتب، وهشمه، فاحتقن وجه العقيد (مجدي)، وتطلع في مزيج من الذهو ل والاستنكار إلى (نديم)، الذي فتح باب الحجرة في هدوء، وخطا إلى الخارج، فصاح به غاضبًا:

- سأعمل على أن تتحول إلى سجين.. هل تسمعني؟ سأوقع بك عند أول فرصة.. حذار أن...

قاطعه (نديم) بإغلاق الباب في قوة، وهو يغادر المكان في خطوات سريعة، وأسرعت (غادة) تلحق به، قائلة:

- لقد رفض.. أليس كذلك؟

أجابها وهو يّواصل سيره المسرع:

- بلى.

هتفت:

- وماذا ستفعل؟

توقف بغتة، حتى إنها ارتطمت به في قوة، وهو يقول:

- لن أعدم وسيلة.

وانعقد حاجباه في قوة، وهو يقول وكأنه يحدث نفسه:

- لقد استأجرت مكتبًا أنيقًا في وسط المدينة، وأثثته بأثاث فاخر، و...

قاطعته في سخرية:

- ليس هذا مستبعداً، بالنسبة لابن مليونير.

التفت إليها في حدة، وقال:

- قلت لك إنني أبغض ذلك اللون من العبث.

هزت كتفيها، قائلة:

- لا بأس.. ماذا ستفعل بهذا المكتب الأنيق ذي الرياش الفاخر؟

عقد حاجبيه طويلاً في صمت، ثم قال في جدية بالغة:

- ما رأيك في مكتب محاماة؟

ابتسمت قائلة:

- ولكن هذا يتعارض مع مبادئك تمامًا.

سألها في دهشة:

- كيف؟

أجابته ضاحكة:

- المحامي يلتزم بالقانون تمامًا، وأنت ترفض هذا.

مط شفتيه، وهو يقول:

- من قال إنني أرفض القانون؟

قالت ضاحكة:

- قرار فصلك من جهاز الشرطة.

أجابها في برود:

- دعابة سخيفة.

قالت ساخرة:

- لم لا تحاول الإتيان بمثلها؟

قال في حزم:

- لست متفرغا لهذه التفاهات.

ثم استطرد في قوة:

- إنني أسعى إلى العدل وحده.

تطلعت إليه لحظة في صمت، وبدت له عيناها الخضراوان وكأنهما حقل فسيح من العشب الرطب، قبل أن تغمغم:

- أظن مكتب المحاماة يناسبك.

وعندما تركها وانصرف، كان قلبها ينبض في قوة... وفي حب.

• • •

انعقد حاجبا (نعمان والي) في غضب ووحشية، وهو يقول من بين أسنانه:

- إذن فقد استأجر ذلك الرائد السابق مكتبًا في أحد أرقى أحياء وسط المدينة.. يا له من مغرور!

وضرب راحته اليسرى بقبضته اليمنى في سخط، وهو يستطرد:

- أيتصور ذلك الحقير أنه سيجد مجالاً للعمل وللربح، بعد أن لكم (نعمان والي)؟

أجابه أحد رجاله:

- لقد رفضوا منحه ترخيصًا بفتح مكتب تحر خاص أيها الزعيم.

هتف (نعمان) مستنكرًا:

- مكتب تحر خاص؟! هل أصابه الجنون؟

أجابه الرجل:

- يبدو أن رفضهم قد دفعه إلى تغيير خططه، فلقد وضع على باب مكتبه اليوم لافتة محاماة.

هتف (نعمان):

- محاماة؟!

ثم أطلق ضحكة عالية، قبل أن يستطرد:

- يا له من سخيف!

ووضع يده على كتف الرجل، مستطردا في شراسة:

- اسمع يا (سيد).. خذ معك خمسة رجال، واذهبوا إلى مكتب ذلك المغرور.. أريد منكم أن تحولوا المكتب إلى أطلال.. هل تفهم؟

تألقت عينا (سيد) بجذل وحشي، وهو يقول:

- وماذا لو وجدنا ذلك الرائد السابق هناك؟

ابتسم (نعمان) ابتسامة جعلته أشبه بوحش مفترس، وهو يقول:

- ستكون فرصة طيبة لضرب عصفورين بحجر واحد، ولإضافة كومة من اللحم المفري إلى جوار الأطلال.

ثم انعقد حاجباه في شدة، وهو يستطرد في انفعال:

- لن يبقى على قيد الحياة من أهان (نعمان والي).. لن يبقى أبدًا.

• • •

جلس (نديم فوزي) على مقعده الوثير، خلف ذلك المكتب الأنيق، في منتصف حجرته الخاصة، يراجع بعض الأوراق، التي يحتاج إليها لبدء نشاطه في مهنة المحاماة، واستغرقه ذلك العمل في شدة، حتى تجاوزت عقارب الساعة الحادية عشرة مساء، وساد هدوء شديد في تلك البناية، التي اختار فيها مكتبه، بعد أن انصرف موظفو كل المكاتب المحيطة به، وسكن الباقون في شققهم.

وفجأة تناهى إلى مسامع (نديم) وقع أقدام ثقيلة تقتحم مكتبه، فرفع عينيه في دهشة، وعقد حاجبيه مغمغمًا:

- ما كل هذا الضجيج؟ الأمر يبدو كما لو أن قطيعًا من الأفيال يلج المكان.

غادر موقعه، واتجه نحو باب حجرته الخاصة، وهو يسمع وقع الأقدام الثقيلة يزداد قربًا...

وفجأة اقتحم الحجرة خمسة عمالقة، دفع أحدهم (نديم) أمامه في عنف، فهتف هذا الأخير في مزيج من الدهشة والاستنكار والغضب:

- ما هذا؟ من أنتم؟

دلف إلى الحجرة رجل سادس، ابتسم في سخرية، وهو يقول في شماتة:

- لا عليك أيها الرائد السابق.. لن تلبث أن تجد جواب أسئلتك كلها في الجنة.

عقد (نديم) حاجبيه، وهو يقول في توتر:

- أين؟!

رفع الرجل قبضته، التي التف حولها إطار حديدي ذو نتوءات بارزة، وكرر في سخرية صارمة:

- في الجنة.. حيث يذهب كل الأغبياء أمثالك.

ولم يكن هناك احتمال واحد لسوء الفهم..

ولم تكن هناك ذرة شك فيما سيتعرض له (نديم)..

وبسرعة لم تسبقها ذرة واحدة من التفكير، قفزت قبضته اليمنى تحطم فك الرجل الممسك به..

وصرخ (سيد):

- اهجموا يا رجال.. أريد أن يستغرق تمييز بقايا هذا المغرور من بين أطلال مكتبه دهرًا.

واتقض الرجال على (نديم)..

وبكل ما يملك من قوة، لكم (نديم) أحد الرجال في معدته، وحطم أسنان الثاني، ولكنه تلقى لكمة فولاذية في صدغه، ألقته أرضًا، وقبل أن ينهض، كانت هناك قدم تغوص في معدته، وأخرى تحطم إحدى أضلاعه..

وعلى الرغم من ذلك، فقد نهض، وأصاب رجلاً بلكمة في عنقه..

ثم انهالت عليه الركلات واللكمات، في عنف لم يرَ له مثيلاً أبدًا..

كانت كل لكمة وكأنها تنتزع معدته من جسده، وتحيل فكه إلى فتات..

وأخيرا سقط (نديم) متهالكًا، وشعر بمذاق الدم في فمه، ومن بين جفنيه المتورمين، رأى (سيد) يتجه إليه، ثم يبرز مدية ذات نصل حاد، وهو يبتسم في شراسة، قائلاً:

- لا تتألم أيها الرائد السابق.. سأنهي كل آلامك بطعنة طريفة في سويداء قلبك..

ورفع (سيد) مديته..

وأيقن (نديم) من أن ضعفه يمنعه من المقاومة..

وأنها النهاية...

• • •

سيف العدالة

3- المولـــد..

انعكس بريق مصابيح المكتب على نصل المدية الحاد، والتمع في عيني (نديم) وهو يرى الموت على قيد خطوة واحدة منه، ينقض عليه في وحشية وشراسة و...

وفجأة ارتفع صوت هادئ يقول:

- هل قطعت لهوكم؟

ميز هو ذلك الصوت الأنثوي على الفور، وإن منعه تهالكه من رفع عينيه إلى مصدره، في حين التفت المجرمون الستة نحو (غادة)، التي وقفت بباب الحجرة، ومسدسها مصوب إليهم، وغمغم (سيد) في توتر:

- ماذا تريدين؟

أجابته ساخرة:

- عجبًا!! يا له من سؤال! من منا ينبغي أن يجيب عنه؟

قال في حدة:

- ابتعدي.. هذا أمر يخصنا معه.

قالت في برود:

- ويخصني أيضًا فأنا أنتمي إلى جهاز الشرطة.

هتف أحد الرجال الستة في عصبية:

- هراء.. إنها كاذبة.

لوحت بمسدسها، قائلة في سخرية:

- ألم تر بطاقتي يا رجل؟

أشار (سيد) إلى أحد الرجال إشارة خفية، وهو يقول لها:

- حتى ولو كنت من جهاز الشرطة، فلا شأن لك بما يحدث هنا.

ثم استطرد مبتسمًا في دهاء:

- ولكل شيء ثمنه.

رفعت حاجبيها، وقالت ساخرة:

- حقًا؟!

ثم هزت كتفيها مستطردة:

- لن أعترض على هذا، سأحصل على الثمن.

وجذبت إبرة مسدسها، مردفة في صرامة:

- حياتك.

وفجأة صرخ (سيد):

- اهجموا.

وانقض الرجال الستة دفعة واحدة على (غادة).

• • •

لم تتردد (غادة) لحظة واحدة في إطلاق النار على أقرب المهاجمين إليها، واستدارت إلى التالي في سرعة، ولكن قدم الثالث ركلت مسدسها في قوة، وانقض عليها الرجال الخمسة يكبلون حركتها في عنف وقسوة، و(سيد) يقول في شماتة:

- لقد حذرتك، والآن من سينقذك من بين أيدينا؟

ارتفع صوت حازم صارم قوي، يقول:

- أنا.

تجمد الجميع لحظة، واتسعت عينا (غادة) بين أيديهم في دهشة، خالطها الكثير من الإعجاب والتقدير، عندما رأت (نديم) واقفا، مستندا إلى مكتبه في صعوبة، وفي قبضته مسدس ضخم، وعيناه تحملان صلابة الدنيا كلها، وهو يقول:

- أنا سأقتلكم بلا رحمة، لو مسستم شعرة واحدة منها.

التفت إليه (سيد)، وحاول أن يخفي توتره وعصبيته بابتسامة، وهو يقول في بطء:

- وهل ستقتلنا كلنا؟

أجابه (نديم) في صرامة:

- ربما ليس كلكم، ولكن واحدًا أو اثنين منكم على الأقل.. هل تحب أن تنال هذا الشرف؟

شحب وجه (سيد)، وهتف في حدة:

- لن تجرؤ.

جذب (نديم) إبرة المسدس، وهو يقول في حزم:

- حاول.

كانت عيناه تحملان قدرًا هائلاً من الصلابة والعناد، جعل (سيد) يتجمد في مكانه، ويفقد السيطرة على تفكيره، لولا أن هتف أحد رجاله في غضب، وهو يجذب (غادة) م...

شعرها، ويضع نصل خنجره على رقبتها:

- أطلق رصاصة واحدة، وسأحيل صديقتك إلى جزأين.. رأس وجسد.

انعقد حاجبا (نديم) في شدة، وارتسمت ابتسامة متشفية على وجه (سيد)، وهو يقول:

- الآن تعادل الموقف.

هتفت (غادة):

- محال.

ثم دفعت برأسها إلى الخلف في قوة، وضربت معدة الرجل الممسك بشعرها، ورفعت قدمها في الوقت ذاته، فركلت خنجره، وهي تستطرد في حزم:

- أطلق النار يا (نديم).. أطلق النار.

ولكن (نديم) لم يطلق النار، بل هتف محنقا:

- اللعنة!

وألقى المسدس في وجه (سيد)، ثم قفز نحو هذا الأخير، وكال له لكمة أودعها كل قوته..

ولكن (سيد) تفادى لكمة (نديم) المتهالك، وهوى على معدته بلكمة كالقنبلة، وهو يقول:

- خطأ أيها الرائد.. لا تقاتل قبل أن تتعافى من قتال سابق.

وأدرك (نديم) صحة هذه الحكمة، واللكمات تنهال عليه كالمطر، ورأى (غادة) تتلقى لكمة في مؤخرة رأسها، فتسقط فاقدة الوعي، فهتف في ثورة:

- أيها الأوغاد.

منحته ثورته قوة إضافية، فحطّم أسنان أقرب المهاجمين إليه بلكمة قوية، ودفع الثاني في عنف واندفع نحو (غادة)، هاتفًا:

- لا.. لا تلمسوا شعرة واحدة من...

انقطعت عبارته، وانطلقت من أعماق صدره شهقة قوية، عندما قفز (سيد) نحوه، وغرس نصل مديته في معدته..

وجحظت عينا (نديم) من فرط الألم، وتراجع هاتفًا:

- أيها الحقير.

ثم سقط على ظهره، والدماء تنزف من موضع المدية في غزارة، وهتف (سيد) في وحشية:

- سأذبحه كالنعاج.. سأذبحه.

ولكن يد (نديم) أدركت مسدسه، الذي ألقاه من قبل في وجه (سيد)، فأمسك مقبضه، وأداره نحو هذا الأخير، قائلاً في حدة:

- حاول أيها الوغد.. حاول، وستخترق رصاصتي رأسك.

قبل أن يقدم (سيد) على خطوة واحدة، ارتفع صوت بوق سيارات الشرطة المميز، فانعقد حاجبا هذا الأخير، وقال في حنق:

- فيما بعد.. سنلتقي مرة أخرى فيما بعد.

وأشار إلى رجاله، وهو يستطرد في سخط:

- وعندما نفترق حينذاك، سيكون أحدنا جثة هامدة.

أسرع رجاله يحملون زميلهم، الذي أصابته رصاصة (غادة)، وانطلقوا يغادرون المكان في سرعة، دون أن يطلق (نديم) خلفهم رصاصة واحدة، وصوت أبواق سيارة الشرطة يزداد قربًا، وتطلع هو إلى (غادة)، الفاقدة الوعي، ثم إلى مسدسه، وغمغم:

- اللعنة!!

وسقط فاقد الوعي..

• • •

لم يدر (نديم) كم بقي فاقد الوعي، ولكنه عندما استعاد وعيه، حدث ذلك بغتة، كحجرة مظلمة أضيئت فيها الأنوار على حين غرة..

فجأة، وجد نفسه يشعر بكل ما حوله، ففتح عينيه؛ لتواجهه أضواء خافتة، عجز – على الرغم من خفوتها – من التطلع إليها لحظات، وإن ميز وجهًا أنثويًا ينحني نحوه، فغمغم:

- (غادة).. أهو أنت؟

أتاه صوتها، وهي تقول في حنان:

- نعم.. هو أنا.. استرح.. حمدًا لله على سلامتك.

فتح عينيه ليتطلع إلى وجهها لحظة، قبل أن يسألها:

- ماذا حدث؟ أين نحن؟

أجابته في خفوت:

- اطمئن.. لقد نجونا.. الرصاصة التي أطلقتها أنا جعلت بعض ساكني البناية يستدعون رجال الشرطة، الذين وصلوا في الوقت المناسب، ولقد أصابك أحد هؤلاء الأوغاد بطعنة

نافذة في معدتك، استدعت أن تظل في حجرة العمليات لساعتين كاملتين، ولكنك الآن بخير والحمد لله.

ثم تحسست شعره، مستطردة:

- ولقد كنت شجاعًا رائعًا، ولقد نقلك رجال الشرطة إلى المستشفى هنا بأقصى سرعة.

سألها في اهتمام:

- وهل ألقوا القبض عليهم؟

هزت رأسها نفيًا، قبل أن تقول في أسف:

- لقد نجحوا جميعًا في الفرار.

هتف محنقًا:

- إنهم رجال (نعمان والي).. أعلم ذلك.

أتاه صوت من الناحية الأخرى لفراشه، يقول في صرامة:

- ألديك دليل على قولك هذا؟

التفت إلى مصدر الصوت، وعقد حاجبيه في ضيق، وهو يقول:

- لا يا سيادة العقيد (مجدي).. ليس لديَّ دليل على هذا.

أجابه العقيد (مجدي) في صرامة:

- لا تتهمهم إذن.

تطلع إليه (نديم) في برود، فاستطرد العقيد (مجدي):

- لقد كان سيادة اللواء (حلمي) هنا، ولقد توقع أن تتهم رجال (نعمان)، وأنك لن تملك دليل على هذا.

قال (نديم) في برود:

- ولكن القانون يمنحني كمواطن حق اتهامهم، ومهمتكم أنتم يا رجال الشرطة أن تجدوا الدليل.

ابتسم (مجدي) في سخرية، وهو يقول:

- القانون؟! هل أصبحت تؤمن الآن بسيادة القانون؟

ران الصمت لحظة، قبل أن يقول (نديم):

- بل.. بسيادة العدالة.

لوح (مجدي) بكفه، قائلاً في صرامة:

- لا فارق.

أجابته (غادة) في حزم:

- بل هو فارق رهيب.

التفت إليها في حدة، ثم لوح بكفه مرة أخرى، قائلاً:

- لا بأس.. لم أعد أملك سلطانًا عليك.

ثم سأل (نديم) في صرامة:

- اسمع يا (نديم).. هل لك أن تحتمل اتهامًا؟

رفع (نديم) حاجبيه في دهشة، وقال في غضب:

- أحتمل اتهامًا؟! كنت أظنني المجني عليه لا المتهم.

ابتسم (مجدي) في شماتة، وهو يقول:

- ولكنك كنت تمسك مسدسًا، عندما عثر عليك رجال الشرطة، ولقد حذرتك من هذا.

تطلع إليه (نديم) لحظة في صمت، ثم قال:

- هل فحص رجال المعمل الجنائي المسدس؟

أجابه (مجدي) في صرامة:

- لا فارق.. محظور عليك حمل كل الأسلحة النارية.

قال (نديم) في برود:

- ولكن هذا المسدس ليس سلاحًا ناريًا.

عقد (مجدي) حاجبيه، وهو يقول:

- هل تعلمت المزاح؟

أجابه (نديم) بنفس البرود:

- مطلقًا، ولكنني كنت أحمل مسدسًا صوتيًا، وليس حقيقيًا.

أطلقت (غادة) ضحكة ساخرة طويلة، احتقن لها وجه (مجدي) في شدة، قبل أن يقول في غضب:

- لا بأس.. سنلتقي مرة أخرى.

واندفع خارج الحجرة، وأغلق الباب خلفه في قوة..

وابتسمت (غادة)، وهي تلتفت إلى (نديم)، قائلة:

- لقد أفحمته.

مط شفتيه، قائلاً:

- إنه يفكر بمنطق معكوس.. لقد ترك المجرمين الفعليين، وأخذ يبحث عن سبب حملي مسدسًا.

صمتت لحظة، ثم قالت:

- هل تعلم أنني بدأت أؤيدك في هذا الشأن؟

فسألها في هدوء:

- أي شأن؟

قالت:

- في وجود فارق هائل، بين العدالة والقانون.

سألها في اهتمام:

- والى أي جانب تميلين؟

ابتسمت قائلة:

- إلى جانب العدالة بالطبع.

سألها بغتة:

- أخبريني يا (غادة).. كيف تصادف أن وصلت إلى مكتبي، في هذا اليوم بالذات؟ ولماذا قال (مجدي) إنه لم يعد لديه سلطان عليك؟

أجابته مبتسمة:

- سأجيب على السؤال الثاني قبل الأول، (مجدي) لم يعد لديه سلطان عليَّ ؛ لأنني استقلت من الشرطة.

رفع حاجبيه، وهو يهتف في دهشة:

- استقلت؟!

أجابته بنفس الابتسامة:

- نعم.. تصورت أنك قد تحتاج إلى شريكة في عملك الجديد، و...

تضرج وجهها بحمرة خجل خفيفة، قبل أن تستطرد:

- ولقد أتيت إلى مكتبك لهذا السبب، ولأنه كان عيد ميلادك.

هتف في مزيد من الدهشة:

- عيد ميلادي أنا؟

أومأت برأسها إيجابًا، ثم أخرجت من جيبها حافظة مفاتيح ذهبية، تنتهي بتمثال دقيق لعقرب من الذهب، وهي تتابع:

- ولقد أتيت لأقدم لك هذه الهدية، فأنت من مواليد برج العقرب.. أليس كذلك؟

مد يده يتناول الحافظة منها، وتطلع إلى العقرب الذهبي طويلاً، قبل أن يرفع عينيه إليها، قائلاً في حزم:

- نعم يا (غادة).. أنا من مواليد برج العقرب.

وتألقت عيناه ببريق عجيب، وهو يستطرد:

- وسأحتاج في المرحلة القادمة لشريك بالطبع، وأنت أروع من أن أرفض مطلبك في هذا الشأن.

ثم عاد يرفع العقرب الذهبي إلى عينيه، مستطردًا:

- وسيكون هذا شعار المرحلة القادمة.

والتمعت عيناه في شدة، مردفًا:

- العقرب...

وفي تلك اللحظة، أعلن القدر مولد محارب جديد من محاربي الجريمة.

مولد من سترتجف له قلوب أعتى المجرمين، ويرتفع له سيف العدالة عاليًا..

مولد (العقرب)...

• • •

سيف العدالة

4- الحفـــل..

تألق ذلك القصر الفاخر المنيف، المطل على نيل (القاهرة) الساحر، بأضواء مبهرة، في تلك الأمسية من أمسيات أغسطس الدافئة، وخيل لجيرانه ومشاهديه أن القصر القديم، الذي يعود إلى عهد أحد أمراء الأسرة العلوية، قد استعاد مجده ومباهجه، بعد أن ابتاعه منذ أشهر قليلة، المليونير المعروف (نعمان والي)، بمبلغ تبلغ الأصفار المتراصة على يمينه ستة أصفار بالتمام والكمال..

وكانوا على حق..

لقد كان (نعمان) يقيم في قصره الجديد حفلاً ضخمًا، تكلف مبلغًا باهظًا بكل المقاييس، واحتشدت فيه نخبة من صفوة رجال المجتمع، والفن، والسياسة، وانهمك (نعمان) في الاحتفاء بالجميع، وإبراز اهتمامه بكل من الحاضرين، وتقديم مختلف صنوف الطعام والشراب لهم، في بذخ شديد، بهر ضيوفه تمامًا، فاقتصرت كل أحاديثهم تقريبًا عنه؛ مما جعل أوداجه تنتفخ، ودفع رجله الأول (سيد)، إلى أن يهمس في أذنه:

- لقد أسلت لعابهم حقًا أيها الزعيم.

حافظ (نعمان) على ابتسامته أمام الحاضرين، وهو يهمس في صرامة:

- لا تستخدم لفظ (الزعيم) هذا أبدًا، وإلا قطعت لسانك يا (سيد).. إنني هنا (نعمان بك) فقط.

ابتسم (سيد) قائلاً:

- بل أنت (نعمان باشا) أيها الزعيم.

أدار (نعمان) عينيه إليه في صرامة غاضبة، فاستطرد في سرعة:

- أقصد يا سعادة البك.

كان من الواضح أن (نعمان والي) سيسب الرجل، أو ينفجر في وجهه، لولا أن أتى أحد الحاضرين في تلك اللحظة، وسأل (نعمان)، والانبهار مازال يملأ جوانحه:

- قل لي يا (نعمان بك).. هل ستعمد إلى ترشيح نفسك في الدورة القادمة؟

أجابه (نعمان)، وهو يرسم على وجهه ابتسامة مناسبة:

- بالطبع.

هتف الرجل:

- ستربح حتمًا.

رفع (نعمان) أحد حاجبيه، وهو يقول:

- أهذا رأي شخصي؟

أطلق الرجل ضحكة كبيرة، وقال:

- لا بالطبع.. إنه عرض عملي.

اتسعت ابتسامة (نعمان)، وهو يقول:

- وأنا أيضًا أحب اقتناص فرصة العروض العملية.

ثم مال نحوالرجل، مستطردًا في لهجة ذات مغزى:

- ما رأيك لو ناقشنا ذلك في مكتبي؟

تلفت الرجل حوله في حذر، ثم ابتسم ابتسامة متلهفة، وهو يقول:

- هذا يبدو لي جيدًا.

قاده (نعمان) في هدوء إلى حجرة مكتبه، وقال لـ (سيد) في حزم:

- لا أحب أن يزعجنا أحد.

قال (سيد):

- بالتأكيد يا سيدي.

أغلق (نعمان) باب مكتبه في إحكام، ثم التفت إلى الرجل المصاحب له، وقال:

- ما خطتك هذه المرة؟

لوح الرجل بكفه، وهو يقول في حماس شره:

- تمامًا كما فعلنا في المرة السابقة يا (نعمان بك)، سنبدل الصندوق الحقيقي بآخر زائف، يحمل كل أوراقه اسمك.

ابتسم (نعمان)، مغمغمًا في زهو:

- لا.. ليس كلها، يكفي ثمانون في المائة منها؛ حتى لا يبدو التبديل واضحًا.

ثم استطرد في صرامة مباغتة:

- على أن يتم الأمر بصورة أفضل، ففي المرة السابقة كاد أمركم ينكشف؛ بسبب مندوب المرشح المنافس.

ازدرد الرجل لعابه، وقال:

- اطمئن يا (نعمان بك)، سيسير كل شيء على ما يرام هذه المرة.

ضرب (نعمان) سطح مكتبه في حزم، وهو يقول:

- لابد. وإلا فلن أدفع باقي المبلغ.

ازدرد الرجل لعابه مرة أخرى، وغمغم مضطربًا:

- بلا شك يا (نعمان) بك.. بلا شك.

استدار (نعمان) إلى خزانته، وعالج أرقامها السرية في سرعة، ثم فتحها، وتناول منها خمس رزم أوراق نقدية، وهو يقول:

- سأعطيك خمسة آلاف جنيه تحت الحساب، و...

بتر عبارته بغتة، عندما سقطت بطاقة صغيرة من بين الرزم المالية، واستقرت فوق سطح المكتب، وانعكست الأضواء على رسم لعقرب ذهبي يتوسطها، فحدق فيها (نعمان) في دهشة واستنكار، قبل أن يلقي رزم أوراق النقد جانبًا، ويهتف محنقًا، وهو يلتقط البطاقة:

- ما هذه بحق السماء؟

ازداد اضطراب الرجل، وهو يغمغم:

- ما هذه يا (نعمان) بك؟

رفع (نعمان) عينيه إليه في حدة، ثم التقط رزم الأوراق النقدية وألقاها في وجهه، هاتفًا:

- لا شأن لك بهذه.. خذ نقودك، وانصرف من هنا..

انحنى الرجل يلملم النقود في سرعة، ثم أسرع يغادر الحجرة، وهو يهتف متلعثمًا مرتبكًا:

- كما تأمر يا (نعمان) بك.. كما تأمر.

لم يكد الرجل يغادر الحجرة، حتى هتف (نعمان) في غضب:

- (سيد).

أسرع إليه (سيد)، هاتفًا:

- بم تأمر أيها الزعيم؟

صرخ (نعمان) ثائرًا:

- قلت لك ألا تستخدم هذا المصطلح أبدًا.

ثم رفع البطاقة أمام وجهه، مستطردًا في غضب:

- ما هذه؟

تطلع (سيد) إلى البطاقة في حيرة، وهو يغمغم:

- ما هي أيها الز... أعني يا سيدي؟

صاح (نعمان) في وجهه:

- أنا أسألك أيها الغبي.

عاد (سيد) يتطلع إلى البطاقة في اهتمام مبالغ فيه، ويعقد حاجبيه على نحو مثير للسخرية، وهو يقول:

- إنها بطاقة بيضاء لامعة يا سيدي.. تحمل رسمًا لعقرب ذهبي اللون في منتصفها، و...

قاطعه (نعمان) في ثورة:

- وهل طالبتك بوصفها أيها الغبي؟ لقد وجدت هذه البطاقة في خزانتي، فكيف وصلت إليها؟

حدق (سيد) في وجهه في ذهول، مرددًا:

- في خزانتك؟!

ثم استطرد حائرًا:

- ولكن خزانتك من نوع خاص يا سيدي، وذات طراز فريد، فهي مصنوعة من صلب مدرع، يستحيل اختراقه بالوسائل التقليدية، ومزودة بجهاز إنذار بالغ التعقيد، ورقم سري مركب معقد.. لا يعلمه سواك، فكيف تصلها هذه البطاقة، دون أن تعلم عنها شيئًا؟

لوح (نعمان) بذراعيه في قوة، وهو يهتف:

- لست أدري كيف، ولكنها وصلت بالفعل، وهذا يعني أن أحدهم قد اخترق حاجز سرية خزانتي الخاصة.

هتف (سيد):

- مستحيل يا سيدي! مستحيل!!

قال (نعمان) في حدة:

- ولكن البطاقة هنا..

أمسك (سيد) البطاقة مرة أخرى، وتطلع في رهبة إلى العقرب الذهبي الذي يتوسطها، ثم غمغم:

- وما الذي تعنيه تلك البطاقة؟

هتف (نعمان):

- فلتعن ما تعنيه.. هذا لا يهمني.. المهم أن أعلم كيف بلغت خزانتي الخاصة.

أتاه صوت من خلفه، يقول في صرامة:

- أنا وضعتها.

استدار (نعمان) في سرعة إلي مصدر الصوت، ثم تراجع في حركة حادة عنيفة كالمصعوق، وقفزت يد (سيد) إلى جيب سترته، حيث يخفي مسدسه، لولا أن ارتفع نفس الصوت الصارم يقول في لهجة قاسية:

- حذار يا رجل.. ستخترق رصاصة مسدسي رأسك، قبل أن تلمس مقبض مسدسك.

أبعد (سيد) يده عن سترته في بطء، وهو يتطلع في دهشة بالغة إلى ذلك الشاب المتشح بالسواد، الذي يرتدي سروالا وقميصا مغلق العنق، من اللون الأسود القاتم، وقفازين من اللون نفسه، وقد أخفى وجهه ومن منتصف جبهته، حتى أنفه وبقناع أسود كبير، انسدلت فوقه خصلة من شعره الأسود الفاحم، وفي يد الشاب، كان هناك مسدس ضخم مصوب إلى الرجلين..

وهتف (نعمان والي) في عصبية:

- من أنت؟ وأي زي سخيف هذا الذي ترتديه؟

أجابه الشاب في برود:

- بطاقتي تحمل اسمي أيها الوغد.

غمغم (نعمان):

- أي اسم؟

بدا صوت الشاب قاسيًا كالفولاذ، وهو يقول:

- العقرب يا رجل.. اسمي العقرب.

ران الصمت على الحجرة لحظات، و(نعمان) و(سيد) يحدقان في وجه (العقرب) ذي القناع، قبل أن يهتف (نعمان) في عصبية:

- يبدو أنك وصلت إلى هنا من باب الخطأ، فالزي الذي ترتديه يوحي بأنك كنت في طريقك إلى ستوديو سينما، لا إلى هنا.

أجابه (العقرب) في برودة قاسية كثلوج القطبين:

- بل إلى السيرك، ولقد بلغته حتمًا، فها هو ذا المهرج أمامي، إلى جوار دب غبي.

عقد (نعمان) حاجبيه، وهو يقول في حدة:

- ماذا تقصد؟

أجابه (العقرب) في هدوء:

- أيهما تفضل؟ المهرج أم الدب؟

احتقن وجه (نعمان) لحظات، قبل أن يقول في حدة:

- اسمع يا رجل، لو أنك لص فأنا...

قاطعه (العقرب):

- اطمئن.. لست لصًا.

هتف (نعمان) في عصبية:

- لم هذا الزي إذن؟ وماذا تريد؟

ارتجف جسد (نعمان) في رعب، مع ذلك الصوت المخيف، الذي خرج من بين شفتي الشاب المقنع ومغمغمًا بالبغض والكراهية، وهو يقول:

- أنت يا (نعمان).. أريدك أنت.

بدا التوتر على وجه (سيد)، في حين تراجع (نعمان)، هاتفًا في رعب:

- هل.. هل ستقتلني؟

أجابه الشاب المقنع في صرامة مخيفة:

- لا.. لن أقتلك أيها الوغد.

هتف (نعمان):

- ماذا تريد مني إذن؟

أجابه بصوت كالفولاذ:

- أن أدمرك.

ردد (نعمان) في ذهول:

- تدمرني؟

أجابه (العقرب) في كراهية:

- نعم يا (نعمان).. إن مبتغاي هو تدميرك، فأنت تمثل كل الشر الذي أكرهه في الدنيا.. إنك القوة الغاشمة، التي تتخذ من ثغرات القانون البشري فجوة للنفاذ إلى عالم لا خير فيه ولا رحمة؛ لتعيث في الأرض فسادًا بلا حدود.. أنت رمز كل قذارات البشر يا (نعمان والي).

صمت المقنع لحظة قصيرة، ثم أضاف في صرامة، تجمدت لها الدماء في عروق (نعمان):

- ولهذا سأدمرك.

قال (نعمان) في توتر:

ربما أنت مخطئ في تصورك هذا عني، فأنا رجل شريف، و...

قاطعه المقنع في حزم:

لا تحاول يا وغد الأوغاد، فأنا لست قاضيًا يستمع إلى دفاعك؛ ليبني عليه حكمه، ولست محاميًا يسعى للعثور على ثغرة قانونية تدينك.. معي ستختلف كل الأمور، وستنقلب كل المعايير.. معي لن يحتاج الأمر إلى أدلة أو قرائن، ولن تصلح الحصانة الدستورية التي تحملها.. معي سيكون طريق العدالة واضحًا منبسطًا، بلا تعقيدات.

قال (نعمان) متوترًا:

اسمع.. إنني مستعد لـ...

قاطعه مرة أخرى:

لا فائدة أيها الحقير.. لقد صدر الحكم بشأنك، وأنا أعمل على تنفيذه فحسب.

وعاد صوته قاسيًا كالفولاذ، وهو يستطرد:

استدر أيها الوغد.. أنت وذلك الدب الذي يجاورك.

استدار (نعمان) وهو يرتجف، قائلاً:

هل.. هل ستقتلني؟

أجابه (العقرب):

لا.. لست حقيرًا مثلك؛ لأطلق النار على رجل في ظهره، ثم إنني لا أسعى إلى قتلك، بل إلى تدميرك، وهناك فارق كبير بين الأمرين، فقتلك الآن قد يمنحك صورة الشهيد، ويدفع الآلاف للبكاء عليك، أما ما سأفعله بك فسيجعلهم يبصقون على وجهك، وأنت خلف قضبان سجنك.

ارتعد صوت (نعمان)، وهو يغمغم في انهيار:

ولكن.. أنا لست.....

هتف (سيد) بغتة، وهو يقفز جانبًا، ويدفع زعيمه إلى الجانب الآخر:

ابتعد أيها الزعيم.

وانتزع مسدسه من جيب سترته في سرعة خرافية، واستدار إلى حيث وقف (العقرب)..

وأطلق النار...

• • •

سيف العدالة

5- التحـدى..

كان وقع دوي الرصاصة في الحفل أشبه بسباب سوقي بذيء، انطلق وسط نادٍ اجتماعي أنيق، يقتصر ارتياده على علية القوم، فلقد كان قصر (نعمان) مكتظًا بأكبر حشد ممكن من نجوم المجتمع، من مختلف الطوائف، وكان دوي الرصاصة كافيًا لأن يسود المكان صمت تام، مفعم برهبة مبهمة، وأشبه بالهدوء التقليدي، الذي يسبق أية عاصفة.

ولعل الوصف الأخير هو الأكثر دقة، فلم تلبث لحظة الصمت أن تفجرت بغتة، على هيئة عاصفة من التوتر، والصياح والفزع واندفع عدد من الحاضرين يحاولون الفرار من خطر مجهول، في حين التف البعض الآخر حول بعضه البعض، وهتف أحد ذوي الحيثية، من رجال السياسة:

- ما هذا؟ أهو هجوم إرهابي؟

هتف آخر في توتر:

- ينبغي أن نتصل برجال الشرطة على الفور.

وصاح ثالث:

- ولكن أين (نعمان) بك؟ أين هو؟

هتف رابع:

- في مكتبه.. لقد انطلقت الرصاصة من هناك.

انطلق عدد من الرجال نحو حجرة المكتب، على نحو غريزي، وراح بعضهم يدق بابها، هاتفًا:

- (نعمان) بك.. ماذا حدث؟ ماذا حدث؟ أجب.. ماذا حدث؟

في نفس اللحظة، كان (سيد) يحدق في نافذة حجرة المكتب، حيث كان يقف المقنع منذ لحظات، وهو يهتف ذاهلا:

- مستحيل!! لقد كان يقف هناك.. لقد أطلقت النار حيث كان يقف مباشرة.. أتلاشى؟ أم أننا كنا....؟

صاح به (نعمان) في غضب وثورة:

- ماذا فعلت أيها الغبي؟.. أتطلق النار في حفل؟!

انتبه (سيد) بغتة لما فعل، فامتقع وجهه، وهو يخفي مسدسه في جيب سترته في سرعة، مغمغمًا:

- معذرة أيها الزعيم.. إنني لم أنتبه.

هتف به (نعمان)، وقد بلغ توتره ذروته:

- فلنعمل على تهدئة الحضور أولاً، ثم حاول أن توقع بذلك المقنع قبل أن يفر من هنا.

قالها واندفع نحو باب حجرة مكتبه، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة دبلوماسية مناسبة، وفتح الباب، وهو يقول ملوحًا بذراعيه:

- لا داعي للتوتر أيها السادة.. لا داعي للتوتر.. إنما هي تجربة جهاز أمن جديد.. لم تحدث أية أضرار.. اطمئنوا.

تنفس الجميع الصعداء، وهتف أحدهم:

- يا إلهي يا (نعمان) بك.. لقد أرعبتنا حقًا.

اطمئن الجميع لظهور (نعمان) وسط الحفل مرة أخرى.

وراح توترهم يتلاشى، ويذوب تدريجيًا مع بذخ موائد الطعام وابتسامة (نعمان) المدروسة المرسومة، في نفس الوقت الذي كان (سيد) يستشيط فيه غضبًا، وهو يهتف في وجه أحد رجال أمن القصر الخاص:

- كيف لم يره أحدكم؟ ما مهمتكم هنا إذن؟ لقد تسلل ذلك المقنع إلى حجرة مكتب (نعمان) بك، وكاد يقتلنا، دون أن ينتبه إليه أحدكم.. يا لخسارة ما تتقاضونه من مرتبات باهظة!!

أجابه رجل الأمن في حدة:

- إننا نقوم بعملنا جيدًا يا سيدي، وأستطيع أن أجزم بأن أحدًا لم يلج بوابة السراي، دون أن يحمل بطاقة دعوة رسمية، وبمجرد ولوج الضيوف إلى القصر، تنتهي مهمة مراقبتهم، فأنت تعلم أن (نعمان) بك يكره أن يشعر ضيوفه أنهم تحت المراقبة.

عقد (سيد) حاجبيه في توتر، وهو يقول:

- أتعلم ما يعنيه قولك هذا يا رجل؟ إنه يعني أن هذا المقنع قد ولج القصر حاملاً بطاقة دعوة، أي أنه أحد ضيوف (نعمان) بك.

غمغم الرجل في حذر:

- ولكن أحدًا من الضيوف لم يكن يرتدي قناعًا، و....

قاطعه (سيد) في حنق:

- تبًا لغبائك هذا.. أتتصور أنه دخل مرتديًا قناعه؟! كلا.. بالتأكيد أيها الغبي.. لقد ارتدى القناع في الداخل.. ربما جاء مرتديا سروالاً وقميصًا أسودين، وأضاف إليهما القناع والقفازين فيما بعد... أو...

بدا له لحظة أن حديثه لا يعني شيئًا. فبتره ليلوح بكفه، هاتفًا في حنق:

- لا عليك.. دعك من هذا.

وغادر ركن الحراسة، وهو يستطرد في سخط:

- أراهن أننا لن نعثر على أثر لذلك المقنع.. لقد ربح جولته هذه المرة.. اللعنة؟

• • •

أطلقت (غادة) ضحكة جذلة عالية، وهي تجلس إلى جوار (نديم)، في سيارة هذا الأخير، التي ينطلق بها مبتعدًا عن قصر (نعمان)، وهتفت في سعادة ونشوة غامرتين:

- رائع يا (نديم).. بداية رائعة بحق.. لقد أدركت الآن لماذا لم تحتمل أبدا العمل في صفوف الشرطة، فأنت لم تخلق لذلك، بل خلقت محتالاً حقيقيًا.. لقد أحسنت اللعبة كما لم يفعلها أحد من قبل.

أجابها في هدوء وبساطة، وهو ينزع عن وجهه شاربا مستعارا:

- لم يكن الأمر متقنًا إلى هذا الحد.

هتفت ضاحكة:

- كيف؟ إنك تدير اللعبة في براعة منقطعة النظير.

واعتدلت في مجلسها، وهي تضيف في حماس:

- لقد درست كل شيء في هدوء وإتقان أحسدك عليهما، فحصلت على واحدة من بطاقات الدعوة إلى حفل (نعمان)، وقمت بطباعة نسخة طبق الأصل منها، ساعدتنا على أن ننضم إلى ضيوف الحفل، ونحن نحمل صفة الدكتور (برهان سالم) وزوجته، وكان تنكرك بسيطًا وفعالاً، فلقد اكتفيت بصبغ شعرك ليبدو أشيب اللون، وارتديت شاربًا أشيب مستعارًا، ومنظارًا طبيًا، ونظرًا لأن أحدًا لم يكن ينتظر حدوث أية مفاجآت، فلم تكن تحتاج إلى أكثر من هذا التنكر البسيط، وفي الوقت نفسه كنت تبدو أنيقًا في حلتك، ذات السروال والقميص الأسودين، والسترة البيضاء، ورباط العنق الأبيض، فلم يكن هناك جهد يذكر، في أن ننتحي ركنًا قريبًا من حجرة المكتب، فتنزع رباط العنق والسترة، وترتدي بدلاً منهما القناع والقفازين.

قال في هدوء:

- كان هذا هو أبسط جزء في اللعبة كلها.

قالت موافقة في حماس:

- بالتأكيد. فالجزء الأهم هو الوسيلة التي دسست بها بطاقتك الخاصة في خزانة (نعمان).

قال في بساطة:

- لا ريب أنه لن يذوق طعم النوم الليلة، وهو يحاول إيجاد تفسير لوجود البطاقة داخل خزانته، ولكنه لن يتصور أبدًا أنه هو من وضعها بنفسه.

أطلقت ضحكة مرحة أخرى، وهي تقول:

- من الطبيعي ألا يخطر هذا بباله، فهو لا يمتلك مثل ذكائك أيها العبقري.. فلقد تعمدت أنت أن ترسل إليه رجلاً، قبيل الحفل بقليل، يعرض عليه شراء صفقة كبيرة من مزرعة الدواجن الخاصة به، ثم ينقده عربونًا مناسبًا، وكان من الطبيعي، وسط انشغال (نعمان) بالإعداد للحفل، أن يضع النقود في خزانته الخاصة، دون أن ينتبه إلى أنها تحوي بطاقتك فيما بينها.

تألقت عينا (نديم)، وهو يقول:

- من الطبيعي ألا ينتبه إلى ذلك، فالأوغاد مثل (نعمان) هذا اعتادوا أن ترتبط الحيل دومًا بسلب النقود، لا بمنحها؛ لذا فهم لا يشكون فيمن يمنحهم نقودًا، مهما بلغت درجة ثرائهم.

ران عليهما الصمت لحظة، قبل أن تلتفت إليه (غادة)، وتقول في اهتمام جاد:

- أتعلم أن أسلوبك هذا يدهشني حقًا يا (نديم)؟

سألها:

- لماذا؟

تنهدت قبل أن تجيب:

- أنا واثقة تمامًا من وجود بركان ثائر في أعماقك، فغضبك مما فعله بك رجال (نعمان) منذ ثلاثة أشهر، لم يتلاشَ بعد، وعلى الرغم من ذلك، فأنت تخطط للأمر، وتعده، وتنفذه في هدوء عجيب، وكأنك تضع سيناريو رواية بعيدة عن عالمك الحقيقي.

صمت لحظات، وهو يقود السيارة، ثم أجاب في صوت قوي حازم:

- هذا ما عاهدت نفسي عليه، منذ تم شفائي من طعنة خنجر رجال (نعمان) يا (غادة).. لقد أدركت وأنا أرقد هناك، في المستشفى، أنني أواجه واحدًا من أكثر الأوغاد العالم استهتارًا بالقيم، وأنه قد اعتاد التلاعب بالقوانين واللوائح، مستغلاً ثغراتها، ومثل هذا الشخص يحتاج إلى خصم يتجاهل القانون بدوره، ويتجاوز كل القواعد، في سبيل هدف واحد.

صمت وهلة، ثم أضاف في حسم:

- في سبيل العدالة.

ابتسمت في إشفاق، وهي تملأ عينيها بوجهه النحيل الوسيم، مغمغمة:

- سيتطلب منك هذا جهدًا فائقًا، فأنت تلعب دورًا بالغ الخطورة، محاولاً تقليد (زورو)، وهذا يجعلك تواجه خصمين في آن واحد، كلاهما يمتلك القوة والبأس.

قال في هدوء:

- كنت أظنني أواجه خصمًا واحدًا، هو (نعمان والي).

قالت في حسم:

- وتواجه الشرطة أيضًا.

ران عليهما الصمت لحظات، ثم قال في هدوء:

- إنني أواجه الشرطة دومًا، حتى وأنا أعمل في صفوفها.

قالت في هدوء مماثل:

- المواجهة ستكون أكثر صعوبة هذه المرة، فعملك أقرب إلى عمل الخارجين عن القانون، وسيستثير هذا رجال الشرطة.

مضت لحظات من الصمت، قبل أن يقول:

- ولكنني لست أظن (نعمان والي) يبلغ الشرطة هذه المرة.

قالت في حزم:

- وما الذي يمنعه؟

أجابها في بساطة:

- خوفه على سمعته.

أدهشها الجواب، فقالت في حيرة:

- هل لك أن تفسر لي هذه النقطة؟

أجاب في هدوء:

- هل تذكرين رد فعلك، عندما أخبرتك بعد مغادرتي المستشفى، أنني سأتحول إلى شخصية (العقرب)؟

قالت في اهتمام:

- بالطبع، فلقد أدهشني ذلك في شدة، وقلت لك أيامها إنك تحاول تقليد الأفلام السينمائية، وأن الفارس المقنع لا وجود له في الحياة الحقيقية.

قال:

- عظيم.. لو أنك الليلة في موضع (نعمان والي)، ورأيت فجأة شخصًا مقنعًا، يشبه فرسان السينما، هل ستبلغين الشرطة بذلك؟

ترددت لحظة، قبل أن تبتسم مجيبة:

- لا.. لست أظنني سأفعل.

سألها في اهتمام:

- لماذا؟

أجابته ضاحكة:

- لأن أحدًا لن يصدقني، وسيتصورونني واهمة.

قال في ارتياح:

- لهذا بالذات اخترت ذلك الزي الأسود ذا القناع.

ابتسمت في حنان، وهي تتأمل ملامحه الوسيمة مرة أخرى، قبل أن تسأله في خفوت:

- حسنًا.. ما خطوتك التالية؟

أجابها في حزم:

- لقد واجهت اليوم (نعمان والي)، وتحديته على نحو سافر صريح، وهو يعلم الآن أن رجلاً مقنعًا يسعى خلفه، وأن شعار هذا الرجل هو (العقرب)، وسيربكه هذا كثيرًا، خاصة وأن المعركة هذه المرة ستكون أشبه بحرب عصابات، لا مجال فيها لثغرات القانون، التي ينفذ منها دومًا، ولا فائدة لحصانته القانونية الخاصة.

قالت في تشف:

- إنك لم تجب سؤالي بعد.

واصل في هدوء، وكأنه لم يشعر بمقاطعتها:

- وهناك مبدأ تعلمته في حلبة الملاكمة، ألا وهو أن أفضل وسيلة للنصر هي إنهاك الخصم أولاً، قبل توجيه الضربة القاضية إليه، وهذا ما سنفعله مع (نعمان)، فسأحيل حياته إلى جحيم، قبل أن يتلقى اللسعة الأخيرة..

وصمت لحظة، ثم أضاف في صوت حمل قوته وصلابته وحزمه:

- لسعة (العقرب)...

• • •

سيف العدالة

6- حلبة النزال..

على الرغم من تلك الابتسامة الدبلوماسية، التي لم تفارق شفتي (نعمان والي) حتى نهاية الحفل، إلا أن عروقه كانت تنتفض طيلة الوقت في غضب وتوتر، وعقله لم يهدأ عن التفكير لحظة واحدة.

ومع نهاية الحفل، وانصراف المدعوين، مال نحو الرجل الذي تقاضى منه رشوة الانتخابات، وقال في صرامة:

- انتظر يا (فؤاد).. أريدك وحدك..

شحب وجه (فؤاد) في شدة، وإن لم يملك سوى أن يغمغم في صوت أشد شحوبًا من وجهه:

- كما تأمر يا (نعمان) بك.. كما تأمر.

انتحى الرجل جانبًا، وهو يرتجف، حتى انتهى (نعمان) من وداع ضيوفه، ثم التفت إليه، وحدجه بنظرة صارمة طويلة، قبل أن يقول:

- اتبعني.

قالها واتجه إلى حجرة مكتبه، فتبعه الرجل وساقاه تصطكان رعبًا، وخلفه (سيد) بقامته المديدة وجسده الضخم، المفتول، حتى وصل الموكب الصغير إلى حجرة مكتب (نعمان)، فأغلق (سيد) باب الحجرة في إحكام، ووقف أمامه عاقدًا ساعديه أمام صدره، في حين جلس (نعمان) خلف مكتبه، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه، وراح يتطلع إلى (فؤاد) في برود صارم، فازدرد (فؤاد) لعابه في صعوبة، وغمغم والعرق البارد يغمر وجهه:

- هل هناك شيء ما يا (نعمان) بك؟

ظل (نعمان) يحدجه بنفس النظرة الباردة الصارمة الصامتة لحظات، قبل أن يميل نحوه، قائلاً بغتة:

- ما رأيك الشخصي في (نعمان والي) يا (فؤاد)؟

ازدرد (فؤاد) لعابه في عسر، وابتسم ابتسامة عصبية متوترة، وهو يغمغم:

- لماذا يا (نعمان) بك؟

هب (نعمان) من مقعده بغتة، وضرب سطح مكتبه براحته في قوة، وهو يهتف في غضب:

- لأنني أكره أن يخدعني أحد.

غابت الدماء من وجه (فؤاد) تمامًا، وهو يقول في همس يفيض بالرعب:

- يخدعك؟

صاح (نعمان):

- نعم يا (فؤاد).. يخدعني.

انكمش (فؤاد) في مقعده، وراح يرتجف كعصفور مبتل في مهب الريح، وتجمعت دمعة كبيرة في عينيه، وهو يقول:

- (نعمان) بك.. إنني...

قاطعه (نعمان) وقد هدأ فجأة:

- أتعلم كيف بلغت أنا كل ما بلغته يا (فؤاد)؟ لقد فعلت لأنني أفكر.

وأشار إلى رأسه، هاتفًا في حدة:

- أفكر جيدًا..

وعاد صوته إلى هدوئه بغتة، وهو يتابع:

- ربما لا تدرك قيمة التفكير، ولكنه حقًا شيء رائع، فأنا أدرس كل أمر يواجهني، وأمحصه بمنتهى الدقة؛ حتى يقتنع به عقلي.

ولوح بذراعه مردفًا:

- تمامًا كما فعلت الليلة.

تمتم (فؤاد)، وقد شارف الانهيار:

- (نعمان) بك.. صدقني.. إنني...

أوقفه (نعمان) بإشارة صارمة من يده، وهو يتابع:

- الليلة بدا لي كل ما حدث عجيبًا، مثيرًا للدهشة والحيرة، فلقد تحدثت إليَّ أنت حول الانتخابات القادمة، ودفعتنّي بحديثك إلى محاولة إتمام صفقة قذرة معك على الفور، وكان هذا يستتبع بالضرورة ذهابنا معًا إلى حجرة مكتبي، وفتحي خزانتي، وعندما فعلت، وجدت داخل الخزانة بطاقة تحمل رسمًا لعقرب ذهبي، وفجأة ظهر في مكتبي رجل مقنع، متشح بالسواد، هددني بتحطيم حياتي تماما، واختفى ذلك المقنع بغتة.. سيناريو رائع، يشبه كثيرًا أحد أفلام (والت ديزني) الشهيرة، ولكن....

بتر عبارته، وهو يميل نحو (فؤاد)، مستطردًا في صرامة:

- لم يقتنع عقلي بهذا أبدًا.

وعاد يجلس خلف مكتبه، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه، متابعًا:

- كان من المحتم أن يكون هناك تفسير منطقي لكل هذا، ولقد قضيت السهرة كلها أفكر.

وأبحث عن تفسير للأحداث، وبعد كل هذا الجهد العقلي، وجدت تفسير الكثير من الأحداث، فالبطاقة يمكن دسها في رزمة أوراق نقد، بحيث أضعها أنا بنفسي في الخزانة، دون أن أنتبه إلى ذلك، والمقنع يمكنه أن يتسلل إلى قصري ببطاقة دعوة مزيفة، وهو يخفي زيه أسفل حلة سهرة أنيقة، ويمكنه أيضًا أن يقفز مغادرًا المكان، قبل أن تصيبه رصاصة (سيد)، فينزع قناعه وقفازيه في سرعة، ويرتدي سترة أنيقة، ورباط عنق طريف، ويختفي بين المدعوين.. كل هذا ممكن ومنطقي،

وانعقد حاجباه في شدة، وهو يستطرد:

- فيما عدا نقطة واحدة.

بدا (فؤاد) أقرب ما يكون إلى الانهيار، وهو يغمغم:

- (نعمان) بك....

قاطعه (نعمان) في غضب:

- هذه النقطة هي المصادفة العجيبة، التي جعلتك تدفعني إلى حجرة المكتب، وإلى منحك النقود، في نفس التوقيت الذي ظهر فيه ذلك المقنع، الذي يظن نفسه بطلاً من أبطال روايات السينما الأمريكية.

ولوح بذراعيه، مستطردًا في حدة:

- وأنا رجل معقد في الواقع، لا أميل أبدًا إلى الإيمان بالمصادفات، حتى إنني أتساءل الآن، ماذا كان سيفعل هذا المقنع لو أنني لم أذهب معك إلى حجرة المكتب؟ كيف كان سيواجهني بهذه الصفاقة؟

انهار (فؤاد) تمامًا، وانحدرت دموعه على وجنتيه، وهو يهتف:

- الرحمة يا (نعمان) بك!! الرحمة!!

صاح به (نعمان) في ثورة:

- إذن فقد خنتني أيها القذر!! كيف جرؤت؟ كم تقاضيت مقابل هذا؟

هتف (فؤاد) في انهيار:

- لم أتقاضَ قرشًا واحدًا يا (نعمان) بك.. صدقني.. لقد عثر ذلك (العقرب) على أدلة تدينني في واقعة رشوة سابقة، وهددني بتقديم الأدلة إلى النيابة، ما لم أدفعك إلى دخول مكتبك وسط الحفل، في توقيت محدود، ولم.. ولم أجد ضيرًا في ذلك.. أقسم لك إن هذه كل الحقيقة.

انعقد حاجبا (سيد) في توتر، في حين انقض (نعمان) على (فؤاد)، وجذبه من ياقة

ستره في عنف، ليتنزعه من مقعده في قسوة، وهو يهتف به:

- وكيف يبدو هذا (العقرب)؟ من هو ؟ من يشبه؟

هتف الرجل متهارًا:

- لست أدري.. أقسم لك لست أدري.. لقد فوجئت به في حجرة نومي، مرتديًا ذلك القناع المخيف، ولست أدري من هو .. أقسم لك.

دفعه (نعمان) إلى مقعده مرة أخرى، وهو يهتف:

- أيها الحقير..

ثم اعتدل، مستطردًا في توتر بالغ، موجهًا حديثه إلى (سيد):

- يبدو أننا نواجه خصمًا مختلفًا هذه المرة يا (سيد)، فمن الواضح أن هذا (العقرب) يجيد التخطيط إلى درجة مخيفة، وأنه مثلي، لا يترك مجالاً في عماء للمصادفات، ثم إنه يمتاز بجرأة نادرة، حتى يواجهني في قصري على هذا النحو، وهو في الوقت ذاته ذكي؛ حيث أدرك أن الحفل في القصر سيعيقني عن مواجهته كما ينبغي، وسيسمح له بالإفلات مني في سهولة، ثم إنه يملك عقلية تقليدية، تأثرت كثيرًا بأفلام الخيال؛ مما يدفعه إلى اتخاذ زي مثير كزيه هذا، وقناع غامض، أضف إلى هذا أنه - كما أعلن بنفسه - لا يتبع قانونًا ولا قواعد..

وصمت لحظة، ثم أضاف في حزم:

- إننا نواجه خصمًا مخيفًا بحق هذه المرة.. نواجه عقربًا بشريًا.

وصمت لحظة أخرى، قبل أن يضيف في توتر ملحوظ:

- ويا له من عقرب!

• • •

تثاءب حارس مزرعة الثعالب، التي يمتلكها (نعمان والي) وهو يقول لزميله في ضجر

- يا لها من مهمة سقيمة!! إننا نقضي ليلنا كله لحراسة عدد من الثعالب القذرة الجائعة.

ابتسم زميله، وهو يقول:

- هذه الثعالب القذرة يباع فراؤها بمئات الجنيهات يا رجل، ويقال إن الجوع هو الذي يجعل فراء الثعالب أكثر جودة، ثم إننا نتقاضى راتبًا ضخمًا لقاء هذا.

ابتسم الأول في ملل، وهو يقول:

- تصور أنني لم أسمع في حياتي كلها عن مزارع الثعالب هذه، قبل أن ألتحق بالعمل في

خدمة (نعمان والي)هذا، وحتى بعد أن عملت بها، مازلت أشعر بالدهشة لوجودها في (مصر).

هز زميله كتفيه، وقال:

- إنها ليست الأولى من نوعها في (مصر)، ثم إنك مع (نعمان والي) تلتقي دومًا بالجديد، فهو يمتلك العديد من المنشآت: مزرعة الثعالب هذه، ومزرعة ضخمة للدواجن، وشركة هندسية كبرى للمقاولات، وملهى ليليًا.

هتف الأول ذاهلاً:

- ملهى ليليًا؟! هل يمتلك (نعمان والي) ملهى ليليًا؟

ابتسم زميله ابتسامة العالم ببواطن الأمور، وقال:

- إنه يمتلكه فعليًا، ولكن الملهى مسجل باسم (سيد)، الرجل الأول بعده.

هز الأول رأسه، مغمغمًا:

- عجيب هو (نعمان) هذا.. إنه..

بتر عبارته بغتة، على نحو أثار دهشة زميله، فاعتدل يسأله:

- ماذا هناك؟

أشار إلى أضواء سيارة قريبة، وهو يقول:

- هناك سيارة توقفت إلى جوار سور المزرعة.

ابتسم زميله وهو يقول:

- وماذا في هذا؟ المزرعة مقامة على الطريق مباشرة، ثم من يفكر في سرقة الثعالب؟!

قال الأول في صرامة:

- من يدري؟

ثم أمسك مسدسه، مستطردًا:

- سأتحرى الأمر.

هز زميله كتفيه، مغمغمًا:

- كما يحلو لك.. سأبقى أنا هنا.

استرخى في مقعده، يراقب زميله، الذي غادر بوابة المزرعة، واتجه نحو سيارة النقل الضخمة، ذات الصندوق الخلفي المغلق، وهو يضع كفه فوق عينيه، متلاشيا ضوء مصباحي السيارة المبهر، هاتفًا:

- هل لديك مشكلة أيها السائق؟

أتاه صوت أنثوي يقول:

- بل عدة مشاكل أيها الزميل.

انتبهت حواس الحارس كلها، مع سماع الصوت الأنثوي، وقال في دهشة:

- أأنت امرأة؟

شاهد مع الضوء المبهر ظل أنثى تغادر كابينة قيادة السيارة الضخمة، وسمع صوتها تقول في لهجة أقرب إلى السخرية:

- يقولون سيدة أيها الوقح.

لم يدر لماذا رفع مسدسه، وهو يهتف في دهشة:

- ماذا؟

وفجأة تحركت قدم أنثى في مرونة أنيقة، وركلت مسدسه في قوة، فأطاحت به بعيدا، ثم عادت إلى موقعها، وهو يتراجع هاتفًا:

- من أنت؟

لم يكد يتم عبارته، حتى قفزت قدمها الأخرى إلى فكه لتخرسه تمامًا، فهوى عند قدميها فاقد الوعي، فهب زميله من مكانه، وهتف في حدة:

- اللعنة!.. ما هذا؟

اندفع خارج كشك الحراسة، وهو يشهر مسدسه، صائحًا في لهجة صارمة حازمة:

- قفي والا....

قبل أن يتم عبارته، قفز جسد متشح بالسواد من فوق صندوق سيارة النقل الضخمة، واستقر على قدميه أمامه تمامًا..

وتراجع الحارس في دهشة، وهو يرى أمامه رجلاً مقنعًا، أطلت صرامة الدنيا كلها من عينيه، ورفع فوهة مسدسه إليه في سرعة وخوف، ولكن المقنع تحرك في سرعة مدهشة، فأحنى رأسه، ورفع ساعده الأيسر ليدفع ذراع الحارس، الممسكة بالمسدس إلى أعلى، ثم انقضت قبضته اليمنى على فك الحارس كالقنبلة.

وتراجع الحارس في عنف إثر اللكمة، وقبل أن يعتدل مرة أخرى، غاصت قدم المقنع في معدته، وقفزت قبضته اليسرى تحسم الصراع بلكمة ساحقة..

وسقط الحارس الثاني فاقد الوعي..

وهتفت (غادة):

- رائع.. من الواضح أنك قد استفدت كثيرًا من عملك بالشرطة.

قال (العقرب) في هدوء، وهو يجذب الحارس إلى كشك الحراسة:

- هل تحتاجين إلى مكبر صوتي لإعلان هذا؟

ضحكت مغمغمة:

- ربما فيما بعد.

ثم جذبت الحارس الآخر إلى الكشك، وهي تستطرد:

- لقد فاجأتني بهذه العملية في الواقع، فلقد تصورت أننا سنخلد للنوم، بعد عملية الحفل.

قال في هدوء:

- أفضل وسيلة لتشكيل الحديد، هي طرقه ساخنًا، ثم إن لعبة الليلة تروق لي كثيرًا، وستكون أفضل وسيلة للإعلان عن (العقرب).

راحا يقيدان الحارسين، ويكممان فمهما في إحكام، ثم أخرج هو من جيبه واحدة من بطاقاته، وثبتها في ياقة أحد الحارسين، وهو يقول في فخر:

- (العقرب) فعل هذا.

ثم التفت إلى زميلته، مستطردًا:

- هيا بنا.. فسيحتاج منا الجزء الأول من اللعبة بعض الوقت.

واتجه نحو سيارة النقل الضخمة في هدوء.

وكان قد اختار أول حلبة لنزاله مع (نعمان والي)..

وأول إعلان لمولد سيف العدالة المسلط على رءوس المجرمين..

العقرب..

• • •

سيف العدالة

7- إعلان ميلاد..

لم تكن عقارب الساعة قد تجاوزت السادسة صباحًا بعد، عندما ارتفع رنين الهاتف المجاور لفراش (نعمان والي) مباشرة، فنهض هذا الأخير هاتفًا في حنق:

- اللعنة!! إنني لم أحصل على قدر كاف من النوم بعد.

ألقى نظرة محنقة على ساعة معصمه، ثم رفع سماعة الهاتف، وهو يقول في حدة:

- أتعشم أن يكون سبب اتصالك في مثل هذه الساعة مناسبًا، وإلا فإنني أقسم أن...

بتر عبارته بغتة، وانعقد حاجباه، وهو يقول في توتر:

- من؟! لماذا تتصلون بي في هذا الوقت المبكر؟

قفز من فراشه، وقفز حاجباه إلى أعلى، في مزيج من الدهشة والذعر والاستنكار، وبدا وكأنهما سيتجاوزان فروة رأسه، من شدة ارتفاعهما، وهو يصرخ:

- كيف؟! اللعنة!! كيف حدث هذا؟

استمع لحظات، والغيظ يملأ كل خلجة من خلجاته، قبل أن يعاود الصراخ:

- (العقرب)؟! (العقرب) مرة أخرى؟

ثم ارتفع حاجباه مرة ثانية، وهو يواصل صراخه:

- أيها الأغبياء.. كيف يفعل بكم هذا أيها الحمقى؟

واتسعت عيناه في ذعر، مستطردًا:

- أبلغتم الشرطة؟! ولماذا فعلتم؟! مهما كان الأمر، كان من الضروري استشارتي أولاً.

وأعاد سماعة الهاتف في قوة كادت تحطمها، وهو يقفز من فراشه، هاتفًا في سخط:

- يا للأغبياء!! يا للأوغاد!! يا للحمقى!!

ارتدى ثيابه في عجلة شديدة، ثم اندفع خارج حجرة نومه، وصرخ في رئيس خدمه، الذي استيقظ قلقًا لحركة سيده، في هذه الساعة المبكرة من الصباح:

- اتصل بـ (سيد)، واطلب منه أن يحضر إلى هنا على الفور، وأيقظ ذلك السائق الكسول، واطلب منه إعداد السيارة الكبيرة.

أشعل واحدة من سجائره، وراح ينفث دخانها في عصبية وهو يردد محنقًا:

- ماذا يريد مني هذا المقنع اللعين؟ ماذا يبتغي مما يفعله بي؟

لم يكد ينتهي من سيجارته، حتى وصل (سيد) الذي يقيم بجناح ملحق بالقصر، وهو يقول في قلق وتوتر:

- ماذا حدث أيها الزعيم؟ لماذا استيقظت مبكرًا هكذا؟!

صرخ به (نعمان):

- سأقطع لسانك إذا ما خاطبتني بذلك اللقب مرة أخرى.

تراجع (سيد)، مغمغمًا:

- معذرة يا (نعمان) بك.. معذرة.

هتف (نعمان) في حنق:

- هيا بنا.. ينبغي أن ننطلق على الفور إلى مزرعة الدواجن.

سأله وهو يتبعه في قلق:

- لماذا؟ ماذا حدث هناك؟

قال (نعمان) في سخط، وهو يقفز إلى المقعد الخلفي لسيارته الفاخرة، التي أعدها سائقه الخاص للانطلاق على الفور:

- لقد ضرب (العقرب) ضربته الثانية هناك.

لم يكد (سيد) يقفز إلى جواره، حتى انطلقت بهما السيارة، وهو يهتف في ذهول:

- ضرب ماذا؟! وماذا فعل؟ هل قتل الدجاج كله؟

ضرب (نعمان) فخذه براحته في ثورة، وهو يقول:

- بل.. لقد نفذ ضربة مزدوجة، فذهب بسيارة نقل ضخمة إلى مزرعة الثعالب، وهزم حارسيها، وحمل كل الثعالب الجائعة في صندوق السيارة الضخم، ثم تسلل إلى مزرعة الدواجن، وفتح كل الأقفاص، وبعدها اقتحم المزرعة بسيارة النقل الضخمة، وأطلق سراح الثعالب، وتركها تقتنص الدجاجات في شراهة.

استمع إليه (سيد)، وهو يفغر فاه ذهولاً، قبل أن يتمتم:

- يا له من رجل!!

ثم أضاف في غضب:

- إنني لم أتوقع أبدًا أن يضرب ضربته الثانية في الليلة ذاتها.

قال (نعمان)، وهو يعض نواجذه غضبًا وغيظًا:

- ولا أنا.. ولكن من الواضح أن هذا (العقرب) أذكى منا جميعًا.

ثم أضاف، وهو يلوح بذراعه في سخط:

- والأدهى أن حراس مزرعة الدواجن الأغبياء قد أبلغوا رجال الشرطة، ولم يعد بإمكاننا إخفاء أمر هذا اللعين.

عقد (سيد) حاجبيه مفكرًا، وهو يقول:

- وماذا في هذا يا (نعمان) بك؟ إنني أجد هذا أفضل كثيرًا، فعندما نتحالف مع الشرطة ستزداد فرصة الإيقاع بهذا المتجبر كثيرًا، فمن المستحيل أن ينجح رجل واحد في هزيمتنا نحن والشرطة معًا.

تطلع إليه (نعمان) في صمت لحظات، ثم هز رأسه مغمغمًا:

- نعم.. ربما كان هذا أفضل؛ لقطع ذنب (العقرب).

ثم ضم قبضته في شدة، مستطردًا:

- وبعدها سأسحقه بنفسي.. سأسحقه سحقًا.

• • •

عقد العقيد (مجدي) حاجبيه في شدة، وهو يدير عينيه في أرجاء مزرعة (نعمان والي) للدواجن، قبل أن يقول في حدة:

- أي شيطان فعل هذا؟ لقد أطلق الثعالب الشرهة على الدجاج، وترك قانون الطبيعة يعمل.

ابتسم اللواء (حلمي)، وهو يقول في هدوء:

- إنها فكرة لا تخلو من الطرافة على أية حال.

تطلع إليه (مجدي) في دهشة واستنكار، فأضاف في رصانة:

- ولكنها جريمة على كل الأحوال.

- ثم التفت إلى رئيس حراس مزرعة الدواجن، يسأله:

- كيف بدأ كل هذا؟

قال كبير الحراس في انفعال واضح:

- لقد حدث كل شيء في سرعة، فلقد كنا نستبدل نوبة حراسة ليلية، عندما ارتفعت أصوات الدجاج، كما لو أن أقفاصها قد فتحت، وهذه الأقفاص تفتح بوسيلة إلكترونية، بحيث يكفي الضغط على زر واحد لفتحها كلها.. المهم أن صوتها جعلني أطلب من اثنين من رجالنا تفقد الأمر، وعندما ذهبا إلى حيث الأقفاص، فوجئنا برجل مقنع، متشح بالسواد يقفز متجاوزًا سور المزرعة إلى الخارج.

عقد العقيد (مجدي) حاجبيه في شدة، وهو يقول في استنكار:

- مقنع متشح بالسواد؟!!

أشار إليه اللواء (حلمي) أن يصمت، وهو يسأل كبير الحراس:

- ألم يطلق عليه رجالك النار؟

قال الرجل منفعلاً:

- لقد أخرجا مسدسيهما بالفعل، وقبل أن يطلق أحدهما رصاصة واحدة، اقتحمت سيارة النقل الضخمة بوابة المزرعة، وانفتح صندوقها الخلفي، واندفع منه مئات الثعالب الشرهة.

وارتجف جسده، وهو يستعيد ذكرى الموقف، قبل أن يستطرد في شحوب:

- وكان الموقف رهيبًا، فقد راحت الثعالب تعدو في كل الاتجاهات؛ مما أصابنا بالرعب، فرحنا نطلق النيران عليها، ولكن الجزء الأكبر منها انطلق نحو أقفاص الدجاج، وراح يلتهم الدواجن في شراهة.

وانتفض جسده مرة أخرى، قبل أن يردف:

- كان موقفًا رهيبًا بحق.

سأله اللواء (حلمي) في اهتمام:

- وماذا فعل المقنع؟

قال الرجل في ضيق:

- لحق بسيارة النقل، التي تقودها زميلته، وانطلقا مبتعدين، دون أن ننجح في ملاحقتهما، بسبب الاضطراب الهائل الذي أصاب المكان.

هتف العقيد (مجدي) في دهشة:

- زميلته؟! ومن أدراك أن من كان يقود السيارة الضخمة فتاة؟

تطلّع إليه الرجل في حيرة، وهو يقول:

- إنني لم أرها في الواقع، ولكن زميلينا في مزرعة الثعالب قالا إنها فتاة.

قال اللواء (حلمي):

- حسنًا.. إنني أفهم ذلك، فلقد أخبرنا زميلاك في مزرعة الثعالب ما لديهما، بعد أن أطلقنا سراحهما، ولقد وجدنا في ياقة أحدهما بطاقة تحمل رسمًا لعقرب ذهبي.

هتف كبير الحراس:

- يا إلهي!! لقد وجدنا مثلها مثبتة عند زر التحكم في فتح أقفاص الدجاج.

قال العقيد (مجدي) في حدة:

- أية سخافة هذه؟ من ذلك المجرم التافه الذي يحاول تقليد (أرسين لوبين)؟

غمغم اللواء (حلمي):

- ربما هو ليس تافهًا كما تتصور يا رجل.

ثم شرد بذهنه، مستطردًا في خفوت، وكأنما يحدث نفسه:

- رجل وفتاة!! يا للعجب!

قال (مجدي) في ضيق:

- هذا الأمر يبدو لي سخيفًا.

أشار (حلمي) إلى نهاية مزرعة الدواجن، قائلاً:

- يبدو أنك ستجد من يشاركك في هذا الشعور، فلقد وصل (نعمان والي)..

غادر (نعمان والي) سيارته في هذه اللحظة، وراح يتلفت حوله كالمجنون، وهو يردد في غضب هائل:

- لقد أطلق الحراس الأغبياء النار على ثعالبي.. لقد أفسدوا الفراء الثمين.

قال اللواء (حلمي) في هدوء:

- يمكنك ترحيل هذا إلى بند الخسائر يا سيد (نعمان).

هتف (نعمان) محنقًا:

- بند الخسائر؟! لا يا سيادة اللواء.. إنني رجل أومن بنظرية الثأر، ولن يهدأ لي بال حتى توقعوا بذلك المجرم اللعين، الذي حطم مزرعتين من مزارعي في ليلة واحدة.

قال اللواء (حلمي) دون أن يفارقه هدوءه:

- ثق أننا سنبذل أقصى جهدنا يا سيد (نعمان)، ولكن قل لي أولاً: ألديك فكرة عمن فعل بك هذا؟

فكر (نعمان) لحظة في إخفاء ما لديه، إلا أنه لم يلبث أن اندفع قائلاً:

- بالتأكيد.. إنه (العقرب).

عقد (مجدي) حاجبيه في استنكار، هاتفًا:

- من؟!

أدار (نعمان) عينيه إليه، قائلاً في حدة:

- (العقرب).. إنه شاب وقح مقنع، يترك خلفه دومًا بطاقة، تحمل رسمًا لعقرب من الذهب.

ردد (مجدي) في استهجان:

- مقنع وعقارب ذهبية؟! أي هراء هذا؟! إننا في (مصر)، ولسنا في أحد أفلام المغامرات الهزلية الأمريكية!!

أشار إليه اللواء (حلمي) أن يصمت، ثم سأل (نعمان) في اهتمام:

- وما الذي يجعلك واثقًا من أمر (العقرب) إلى هذا الحد؟

أجابه في حدة:

- لأنه هاجمني في قصري، وترك لي بطاقته.

ارتفع حاجبا (مجدي) في دهشة، وهو يهتف:

- في قصرك؟!

أما اللواء (حلمي)، فقد ابتسم، وكأنما راق له الأمر، وهو يقول بنفس الهدوء:

- في قصرك، ووسط رجالك وأمنك؟! يا له من جرىء!

هتف (نعمان) في حنق:

- إنه وقح، لقد وقف على نافذة حجرة مكتبي، يحدثني عن الفارق بين العدالة والقانون.

ابتسم اللواء (حلمي) أكثر، وسأله:

- قل لي يا سيد (نعمان).. هل يمكنك أن تصف ذلك الشاب؟

قال (نعمان) في عصبية:

- إنه نحيل، ممشوق القوام، طويل، ولقد كان يرتدي قناعًا أسود اللون وزوجًا من القفازات السوداء، و...

قاطعه اللواء (حلمي) في اهتمام:

- هل يمكنك أن تعرفه؟

حدق (نعمان) في وجهه بدهشة، قبل أن يلوح بكفه، هاتفًا في حنق:

- قلت لك إنه كان يخفي وجهه بقناع أسود.

قال اللواء (حلمي) في هدوء:

- إذن فأنت تعجز عن أن تعرفه.

التفت العقيد (مجدي) إلى رئيسه في دهشة، فقد خيل إليه أنه قد نطق عبارته الأخيرة في ارتياح، وإن لم ينتبه (نعمان) إلى هذا، وهو يهتف محنقًا:

- بالطبع.

ابتسم اللواء (حلمي) في ارتياح، وهو يقول:

- حسنًا يا سيد (نعمان)، سأرسل في طلب رجل المعمل الجنائي لفحص المكان، وسأرسل إليهم البطاقات؛ للبحث عن أية بصمات فوقها، كما سأقوم بتوزيع نشرة بأوصاف المقنع.

غمغم (نعمان) في سخط:

- لست أظن ذلك يفيدنا شيئًا.

قال اللواء (حلمي) في هدوء:

- من يدري يا سيد (نعمان)؟ من يدري؟

وعندما اتجه إلى سيارة الشرطة، كان يضيف في همس:

- حان الوقت لتتجرع من نفس الكأس.

سأله (مجدي)، وسيارة الشرطة تنطلق بهما مبتعدة:

- ألا يبدو لك كل هذا مثيرًا للدهشة والحيرة يا سيدي؟!.. شاب مقنع، وفتاة، وبطاقات حمل عقربًا ذهبيًا.. هذه الأمور لم تحدث أبدًا في (مصر).

ابتسم اللواء (حلمي) ابتسامة غامضة، وهو يقول:

- لكل شيء بداية يا ولدي، ومن الواضح أننا نشهد لحظة ميلاد..

واتسعت ابتسامته، وهو يضيف:

- ميلاد (العقرب)...

• • •

سيف العدالة



8- بلا كلل..

في الوقت الذي وقف فيه (نعمان) يرغي ويزبد، وسط مزرعة الدواجن، توقفت سيارة من طراز قديم، أمام إسطبله الخاص، على بعد كيلومترات قليلة من (القاهرة)، وهبط منها كهل أشيب الشعر، يرتدي منظارًا طبيًا كبيرًا، وقد أطلق لحيته الشيباء، وتبعته ممرضة حسناء، في زيها الأبيض التقليدي، واتجه الاثنان نحو حارس الإسطبل، وقال الكهل في لهجة تحمل الكثير من نفاد الصبر:

- أهذا إسطبل (نعمان والي)؟

أجابه حارس الإسطبل في حذر:

- نعم.. هذا إسطبل (نعمان بك والي)، ماذا تريدان؟

قال الكهل في ضيق:

- أنا الطبيب البيطري الجديد، هلا أفسحت لنا الطريق لنفحص ذلك الجواد، الذي سيشارك في سباق اليوم.

عقد الحارس حاجبيه، وهو يقول:

- مستحيل! إنني أجهل من أنت، فهذه الجياد يرعاها الدكتور (بدران)، وهذا الجواد بالذات يمنع سيدي اقتراب أي كائن منه، في أيام السباق بالذات، فهو جواده المفضل.

قال الكهل في غضب:

- هل تتهمني بالكذب أيها الوقح؟ إنني الطبيب البيطري الجديد، فلقد ترك (بدران) العمل أمس، ورئيسك أمرني شخصيًا بفحص الجواد، وهذه ورقة موقعة باسمه.

ألقى الحارس نظرة على توقيع على توقيع (نعمان)، ثم قال في حزم:

- ولكن السيد لم يرسل أية ورقة من قبل.. إنه يتحدث عبر الهاتف عادة.

قال الكهل في حنق:

- هاتفكم معطل، وليس لديّ الوقت الكافي لهذا العبث.. هل أفحص الجواد قبل السباق أم تتحمل أنت المسئولية أمام رئيسك؟

تردد الحارس لحظات، وعاد يلقي نظرة على توقيع (نعمان)، ثم قال وهو يدس الورقة في جيبه:

- لا بأس.. يمكنك فحصه.

ثم استدرك في حزم:

- ولكنني سأحتفظ بالأمر المكتوب.

ابتسمت الممرضة، وقالت:

- بالطبع يا فتى.. احتفظ به.

هتف الحارس بغتة:

- مهلاً.. لحظة.

والتقط سماعة الهاتف، ووضعها فوق أذنه لحظات، ثم أعادها إلى موضعها مغمغمًا:

- إنه معطل بالفعل.. يمكنكما فحص الجواد.

ابتسم الكهل قائلاً:

- شكرًا يا ولدي.. لن تندم على قرارك هذا.. لن تندم أبدًا..



عاد (نعمان) إلى قصره في التاسعة والنصف، والغضب يعصف بنفسه، وراح يسب ساخطًا طيلة الوقت، وهو يقول لـ (سيد):

- يبدو أنها لن تكون أبدًا معركة هينة يا (سيد)، ولكم يحنقني هذا، أنا الذي قاتلت على كل الجبهات، ولم أخسر معركة واحدة قط.

غمغم (سيد):

- هذه المعركة تختلف يا سيدي.

هتف محنقًا:

- بالتأكيد، فنحن لا نقاتل جهازًا قانونيًا، برع محاميّ في مراوغته، والإفلات منه.. إننا نواجه فردًا واحدًا، يبغضني أشد البغض، ولا يتبع أية قواعد معروفة.

أضاف (سيد):

- ثم إنه يتحرك في سرعة مربكة.

زفر (نعمان) في قوة، وهو يقول:

- وهذا ما يقلقني.

واستطرد وهو يدور حول مكتبه في توتر:

- ترى أين سيضرب ضربته القادمة؟ أين؟

لم يكد يتم عبارته، حتى ارتفع رنين الهاتف، فاختطف سماعته في سرعة، ووضعها على أذنه، قائلاً:

- هنا (نعمان والي)، من المتحدث؟

ارتجف جسده في قوة، حينما جاءه الجواب بكلمة واحدة:

- (العقرب)..

عجز لنصف دقيقة عن التفوه بحرف واحد، ثم هتف في صوت متحشرج، يموج بالغضب والانفعال:

- ماذا تريد؟

أتاه الصوت الصارم القوي يقول:

- لا شيء.. أردت أن أخبرك أنني قد قمت بزيارة لجوادك المفضل (رهوان)، الذي يستعد لخوض سباق اليوم.

اتسعت عينا (نعمان)، واشتدت قبضته على سماعة الهاتف، وهو يقول في حدة:

- ماذا فعلت به؟

أجابه الصوت الصارم:

- اطمئن.. مجرد منوم قوي.. لن يشارك جوادك العزيز في سباق اليوم حتمًا، ولكنني علقت في أذنه بطاقتي.

صرخ (نعمان):

- أيها الوغد.. أيها الحقير.

أجابه صوت حازم، تتجمد له الدماء في العروق:

- أنت هو الوغد الحقير يا (نعمان)، وما هي إلا البداية فحسب.. لقد سبق أن أخبرتك أنه لن يهدأ لي بال حتى أدمرك تدميرًا.. هل تذكر؟

أعاد (نعمان) سماعة الهاتف في عنف، وقد احتقن وجهه في شدة، فسأله (سيد) في قلق:

- أكان هو؟

أجابه في توتر واضح:

- نعم.. كان هو .

ثم لوح بيده مستطردًا في ثورة:

- لقد دس منومًا قويًا لـ (رهوان).

ارتفع حاجبا (سيد) في دهشة، وهو يهتف:

- يا إلهي!! وكيف توصل إليه؟

أشعل (نعمان) سيجارته في عصبية، وهو يقول:

- من الواضح أنه يعلم كل شيء عني.

ونفث دخان السيجارة في قوة، وهو يستطرد:

- وأنه يجيد اللعبة.

هتف (سيد) في غضب:

- وهل سنتركه يلعبها حتى النهاية؟

عقد (نعمان) حاجبيه في قوة، وبدا من الواضح أنه يفكر في عمق وهو يقول:

- من الواضح أنه يسعى إلى إنهاكي بضربات سريعة متتالية، قبل أن يضرب ضربته الكبرى، ومن الواضح أيضًا أن هذه الضربات السريعة تتجه كلها إلى ممتلكاتي المعروفة.

سأله (سيد) في اهتمام:

- وماذا يمكننا أن نفعل؟

جذب (نعمان) نفسًا قويًا من سيجارته، وتألقت عيناه في شراسة، وهو يجيب:

- نستعد للضربة القادمة بالتأكيد.

ثم التفت إلى (سيد)، مستطردًا في حماس:

- مر رجالنا بتشديد الحراسة على كل ممتلكاتي، وأخبرهم أنني سأمنح كل من يعمل بإذني بطاقة خاصة، عليهم أن يطالبوا الجميع بإبرازها، على ألا يشاع الأمر، وفي هذه الحالة سيكون (العقرب) وحده هو الذي لا يحمل البطاقة الخاصة؛ لأنه يجهل وجودها.

قال (سيد) بنفس الحماس:

- هل أطلب منهم إلقاء القبض عليه فور كشفهم أمره؟

أجابه (نعمان) في حزم:

- ألم تسمع ما قاله (العقرب) بنفسه يا رجل؟! إننا لا نتبع قواعد القانون هذه المرة، ولهذا لن نطالب رجالنا بإلقاء القبض عليه.

وعادت عيناه تتألقان بنفس الشراسة، وهو يستطرد:

- بل بقتله.. قتله على الفور..

• • •

سيف العدالة

9- الشـــك..

تهللت أسارير (غادة)، وارتسمت على شفتيها الجميلتين ابتسامة ترحاب، عندما شاهدت اللواء (حلمي) يخطو داخل مكتب المحاماة، الذي يحمل اسم (نديم فوزي)، وأسرعت إليه هاتفة:

- مرحبًا يا سيادة اللواء، أي ريح طيبة أرسلتك إلينا؟

ابتسم اللواء (حلمي) مدير المباحث الجنائية، تلك الابتسامة الحنون، التي تحمل الكثير من ملامح الأبوة في أعماقه، وهو يقول:

- بل قولي أية نسمة رقيقة يا بنيتي؟ فأنت تشبهينها كثيرًا.

أطلقت ضحكة مرحة صافية، وهي تقول:

- أيمكنني اعتبار هذا نوعًا من الغزل؟

ابتسم أكثر وهو يقول:

- ولم لا؟ إنني لم أبلغ من الكبر عتيًا بعد، ثم إنك لم تعودي تعملين تحت إمرتي.

ضحكت قائلة:

- لعل هذا أفضل حسنات الاستقالة.

تلفت بعينيه في أرجاء المكتب في اهتمام، وهو يسألها:

- أين (نديم)؟

أشارت إلى باب يحمل اسم (نديم فوزي)، وهي تقول:

- في حجرته بالطبع.

ابتسم في حنان وهو يقول:

- هذا من حسن الحظ، فربما قتلته الغيرة، لو شاهدك تضاحكينني هكذا.

سرت نبرة ضيق في صوتها، على الرغم من ابتسامتها العريضة، وهي تقول:

- اطمئن، هذا الأمر لا يشغل باله أبدًا.

سألها بغتة:

- أبسبب (العقرب)؟

كان أسلوبه بوليسيًا بحتًا، إلا أنه - للأسف - كان يواجه محترفة باردة الأعصاب، لم تختلج في رأسها شعرة واحدة، وهي تحافظ على ابتسامتها، قائلة:

- أي عقرب؟!

تنهد قائلاً:

- لا عليك.. إنما هي عبارة فرت من لساني دون قصد.

ثم اتجه نحو حجرة مكتب (نديم)، مستطردًا:

- أمن الضروري أن يحصل المرء على موعد سابق لمقابلته؟

قالت في هدوء:

- ليس بالنسبة إليك يا سيدي.

دفع اللواء (حلمي) الباب، وتطلع إلى (نديم)، قائلاً:

- صباح الخير يا ولدي.

لوهلة خيل إليه أن (نديم) لم ولن يسمعه، فقد كان شاردًا، يشبك أصابع كفيه أمام وجهه، ويتطلع إلي سقف الحجرة، إلا أنه لم يلبث أن أدار عينيه إليه، وقال في ترحاب:

- مرحبًا يا سيادة اللواء.

لم يبتسم كالمعتاد، وإن حملت عيناه كل مشاعره، وهو ينهض ليصافح رئيسه السابق، مستطردًا:

- كم تسعدني زيارتك لمكتبي.

صافحه اللواء (حلمي) في هدوء، وهو يتفرس في ملامحه، على نحو غير عادي، ثم جلس على مقعد مقابل للمكتب، وهو يقول:

- بل تسعدني أنا رؤيتك يا ولدي.

جلس (نديم) على مقعد مواجه له، وهو يقول:

- هل أعجبك مكتبي يا سيدي؟

أومأ الرجل برأسه إيجابًا، وهو يقول:

- إنه جيد التأثيث، وشديد الأناقة، ولكنه يخلو من العملاء.

أجابه (نديم) برصانته المعهودة:

- سيأتون فيما بعد يا سيدي.

ران عليهما الصمت لحظات، ثم بدا وكأن اللواء (حلمي) قد قرر عدم إضاعة الوقت، فقد سأله بغتة:

- قل لي يا (نديم)، ما الذي تعرفه عن (العقرب)؟

أجابه (نديم) في هدوء:

- أعرف أنه حشرة سامة، من القشريات، ينتشر في المناطق الجبلية والصحراوية، و......

قاطعه وهو يميل نحوه في حدة:

- لست أقصد هذا.

سأله (نديم) في بساطة متناهية:

- ماذا تقصد يا سيدي؟

تطلع اللواء (حلمي) إلى عينيه مباشرة، وهو يقول:

- إنني أقصد (العقرب).

قال (نديم) في براءة:

- أتوجد عقارب أخرى غير التي نعرفها؟

تراجع اللواء (حلمي) في مقعده، وقال دون أن تفارق عيناه وجه (نديم) الجامد:

- بالتأكيد.. هناك عقرب بشرى، يسعى خلف (نعمان والي)، خصمك اللدود، وهذا (العقرب) البشرى شاب متشح بالسواد، يرتدي على وجهه قناع أسود اللون، على غرار أبطال الروايات الهزلية، ويرتدي قفازين من اللون نفسه، ويترك خلفه دومًا بطاقة تحمل رسمًا لعقرب ذهبي..

صمت لحظة، ثم أضاف في حزم:

- وتصحبه فتاة.

قال (نديم) في هدوء:

- أهو فيلم سينمائي هذا يا سيدي؟

هتف اللواء (حلمي)، وقد نفد صبره:

- بل هو حقيقة يا (نديم).. حقيقة تعلمها أنت جيدًا.

أجابه (نديم) بنفس الهدوء:

- لست أعلم شيئًا عن هذا يا سيدي.

ثم مال نحوه مستطردًا:

- ما رأيك في كوب من عصير الليمون؟ أظنك تحتاج إليه، فأعصابك ثائرة للغاية.

حدق اللواء (حلمي) في عينيه لحظات، ثم تراجع مغمغمًا:

- نعم.. أظنني أحتاج إليه بالفعل.

ضغط (نديم) زرًا يجاور مكتبه، فظهر ساعي المكتب الخاص عند باب الحجرة، وأمره (نديم) بإحضار كوبين من عصير الليمون، ولم يكد الساعي يغلق الباب خلفه، بعد إحضار

كوبي العصير، حتى قال اللواء (حلمي)، وقد هدأت أعصابه:

- أتعلم أن (العقرب) هذا ينفذ سياستك يا (نديم)؟

سأله في هدوء:

- كيف يا سيدي؟

قال اللواء، وهو يتفرس في ملامحه جيدًا:

- إنه يسعى للعدالة، مخالفًا بذلك القانون.

قال (نديم):

- ومن قال إن هذه سياستي؟! إنني محامٍ، ومهنتي هي الدفاع عن القانون.

تمتم اللواء (حلمي) وقد أحنقه أن يتخذ الحديث هذا المسار:

- نعم... أنت على حق.

وأشاح بوجهه إلى الناحية الأخرى، مستطردًا:

- ولكن ذلك (العقرب) البشرى يحطم كل منشآت (نعمان) بلا رحمة، وأظنه سيضرب ضربته القادمة في الملهى الليلي.

سأله (نديم):

- وهل يمتلك (نعمان والي) ملهى ليليًا؟

أجابه اللواء (حلمي)، وهو يتحاشى النظر الى عينيه:

- تحرياتنا تقول إنه يمتلكه، ولكنه يسجله رسميًا باسم (سيد)، الرجل الأول في كل شركاته، ولقد أبلغنا أحد مرشدينا بأن إحدى قاعات الملهى الداخلية، تدار للعب القمار، على نحو غير مشروع.

واختلس نظرة إلى (نديم)، وكأنما يرغب في معرفة رد فعله، قبل أن يعود فيشيح بوجهه، مستطردًا:

- أتعلم كم من الأموال يخسرها الأغبياء على موائد القمار؟ إنه مبلغ باهظ بالفعل.

واختلس النظر الى وجه (نديم) مرة أخرى، قبل أن يضيف:

- إنه يكفي لإعالة عشرة ملاجئ للأيتام، لمدة عام على الأقل.

ظل (نديم) صامتًا، يتطلع إليه، وكأنما يحاول أن يستشف ما يدور في عقل رئيسه السابق بدوره، فنهض اللواء (حلمي)، قائلاً:

- حسنًا.. ألف مبروك على المكتب، وسأنصرف أنا، فعندى بضعة أعمال يتعين إنجازها.

نهض (نديم) بدوره، وهو يقول:

- ألن تبقى قليلاً؟

أجابه وهو يتطلع إليه مليًا:

- لا. فأنا أحتاج إلي بعض النوم، خاصة وأنه من المحتمل أن يتم استدعائي ليلاً، إذا ما قرر (العقرب) مهاجمة الملهى الليلي.

قال العبارة الأخيرة في نبرة بطيئة نسبيًا، إلا أن ملامح (نديم) وصوته ظلا جامدين، وهو يقول:

- من يدري يا سيدي؟ من يدري؟

لم يكد اللواء (حلمي) ينصرف، حتى اندفعت (غادة) إلي حجرة (نديم)، هاتفة:

- إنه يعلم بالأمر.. فليقطع ذراعي إن لم يكن كذلك؟

التفت إليها (نديم) وقال في هدوء:

- إذن فقد كنت تسترقين السمع كعادة كل النساء!!

تجاهلت عبارته، وهي تستطرد في انفعال:

- هل لاحظت كيف كان يتحدث إليك؟ لقد أدركت أنه يشك في أمرنا، منذ سألني بغتة عن (العقرب)، وكأنه ينوي الإيقاع بي.. إنه يعلم أنك (العقرب).

قال (نديم) في بساطة:

- ولكنه لا يملك دليلاً.. اطمئني.

هتفت في حنق:

- أتتحدث عن الدليل؟

وعلى الرغم من هدوء ملامحه الشديد، لمحت ضحكة ساخرة في عينيه، وهو يقول:

- بالطبع.. لقد حان دورنا لنتشبث بالقانون.. أليس كذلك؟

حدقت في وجهه لحظة في دهشة، ثم لم تلبث أن ارتسمت على شفتيها ابتسامة، وهي تلقي جسدها على المقعد المقابل له، مغمغمة:

- ألا يقلقك الأمر؟

هز رأسه نفيًا، وهو يقول:

- مطلقًا.

ثم مال نحوها، وتطلع إلى عينيها الجميلتين مباشرة، مستطردًا:

- إن كل ما يملكه اللواء (حلمي) هو مجرد شكوك، ورغبة في تأكيد الأمر نفسه، وإقناعنا بأنه يعرف من هو (العقرب)، وكل ما علينا هو أن نواصل التظاهر بعدم الفهم، وسينتهي كل شيء لصالحنا.

تطلعت إليه لحظات في صمت، ثم هدأ صوتها كثيرًا، وهي تقول:

- ولكنه كان يحاول أن يقودك إلى فخ، بحديثه عن الملهى الليلي، وقاعة القمار السرية.

قال في هدوء:

- أو أنه ينقل إلينا معلومة ما.

هتفت مستنكرة:

- ينقل إلينا معلومة؟! أية فكرة حمقاء تلك؟

قال هادئًا:

- ربما هي ليست حمقاء إلى هذا الحد.

وأضاف وقد عاد إلى نظرته الشاردة:

- وهناك وسيلة بسيطة للتيقن من ذلك.

سألته في فضول ولهفة:

- كيف؟

أجابها وهو يواصل نظرته الشاردة:

- بأن نقبل التحدي.

خفق قلبها في عنف وقلق، قبل أن يلتفت بعينيه إليها، مضيفًا في حزم:

- وأن يضرب (العقرب) ضربته الليلة، في ملهى (نعمان والي) الليلي.

• • •

شيك العدالة

10- احتيـال..

ليس من المألوف، في أماكن اللهو الليلية، أن ترتاد المكان سيدة محترمة وحدها؛ لذا فقد اتجهت أنظار كل رواد الملهى الليلي، الذي يملكه (نعمان والي) سرًا، إلى تلك الشقراء، ذات العينين الخضراوين، التي دلفت إلى المكان منفردة، وهي تسدل على كتفيها فراء ثعلب نادر يشي بثراء لا حد له، والتقطت عيون البعض تلك الأوراق المالية، من فئة الجنيهات العشرة، التي دستها الشقراء في يد رئيس الخدمة في الملهى، الذي انحنى أمامها في احترام ملحوظ، ثم قادها في حماس إلى مائدة خالية، تواجه المسرح تمامًا..

وراحت الشقراء تتابع عروض الملهى في ضجر ملحوظ، وهي تشعل سيجارة تلو الأخرى في نهم، حتى أشارت إلى رئيس الخدم في عصبية، فأسرع إليها، وانحنى أمامها انحناءة كبيرة، خشي البعض معها أن ترتطم رأسه بحافة مائدتها، وهو يقول في احترام شديد، صنعته رزمة الأوراق المالية، التي استقرت في جيبه منذ قليل:

- بم تأمر سيدتي؟

سألته في ملل، وهي تنفث دخان سيجارتها بقوة:

- ألا يوجد شيء من الإثارة لديكم؟

اعتدل رئيس الخدم، وهو يردد وراءها:

- الإثارة؟! ماذا تقصد سيدتي؟

مالت نحوه، وهي تسأله في لهفة:

- ألا توجد لديكم موائد خضراء هنا؟

ردد في دهشة مصطنعة:

- موائد خضراء؟!

ثم استطرد مبتسمًا في خبث:

- سيدتي تعلم أننا مجرد ملهي ليلي، ومن المحظور أن.....

قاطعته في شغف:

- هذا المحظور هو ما أبحث عنه.

رمقها بنظرة فاحصة وهو يقول:

- هل تميل سيدتي إلى هذا النوع من الإثارة؟

رفعت إحدى حاجبيها، ثم غمزت بالعين الأخرى، قائلة:

- ألذ الأخذ ما سلب.. أليس كذلك؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة، وهو يقول:

- بلى.. لقد فهمت يا سيدتي.

ثم انحنى مرة أخرى انحناءة كبيرة، وأضاف:

- هل تسمح لي سيدتي بلحظة؟

تألقت عيناها ظفرًا، وهي تقول:

- بالطبع.

تركها رئيس الخدم، واتجه نحو ملاحظ القاعة، وتحدث إليه بضع لحظات، وأشار إلي حيث تجلس الشقراء، ثم عاد يتحدث في حماس، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة كبيرة، ثم يتجه إلي حيث تجلس الشقراء، ويقول:

- هل تسمح سيدتي بمصاحبتي؟

نهضت الشقراء في حماس، وجمعت أشياءها في حقيبتها الذهبية، وسارت إلى جوار رئيس الخدم، حتى باب جانبي، دلفا إليه معًا، وأغلقه الرجل خلفهما بإحكام..

وبين رواد الملهى، كان هناك رجل أشيب الفودين، له شارب كث، يجلس وحيدًا على مائدة بعيدة، يتابع الشقراء ورئيس الخدم في هدوء، حتى دلفا خلف الباب، وأغلقه رئيس الخدم خلفهما، فغمغم الرجل محدثًا نفسه:

- رائع.. لقد ربحنا الجولة الأولى لهذه الليلة.

ثم أخرج من جيب سترته البيضاء بطاقة يتوسطها رسم لعقرب ذهبي، مستطردًا:

- وفي الجولة الثانية يضرب العقرب ضربته..

ولم يكن هذا الأشيب الفودين سوى (نديم فوزي)..

العقرب..

استقبل (سيد) الشقراء، التي لم تكن سوى (غادة) وصافحها بابتسامة عريضة، وهو يتفحص ملامحها، قائلاً:

- مرحبًا يا سيدتي.. سمعت أنك تبحثين عن بعض الإثارة.

ابتسمت في سخرية وهي تقول:

- عجبًا.. الأخبار تنتقل بسرعة كبيرة هنا.

غمغم وهو يتفرس في ملامحها في دقة:

- هذا صحيح.

ثم سألها بغتة:

- سيدتي.. هل التقينا من قبل؟ أعني هل رأيتك مسبقًا؟

هزت كتفيها قائلة:

- ربما، فصوري تملأ صفحات الاجتماعيات، في معظم الصحف.

أومأ برأسه، متمتمًا:

- نعم...ربما..

ثم أشار إلى باب جانبي كبير، مستطردًا:

- تفضلي يا سيدتي.. هنا الإثارة الحقيقية.

وفتح الباب على مصراعيه، فارتفع حاجبا (غادة) في دهشة..

لقد كانت هناك قاعة أخرى خلف الباب..

قاعة يبلغ حجمها ربع حجم قاعة الملهى الرئيسية، وتنتشر فيها عشر موائد قمار خضراء، التف حولها عدد من الأثرياء، ممن يروق لهم بعثرة أموالهم على تلك الموائد..

وتغلبت (غادة) على دهشتها في سرعة، وهي تقول:

- رائع.

وسرعان ما انضمت إلى إحدى الموائد..

ولم تمضِ ربع الساعة، حتى كانت قد خسرت متعمدة ما يقرب من ألفي جنيه، فنهضت هاتفة في عصبية:

- أي حظ سيئ هذا؟! لقد خسرت كل أموالي.

ابتسم (سيد) وهو يقول:

- لو أنك تحملين دفتر شيكات، فيمكننا أن....

قاطعته في حدة:

- لا..

ثم اتجهت نحو الباب، مستطردة:

- سأذهب لإحضار بعض النقود، وسأعود على الفور.

هز كتفيه وقال بابتسامة ساخرة:

- سننتظر.

ثم التفت إلى أحد اللاعبين، مستطردًا:

- هكذا النساء.

انفجر بعض الرابحين ضاحكين، في حين عقد الخاسرون، وهم الأغلبية العظمى، حواجبهم حنقًا، و(غادة) تغادر المكان، وتهبط إلى صالة الملهى الرئيسية في توتر واضح، وبدا لحظة أنها ستغادر الملهى كله، إلا أنها لم تلبث أن يممت نظرها شطر مائدة بعيدة، وهتفت:

- (مروان) بك.. حمدًا لله.

وأسرعت الخطا نحو المائدة التي يجلس عليها (نديم)، وصافحته في حرارة، قائلة:

- (مروان) بك.. من حسن حظي أن أجدك هنا، فأنا أحتاج إلى بعض المال.

قال (نديم) في صوت مرتفع:

- كل ما أملك رهن إشارتك يا (نوال) هانم.

وأخرج من جيبه رزمة أوراق مالية، وناولها إياها، هامسًا:

- أين؟

أجابته في هدوء:

- الطابق الثاني لا توجد أية نوافذ، وهناك باب واحد، يقود إلى حجرة المدير، بخلاف باب الدخول الرئيسي.

تمتم في اهتمام:

- إذن يمكن الدخول إلى القاعة عبر غرفة المدير.

غمغمت:

- بالتأكيد.

ثم دست رزمة الأوراق المالية في حقيبتها، هاتفة في صوت مرتفع:

- شكرًا لك يا (مروان) بك.. سأنقدك المبلغ في الصباح.

وعادت إلى رئيس الخدم في خطوات سريعة، وهي تقول له في حماس:

- هيا... يمكنني مواصلة الإثارة لساعات أخرى.

تابعها (نديم) ببصره، حتى اختفت مع رئيس الخدم خلف الباب، ثم نهض من مقعده، واتجه نحو باب جانبي آخر، وقال للواقف أمامه:

- أين حجرة المدير؟

رمقه الرجل بنظرة جانبية، وهو يقول في صرامة:

- لماذا تسأل؟

قال (نديم) في هدوء:

- لديّ ما يهمه الاطلاع عليه.

تطلع الرجل إليه طويلاً في شك وحذر، ثم سأله:

- من أنت؟

أجابه (نديم):

- أخبر المدير أنني (مروان منصور)، المسئول الجديد عن ضريبة الملاهي.

عقد الرجل حاجبيه، وهو يحدق في وجهه بدهشة، ثم قال:

- انتظر لحظات.

قالها واستدار يدفع الباب، ويعبره إلى ردهة صغيرة خالية، وعندما هم بإغلاقه خلفه، فوجئ بـ (نديم) يدلف إلى الداخل في سرعة، فقال في صرامة:

- قلت لك انتظر.

رفع (نديم) قبضته إليه، قائلاً:

- لو أنك تعلم ما أحمله في قبضتي هذه ما تحدثت إليّ على هذا النحو.

أغلق الرجل الباب وهو يسأله في حذر:

- وما الذي تحمله؟

انقضت قبضة (نديم) على فك الرجل كالقنبلة، وهو يهتف:

- هذا.

انفجرت اللكمة في فك الرجل، فدفعته للخلف في عنف وضربته بالحائط، إلا أنها لم تفقده الوعي، بل جعلته يهتف في ألم وفي سخط، وهو يمد يده نحو جيب سترته: لينتزع مسدسه:

- اللعنة!! إنك...

قبل أن يتم الرجل عبارته، كانت قبضة (نديم) اليسرى تغوص في معدته، ثم تقفز القبضة اليمنى: لتكتم شهقته في حلقه، وتحطم زوج أسنانه العلوية الأمامية..

وفي هذه المرة سقط الرجل فاقد الوعي..

واعتدل (نديم) يلهث بضع لحظات، ثم خلع سترته البيضاء، وألقاها فوق الرجل، وبقى

بسرواله وقميصه الأسودين، وأضاف إليهما قفازين من اللون نفسه، ثم نزع الشعر المستعار الأشيب الفودين عن رأسه، وهو يقول:

- الآن انتهى دور (مروان منصور).

وبدت الصرامة في عينيه وصوته، وهو يرتدي قناعه الأسود، مستطردًا:

- وحان دور (العقرب)..

• • •

سيف العدالة

11- لسعة العقرب..

على الرغم من أن الوقت كان متأخرًا حقًا، إلا أن اللواء (حلمي) لم يكن قد غادر مكتبه بعد، فقد شغله أمر (العقرب) عن الدنيا كلها، فراح يخط كل ما لديه من معلومات، على ورقة بيضاء أمامه، ثم يضيف إليها اسمي (نديم) و(غادة)، قبل أن يغمغم:

- أكاد أقسم أنهما.....

لم يتم عبارته، واكتفى بهز رأسه في ضيق وحيرة، ثم رفع عينيه إلى باب المكتب، عندما سمع فوقه طرقات غليظة، جعلته يقول في ضيق:

- ادخل يا (مجدي).

دفع العقيد (مجدي) الباب، ودخل إلى الحجرة مبتسمًا، وهو يقول:

- فراسة رائعة يا سيادة اللواء.. إنك لا تخطئ تعرُّفي أبدًا.

قال اللواء (حلمي)، وهو يشير إلى الباب:

- إنك الوحيد الذي....

كان ينوي أن يخبره أنه الوحيد الذي يطرق بابه بهذه الغلظة، إلا أنه فضل ألا يفعل في اللحظة الأخيرة، فبتر عبارته ثم غمغم:

- الوحيد الذي أتعرفه في يسر.

جلس (مجدي) على المقعد المقابل لمكتب اللواء (حلمي)، وهو يقول:

- هذا يسعدني يا سيادة اللواء.

تنهد اللواء (حلمي) في ضيق وقال:

- قل لي يا (مجدي): لماذا أنت هنا حتى هذه اللحظة المتأخرة؟

عقد (مجدي) حاجبيه، وهو يقول:

- هناك أمر يقلقني، ويشغل عقلي كثيرًا يا سيدي.

سأله (حلمي) في ملل:

- ما هو؟

قال (مجدي) في لهجة تشف عن خطورة الأمر:

- (العقرب).

جذبت الكلمة انتباه اللواء (حلمي) كثيرًا، فسأله في اهتمام:

- ماذا عنه؟

لوح (مجدي) بكفه، قائلاً:

- إنه ليس لصًا بالتأكيد، فهو لم يسرق شيئًا، على الرغم من كل ما فعله، وكل ما ارتكبه من مخالفات قانونية، وهذا يبدو لي عجبًا! فهو يبدو لي أشبه بشخص يثأر لنفسه من (نعمان والي) شخصيًا، وعلى الرغم من ذلك فهو يتخذ لنفسه هيئة عجيبة، ويرتدي قناعًا كأبطال الروايات الخيالية، ويتعمد ترك بطاقته خلفه أينما ذهب، ثم....

صمت بغتة كأنما يستعد لإلقاء قنبلة، قبل أن يضيف في بطء:

- ثم إنه هناك فتاة.

سأله (حلمي) في قلق:

- وماذا عنها أيضًا؟

هز (مجدي) رأسه، ولوح بكفه، قائلاً:

- ليس عنها بصفة شخصية، ولكن الأمور كلها تتجمع في رأسي، وترسم صورة عجيبة.

سأله (حلمي) في مزيج من القلق:

- أية صورة؟

تنهد (مجدي) في عمق وقال:

- حاول أن ترسم الصورة مثلي يا سيدي.. شاب وفتاة، ليسا لصين، ولكنهما يعملان ضد القانون، وضد (نعمان والي) بالذات.. بم يذكرك هذا؟ بل بمن يذكرك؟

جمع (حلمي) تلك الورقة، التي خط عليها اسمي (نديم) و(غادة)، وكورها في قبضته، ثم ألقاها في سلة المهملات، وهو يقول في صوت، حاول أن يجعله هادئًا:

- بمن؟

مال (مجدي) نحوه وهو يقول في حزم:

- بـ (نديم) و(غادة).

ردد (حلمي) خلفه في توتر:

- (نديم) و(غادة).

ثم أطلق ضحكة عالية، بدت واضحة العصبية، قبل أن يستطرد:

- يبدو أن الخيال قد جمح بك كثيرًا.

عقد (مجدي) حاجبيه في شدة، وهو يقول:

- بل هذا هو أقرب ما يمكن إلى الواقع يا سيدي، على الرغم من غرابته.

قال (حلمي) في حدة:

- كيف أيها العقيد؟! إن (نديم) محام محترم، ولن يخاطر بسمعته ونفسه من أجل هذا.

قال (مجدي) في حنق:

- بل هو مجنون بما يكفي ليفعل.

ونهض مستطردًا في حزم صارم:

- وسأبذل أقصى جهدي لإثبات ذلك يا سيدي.

لم ينبس اللواء (حلمي) ببنت شفة، حتى غادر (مجدي) حجرته، ثم أدار عينيه إلى سلة المهملات حيث ألقى الورقة، التي تحمل اسمي (نديم) و(غادة)، وقال في أسف:

- يبدو أن مهمتك تزداد تعقيدًا أيها (العقرب).

• • •

برقت عينا (سيد) كعادته، وهو يتطلع إلى محتويات خزانة الملهى، المتخمة برزم أوراق، وبعض الحلي والمجوهرات، التي خسرها أصحابها على موائد القمار، وغمغم وهو يلتقط ثلاث رزم مالية، ويدسها في جيب سترته:

- من حسن الحظ أن زبائن الموائد الخضراء لا يطالبون بإيصالات رسمية، مقابل ما خسروه بغبائهم.

وارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة، وهو يستطرد في خبث:

- والزعيم لا يطالب بذلك أيضًا.

وارتفع من خلفه صوت جامد يقول:

- وماذا عني أنا؟

انتفض جسد (سيد) في قوة، ولما كان موقنًا من أنه وحده في حجرته، وأن لهذه الحجرة بابين فحسب، أحدهما يقود إلى قاعة القمار السرية، ولا يمكن فتحه من خارجها، دون استخدام الأرقام السرية الخاصة، والآخر يقف على حراسته (إدوارد) بجسمه الضخم، ومسدسه المتحفز، فقد امتلأت نفسه بمزيج من الدهشة والحيرة والذعر، وهو يستدير إلى مصدر الصوت في سرعة كبيرة..

ثم تحولت دهشته إلى ذهول..

وحيرته إلى سخط...

وذعره إلى هلع...

كل هذا عندما اصطدم بصره بذلك الشاب قوي البنية، على الرغم من نحوله، الذي

اتشح بالسواد، وأخفى عينيه بقناع كبير، وصوب إليه مسدساً..

نفس مسدس (إدوارد) الضخم المتحفز..

وبلهجة خرجت من لسان جف لعابه، هتف (سيد):

- أنت؟!

أجابه (العقرب) في برود:

- هل أدهشتك رؤيتي؟!

بقي (سيد) لحظات صامتاً يحدق في الوجه الصارم ذي القناع، ثم غمغم في حنق:

- كيف دخلت إلى هنا؟

رفع (العقرب) قبضته أمام وجهه، وهو يقول:

- أبرزت بطاقتي لحارسك، فأفسح لي الطريق على الفور.

ثم لوح بالمسدس، مستطرداً في هدوء مثير:

- بل أصر على منحي مسدسه.

عاد (سيد) يحدق في وجهه في حنق وذهول، ثم هتف:

- ماذا تريد؟

قال (العقرب) في هدوء:

- هذا هو السؤال المناسب حقاً.

ثم جذب إبرة مسدسه، مستطرداً في صرامة:

- فلنقل في البداية إنني أريد كل ما لديكم من أموال.

سرت موجة توتر قوية في جسد (سيد)، قبل أن يقول في حدة:

- أنت لص إذن!! مجرد لص.

هز (العقرب) كتفيه في لامبالاة، وهو يقول في برود:

- لست أظن عقلك التافه يصلح لفهم الأمور على نحو أكثر عمقاً.

قال (سيد) في عصبية:

- ما الذي تحاوله يا فتى؟ أن تلعب دور (روبين هود)؟!

قال (العقرب) في هدوء مثير:

- بل دور (الماتادور) يا رجل.. أتعلم من هو (الماتادور)؟ إنه مصارع الثيران الإسباني

الشهير، الذي يقضي جل وقته في الحلبة، في ملاعبة الثور، وانهاكه إلى أقصى حد، وبعد أن ينهكه تمامًا، يتوقف عن منازلته، ثم ينتزع سيفه من غمده، ويصيب به الثور في مقتل.

ومال نحو (سيد)، مستطردًا في صرامة:

- وفي لعبتنا هذه، يلعب سيدك (نعمان والي) دور الثور أيها الوغد.

وبدلاً من أن تغضب العبارة (سيد)، ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة، وهو يقول في هدوء مباغت عجيب:

- هكذا؟! أيعني هذا أنك تلعب دور (الماتادور)؟!

وقبل أن يدرك (نديم) ما يعنيه ذلك التحول المفاجئ، شعر بفوهة مسدس باردة تلتصق بمؤخرة عنقه، وسمع صوت (إدوارد) الغاضب، وهو يقول:

- لقد انتهت المباراة مبكرًا أيها المتحذلق.. هيا... انزع قناعك هذا، فلست أحب أن أقتل مقنعًا.

وأردف عبارته بجذب إبرة مسدسه في حزم...

• • •

سيف العدالة

12- الطعنــة..

صحيح أن (نديم فوزي) قد عجز تمامًا عن التكيف مع أسلوب الشرطة، فيما يتعلق بالقوانين واللوائح، إلا أن التحاقه بأكاديمية الشرطة، وبجهاز الشرطة فيما بعد، كان يتطلب اجتياز اختبارات ليست باليسيرة، واكتساب مهارات وقدرات ليست بالعادية..

أضف إلى هذا شخصية (نديم) القوية، وقلبه الذي اعتاد مواجهة الصعاب والشدائد، دون أن تختلج خلاياه، أو تتزايد نبضاته..

ولهذا لم يشعر (نديم) بالخوف، عندما التصقت فوهة المسدس بمؤخرة عنقه، ولم يرتبك، أو يفقد سيطرته على عقله وأعصابه..

إنه – على العكس – امتلأ فجأة بحماس وقوة غير عاديين.

وعلى نحو مفاجئ - بالنسبة لـ(إدوارد)، دفع (نديم) رأسه إلى الأمام، ثم مال بها جانبًا؛ ليتفادى انطلاق أي رصاصة من مسدس المجرم، ودار على عقبيه في سرعة ومهارة، وأمسك معصم (إدوارد) بقبضته اليسرى، ورفع يد هذا الأخير، الممسكة بالمسدس، عاليًا، ثم هوى بقبضته اليمنى، وبالمسدس الذي اغتصبه من (إدوارد) بالذات، على فك هذا الأخير...

وجاءت اللكمة كقنبلة مباغتة، انفجرت في فك الحارس الضخم، قبل أن يدرك حتى ما حدث...

ودون أن تنطلق من مسدس (إدوارد) رصاصة واحدة، اندفعت رأسه إلى الخلف في حدة وعنف، وارتطمت بحافة الباب المفتوح، وأصدرت دويًا قويًا، ثم عادت تندفع إلى الأمام؛ لتسقط مع جسده كله أرضًا..

قفز (نديم) جانبًا؛ ليفسح المجال لسقوط جسد (إدوارد) الضخم، ولكنه لم يكد يستقر في مكانه، ويرفع عينيه إلى (سيد)، حتى رأى هذا الأخير ينقض عليه في شراسة، وفي قبضته خنجر حاد يلتمع...

قفز (نديم) جانبًا، متفاديًا نصل الخنجر الحاد، وهو يهتف:

- لا أيها الوغد... ليس ثانية.

وأمسك معصم اليد الممسكة بالخنجر في سرعة، ثم ثنى الساعد في مهارة، واستقبله بساعده هو؛ مما أجبر (سيد) على ترك الخنجر، وهو يطلق صرخة ألم، كتمتها لكمة (نديم) الساحقة في حلقة، وهذا الأخير يقول:

- لا ترفع صوتك يا رجل.

كان التقاء قبضة (نديم) بفك (سيد) صوت مكتوم، أشبه بانفجار لغم قديم، وسط كومة من رمال الصحراء، ثم جحظت عينا (سيد)، وسقط عند قدمي (نديم) فاقد الوعي....

وفي هدوء التقط (نديم) من جيب قميصه واحدة من بطاقاته، التي تحمل رسم (العقرب) الذهبي، ووضعها فوق جسد (سيد)، وهو يقول:

- بلغ تحياتي إلى زعيمك أيها الوغد، وقل له أن يستعد لطعنة السيف الأخيرة.

وجذب مشط المسدس، واتجه نحو الباب، الذي يفصل ما بين حجرة المدير، وقاعة القمار السرية، ودفع الباب بقدمه في عنف، ثم قفز داخل القاعة، بزيه الأسود الغامض الرهيب، وقناعه المخيف وهتف:

- لا يتحرك أحدكم أيها السادة... إنه سطو.

انطلقت شهقات البعض، وصرخات البعض الآخر، واشترك الجميع في إلقاء نظرة رعب على ذلك المقنع الأسود، وهم يتراجعون في ذعر، رافعين أيديهم في استسلام، في حين أسرع أحد رجال (نعمان) ينتزع مسدسه، لولا أن هوت على عنقه ضربة قوية، أسقطته أرضًا كلوح من الخشب، مع صوت (غادة)، وهي تقول في سخرية:

- ألم تسمع أيها الغبي؟

وأخرجت من حقيبتها الذهبية الصغيرة مسدسًا، صوبته بدورها إلى الحاضرين، مستطردة في لهجة جذلة:

- هذا سطو.

• • •

اتسعت عينا (نعمان والي) وقفزت الكلمات من بين شفتيه كالقنبلة، وهو يصرخ في ثورة وغضب وسخط:

- سطو؟! سطوعلى الملهى الليلي؟!

أجابه (سيد) في حنق، وهو يتحسس ضمادات فكه:

- نعم أيها الزعيم... سطو مسلح... لقد خدعنا ذلك (العقرب) اللعين مرة أخرى، بمعاونة سيدة شقراء، ونجحا في الاستيلاء على نصف مليون من الجنيهات تقريبًا.

صرخ (نعمان):

- أيها الأغبياء... أيها الحمقى... ألم آمركم باتخاذ كل وسائل الحذر؟!

- ألم أطلب منكم مضاعفة الحراسة على كل منشآتنا؟!

قال (سيد) في ضيق:

- لقد فعلنا أيها الزعيم، ولكننا لم نتوقع هجومًا على الملهى الليلي، ولا على قاعة

القمار السرية بالتحديد، فالملهى ليس مسجلاً باسمك، بل باسمي أنا، ثم إن معرفة أمر القاعة السرية ليس بالمهمة اليسيرة.

هتف (نعمان):

- وهذا ما يثير جنوني.

وضرب سطح مكتبه بقبضته، مستطردًا في ثورة:

- كيف يعلم ذلك الرجل كل هذا؟

ورفع عينيه إلى (سيد)، مردفًا بمزيد من الثورة:

- ثم كيف أمكنه أن يغادر الملهى الليلي بهذه البساطة، وهو يحمل نصف مليون جنيه من أموالنا؟

قال (سيد) في مرارة:

- كنت أنا فاقد الوعي، وكذلك (إدوارد)، ولقد دفع هو وزميلته زبائن القاعة السرية إلى تقييد كل رجالنا فيها، وبعدها حملا الأموال في حقيبة كبيرة، وغادرا المكان من مكتبي، حيث ارتدى هو سترة بيضاء فوق ثوبه الأسود، وتأبطت الشقراء ساعده، ونزع قناعه، ووضع على رأسه شعرًا مستعارًا أشيب الفودين، و....

قاطعه (نعمان) في حنق:

- هكذا؟! بكل بساطة.... من المؤكد أنني أحيط نفسي بثلة من الحمقى الأغبياء.... أنتم السبب في كل ما يحققه ذلك (العقرب) من انتصار تلو الآخر... أنتم السبب؛ لأنه يتعامل مع مجموعة من الأغبياء... كيف يغادر الملهى بهذه البساطة؟ ألم يوقفه أحد؟ ألم يصرخ أحد رواد صالة القمار مستنجدًا؟ ألم يتعرفه مخلوق؟

زفر (سيد) في قوة، وقال:

- ليس من الطبيعي أن يوقف العاملون في ملهانا زبونًا ينصرف، وقتما يحلو له، وليس من المنطقي أن يتعرفه أحد، مادام أحد لا يشك في أمره، أو يحاول التفرس في ملامحه، ثم إن أحدًا من رواد قاعة القمار السرية لم يكن ليطلق صرخة واحدة، مهما كانت خسائرهم، فكلهم من علية القوم، ولن يفضحوا أنفسهم أبدًا، ولاحظ أنهم كانوا يمارسون لحظتها نشاطًا يحظره القانون .

ألقى (نعمان) جسده على ذلك المقعد الوثير، خلف مكتبه، وهو يهتف في حنق:

- أعلم ذلك... أعلم ذلك.

ثم عاد يضرب سطح مكتبه بقبضته في عنف، مستطردًا:

- هذا (العقرب) يعرف كيف يضرب ضربته، ويترك لي في كل مرة بطاقته اللعينة، التي كادت تصيبني بالجنون.

عقد (سيد) حاجبيه، وهو يقول:

- إننا على الأقل نعلم أين سيضرب ضربته القادمة؟

التفت إليه (نعمان) في حدة، وهو يقول:

- أين؟

أجابه في حزم :

- في المنشأة الوحيدة الباقية لك أيها الزعيم.

هتف (نعمان) في حنق:

- قلت لك ألا تخاطبني بهذا اللقب.

زفر (سيد) في ضيق، وقال:

- حسنًا.. أقول إنه سيضرب ضربته حتمًا في المنشأة الباقية، فهو قد هاجم مزرعة الثعالب، ومزرعة الدواجن، والإسطبل، ثم الملهى الليلي، فماذا بقى له؟

قال (نعمان) في توتر:

- شركة المقاولات.

هتف (سيد):

- تمامًا... وهذا يعني أنه سيضرب ضربته القادمة هناك، وكل ما علينا هو أن نحشد كل رجالنا وقوتنا في ساحة المعركة القادمة، ونملأ رءوسهم جميعًا بأمر واحد.

وامتلأت لهجته بصرامة وحشية، وهو يستطرد في بطء:

- بقتل (العقرب) فور ظهوره.... وبلا رحمة...

• • •

استرخى (نديم) في مقعد ضخم وثير، في ردهة منزله وتطلع في تكاسل وتراخ إلى (غادة)، التي راحت تصب له قدحًا كبيرًا من الشاي، وسألها في هدوء، وقد لاحظ تقطيبة حاجبيها:

- ماذا يقلقك؟

قالت في ضيق:

- ما فعلناه.

وناولته قدح الشاي، وهو يسألها في بساطة:

- وما الذي فعلناه؟

جلست على المقعد المقابل له، وزفرت في ضيق، وهي تقول:

- بل قل ما الذي نفعله.... إننا نضيع الوقت في معابثة (نعمان والي)، وإثارة غيظه وغضبه، دون أن نتجه إلى الهدف الرئيسي، ألا وهو الإيقاع به، بتهمة الاتجار في المخدرات.

قال في هدوء:

- بل نحن نتجه إلى الهدف يا (غادة)، ولكن بأسلوب جديد، سيصيب (نعمان) بالجنون والغضب؛ بحيث يصبح مؤهلاً لتلقي الطعنة القاضية.

قالت في عصبية:

- وهل يتضمن هذا الأسلوب أن نتحول إلى لصوص يدبرون ويخططون لسرقة خزانة ملهى ليلي؟!

قال في صرامة:

- أنت تعلمين أن السرقة ليست الهدف، فلقد تبرعنا بالمبلغ كله لصالح عدد من الجمعيات الخيرية وملاجئ الأيتام والعجزة، ولكنني أمارس مع (نعمان) لعبة مدروسة، تستهدف دفعه إلى خطوة عصبية، توقع به في الفخ، وتدفعه إلى تقديم نفسه للعدالة، على طبق من فضة.

ثم اعتدل مستطردًا في اهتمام:

- إن معركتي مع (نعمان والي) لا تهدف إلى مجرد التخلص منه يا (غادة)، بل أن أجعل منه عبرة لكل مجرم يحتمي بثغرات القانون؛ ليتهرب من سيف العدالة... أنت تعلمين مثلي أن (نعمان) يتمتع بحصانة قانونية.

غمغمت:

- أعلم ذلك.

تابع وكأنه لم يسمعها:

- وهذه الحصانة تمنع إلقاء القبض عليه بأية تهمة، إلا حالة واحدة.

وصمت لحظة ثم أضاف:

- التلبس.

قالت في توتر:

- ولكن الجميع يعلمون أن (نعمان والي) رجل شديد الحرص والحذر، وأن هذا سر قوته، وأنه من المستحيل تقريبًا الإيقاع به متلبسًا.

قال في حزم:

- وأنا ألعب لعبتي لتحطيم هذا المستحيل.

قالت محنقة:

- ولكنني شريكتك في كل هذا، فلماذا تحتفظ بخطتك في رأسك وحدك ؟

تطلع إليها لحظة، قبل أن يقول في صدق:

- لأنني لم أضع بعد خطة نهائية.

حدقت في وجهه بدهشة بالغة، قبل أن تهتف مستنكرة:

- ماذا؟! لم تضع بعد خطة نهائية؟ أعبث هذا؟!

قال في هدوء:

- صدقيني — لم أضع بعد خطة نهائية، كل ما أفعله الآن هو أن أثير أعصاب (نعمان) إلى أقصى حد؛ بحيث يصبح القضاء على (العقرب) هو هدفه الأول والأسمى، وعندما تحين اللحظة الحاسمة، ويجد أمامه فرصة ذهبية للتخلص من المقنع الغامض، الذي أحال حياته إلى جحيم، فإنه لن يتردد في الاندفاع نحوها، متخليًا عن حرصه وحذره الأسطوريين.

وفرقع إصبعه، مستطردًا في حزم:

- وعندئذ تحين لحظة الطعنة القاضية.

وانعقد حاجباه في قوة، وهو يضيف:

- طعنة العقرب...

• • •

سيف العدالة

13- حصار..

أطلقت (غادة) من بين شفتيها صفيرًا منغومًا، ينم عن مزيج من السعادة والجذل، وهي تهبط درجات سلم منزلها، في الصباح التالي، ولم تكد تغادر البناية التي تقطنها، وتتجه شطر سيارتها الصغيرة، الرابضة على بعد أمتار من بوابة البناية، حتى وقع بصرها على وجه جعلها تعقد حاجبيها في ضيق، مغمغمة:

- يا له من صباح.

اتجهت إلى حيث سيارتها في هدوء، وهي تقول للرجل الذي ارتكن بجسده على مقدمة السيارة، وراح يطالع إحدى صحف الصباح في تراخ:

- صباح الخير يا سيادة العقيد (مجدي).

اعتدل (مجدي)، والتفت إليها، وهو يجيب في لهجة متحفزة، تنذر بجدل عنيف:

- صباح الخير... هل اعتدت الاستيقاظ متأخرًا هكذا منذ تركت عملك في سلك الشرطة؟!

قالت في برود، وهي تفتح باب سيارتها:

- إنني أستمتع بذلك في الواقع.

قال في خبث، وهو يراقبها تدير محرك السيارة:

- وكيف حال (نديم)؟ هل يستيقظ متأخرًا أيضًا؟

هزت كتفيها، وهي تقول بنفس البرود:

- ربما.

قال بنبرة غامضة:

- لعلكما تقضيان ليلكما في عمل شاق.

عقدت حاجبيها في شدة، وهي تقول في حدة:

- ماذا تقصد؟

هتف:

- لم أقصد الإشارة إلى أية نقيصة أخلاقية، أقسم لك.

قالت في غضب صارم:

- ماذا تقصد إذن؟

مال نحو نافذة السيارة، وتطلع إلى عينيها مباشرة، وهو يقول:

- أقصد عملكما الليلي.

حدجته بنظرة أشد برودة من الثلج، وهي تقول:

- أي عمل؟

أجابها وهو يدرس ملامحها كلها:

- عمل (العقرب).

ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة أحنقته، وهي تقول:

- (العقرب)؟! أي عقرب هذا؟ عقرب الساعات أم عقرب الدقائق؟

عقد حاجبيه في سخط، وهو يقول:

- أتسخرين مني أيتها الـ..

قاطعته في صرامة:

- الـ ماذا؟

لوح بيده، هاتفًا:

- لا شيء... أعلم أنه ليس من حقي قانونًا أن أوجه لك أية اتهامات، ما دمت لا أملك أدلة.

ثم انحنى نحوها مرة أخرى، مردفًا في غلظة:

- ولكنني أعلم أنه (العقرب)، وأنك رفيقته.

تطلعت إلى ملامحه في سخرية، وهي تقول:

- قل لي أيها الشرطي، هل اعتدت تناول المخدرات في الصباح؟

قال في غضب:

- هذا الشرطي كان رئيسك فيما مضى أيتها السخيفة، وكان يمكنه أن يوقع عليك جزاء صارمًا، و.....

قاطعته ساخرة:

- فلنحمد الله على أنه لم يعد كذلك.

احتقن وجهه غضبًا، وقال في حدة:

- لا بأس أيتها المتحذلقة... اسخري ما شئت، فلقد وضعت يدي على أول الخيط، ولن أتركه حتى ألقي بك وبرفيقك المغرور خلف القضبان، وكل ما أريده منك هو أن تنقلي له رسالة صغيرة.

ومال ليحدق في عينيها مباشرة، مستطردًا في صرامة هائلة:

- أخبريه أنني أعلم أنه (العقرب)، وأنني لن أهدأ بالاً حتى أوقع به.. أخبريه هذا فحسب... فكلانا يفهم الآخر جيدًا...إنه لن...

انطلقت بالسيارة بغتة، على نحو أخل بتوازنه، فبتر عبارته ليحتفظ بتوازنه، ثم لوح بقبضته خلفها صائحًا في غضب:

- سأوقع به حتمًا.

زادت من سرعة سيارتها، وهي تقول في توتر بالغ:

- لقد أحكموا الحصار تمامًا حولك يا (نديم).. لقد حاصروك حتى النخاع.



هز (نديم) كتفيه في لامبالاة، عندما قصت عليه (غادة) القصة، وقال بهدوئه التقليدي المثير:

- دعيه يضرب رأسه بالحائط... لقد حان الوقت ليدفع ثمن ثغرات القانون، فلابد له أن يجد دليلاً ماديًا ضدي، قبل أن يوقع بي.

قالت في ضيق:

- الأمر ليس هينًا إلى هذا الحد يا (نديم)، فعلى الرغم من ضيقنا بـ (مجدي)، إلا أننا نعلم كم هو عنيد ومثابر، ثم إنه مخلص في عمله كثيرًا، ومادام قد قرر الإيقاع بك، فلن يهدأ له بال حتى....

مال نحوها بغتة، وقاطعها في هدوء:

- لابد أن يجد دليلاً ماديًا أولاً يا عزيزتي... هذا هو القانون.

تطلعت إليه لحظة في صمت، ثم ابتسمت متمتمة:

- قل لي: ألم يكن أحد أجدادك إنجليزيًا؟

هز رأسه نفيًا، وهو يقول:

- لا أعتقد ذلك... لماذا تسألين؟

اتسعت ابتسامتها، وهي تقول:

- لأن أحدهم أورثك ذلك البرود الإنجليزي الشهير.

ثم هزت رأسها متمتمة في أسف:

- كم كنت أتمنى لو أن أحد أجدادك كان فرنسيًا.

سألها في دهشة:

- لماذا أيضًا؟

مالت نحوه، وتطلعت إلى عينيه، وهي تجيب:

- لأن الفرنسيين يولدون بقلوب دافئة.. هل تفهم؟

مضت لحظة من الصمت، وهو يتطلع إلى عينيها الخضراوين، قبل أن يقول في هدوء شديد:

- ليس كفرسان العرب، الذين أنجبوا (قيس بن الملوح)، و(أبا فراس الحمداني)، و....

قالت في خفوت:

- و(نديم فوزي).

خيل إليها لحظة أنه يبتسم، وأن عينيه تنطقان بما لم تتصور أن ينطق به لسانه، إلا أن هذا لم يلبث أن ذاب وتلاشى، مع صوته الهادئ وهو يقول:

- أخبريني يا (غادة).. لو أنك في موضع (نعمان والى)، فأين تتوقعين ضربة (العقرب) التالية؟

ضايقها أن أبدل الأمر على هذا النحو، وطغى بعقله على نبض قلبها المحب الولهان، إلا أنها أجابت في جدية:

- في شركة المقاولات بالفعل.

سألها في اهتمام:

- لماذا؟

أجابته:

- لأنها المكان الوحيد الذي يملكه (نعمان)، ولم يهاجمه (العقرب) بعد.

تراجع في مقعده، وأستند برأسه إلى مسنده، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه، وهو يقول كمن يتحدث إلى نفسه:

- إذن فهذا هو المكان الذي يتوقعه الجميع.

وهز رأسه مغمغمًا:

- لو أنهم ينتظرون من (العقرب) أن يضرب ضربته، حيث يتوقع الجميع، فهم حمقى ولا شك.

سألته في شغف:

- أين سيضرب ضربته إذن؟

التفت إليها والتمعت عيناه في جذل، وهو يقول:

- خمني.

خيل إليها أن عينيه تحملان ابتسامة...

ابتسامة كبيرة....

• • •

أزاح الرائد (شريف) منظاره المقرب عن عينيه، وهو يقول للعقيد (مجدي)، الذي يجلس على مقعد مجاور له:

- الأمور تسير على نحو تقليدي مثير للملل يا سيادة العقيد، ف (نديم) و(غادة) يتحدثان معا طوال الساعة الماضية، وكأنما لا تنفد أحاديثهما أبداً.

قال (مجدي) في غلظة:

- واصل مراقبتهما أيها الرائد، فلن يلبث (نديم) أن يغادر مكتبه، ويتجه إلى شركة (نعمان والي) للمقاولات.

سأله (شريف) في حيرة:

- ولماذا يفعل؟

عقد (مجدي) حاجبيه في شدة، وهو يقول:

- ليضرب (العقرب) ضربته القادمة هناك.

رفع الرائد (شريف) حاجبيه في دهشة، وهو يهتف:

- (العقرب)؟!

قال (مجدي) في حدة:

- راقبهما أيها الرائد... هيا.

شعر الرائد (شريف) بحيرة بالغة، إزاء موقف رئيسه وعباراته المبهمة، إلا أنه لم يملك سوى إعادة المنظار المكبر إلى عينيه، ومعاودة مراقبة نافذة حجرة مكتب (نديم)، من البناية المقابلة للمكتب، عبر الشارع الواسع...

وكان (نديم) في هذه اللحظة يتحدث إلى (غادة) في حماس، وهي تجلس إلى جوار النافذة، ثم انتقل هو إلى داخل الحجرة، بحيث اختفى عن أنظار (شريف)، ولكن نظرات (غادة) وحديثها، وتلويحها بكفها، كانت توحي بأنها مازالت تواصل حديثها مع (نديم).

ولكنها لم تكن تفعل في الواقع..

لقد كانت تلعب دورها في براعة منقطعة النظير فحسب....

أما (نديم) فقد انصرف...

انصرف ليلعب دور (العقرب)...

برغم أنف القانون...

• • •

تطلع حارس قصر (نعمان والي) طويلاً، إلى وجه ذلك الكهل الأشيب، الكث الشارب، الغليظ الحاجبين، قبل أن يقول في حذر:

- تقول إنك رجل شرطة.

أجابه الكهل في صرامة:

- قلت لك إنني العميد (مختار حسن)، من المباحث الجنائية، وأنني أريد مقابلة السيد (نعمان) لأمر بالغ الأهمية.

سأله الحارس:

- أي أمر هذا؟

عقد الكهل حاجبيه، وهو يقول:

- ليس هذا من شأنك يا رجل.. أوصلني إلى رئيسك فحسب.

عاد الحارس يتطلع إليه طويلاً، قبل أن يقول:

- انتظر لحظة.

ورفع سماعة هاتف صغير، مثبت إلى جوار البوابة، وقال:

- صلني بـ (نعمان) بك.

مضت لحظات من الصمت، قبل أن يعتدل في وقفته، ويقول في احترام:

- صباح الخير يا (نعمان) بك.. أنا حارس البوابة.. هناك رجل يرغب في مقابلتك، يدعى العميد (مختار حسن)، من المباحث الجنائية.

انتبه الكهل، في هذه اللحظة بالذات، إلى وجود آلة تصوير تلفزيونية، بين أغصان شجرة قريبة، ولاحظ أن عدستها قد مالت قليلاً، لتركز على وجهه لحظات، قبل أن يقول الحارس:

- كما تأمر يا (نعمان) بك.

وأعاد سماعة الهاتف إلى موضعها، وهو يفتح البوابة قائلاً:

- تفضل يا سيادة العميد.

عبر الكهل البوابة، وقطع المسافة الطويلة عبر الحديقة، التي تفصله عن القصر قبل أن يصل إلى باب القصر، حيث استقبله (نعمان) بابتسامة عريضة، وهو يقول في لهجة عجيبة:

- مرحبًا يا سيادة العميد... أي ريح طيبة أتت بك إلى قصري المتواضع؟

صافحه الكهل في هدوء، وهو يقول:

- التواضع هو آخر صفة تطلق على قصرك يا سيد (نعمان)... أو عليك شخصيًا.

اتسعت ابتسامة (نعمان) أكثر، وهو يقول:

- يا لها من بداية! لا بأس يا سيادة العميد... سنتحدث في مكتبي.

قاده عبر ردهة القصر الفاخرة إلى حجرة المكتب الأكثر فخامة، والتي أزيل حائطها الأيسر كله تقريبًا، لتحتل موضعه نافذة زجاجية هائلة، تطل على حديقة وارفة، تنتهي بميناء صغير، على شاطئ النيل، استقر فيه زورق بخاري أنيق..

واتخذ العميد مجلسه على مقعد وثير، يواجه النافذة، وهو يقول في بر

- يبدو أنك تربح كثيرًا هذه الأيام يا سيد (نعمان).

حافظ (نعمان) على ابتسامته، وهو يتخذ مقعده خلف مكتبه، قائلاً:

- أفي المباحث الجنائية تعمل؟ أم في إدارة التهرب من الضرائب يا سيادة العميد؟

قال العميد بنفس البرود:

- إنني أعمل لحساب الدولة على أية حال، ويقلقني كثيرًا أن أجد صاحب شركة مقاولات عادية، يحيا بكل هذا البذخ.

سأله (نعمان) في لهجة أقرب إلى السخرية:

- لماذا؟ هل أنت شيوعي؟

أجابه العميد:

- بل رجل يجيد الحساب، ويجد أن أرباح كل شركاتك لا تكفي لمثل هذه الحياة، التي تنافس ملوك أوروبا في العصور الوسطى.

وصمت لحظة ثم قال في حزم:

- ما لم...

سأله (نعمان) وهو يرفع حاجبيه مبتسمًا:

- ما لم ماذا؟

عقد العميد حاجبيه وقال في صرامة:

- ما لم تكن أحد المتاجرين في تلك السموم، التي تبلغ أرباحها حدًا خرافيًا.

ران الصمت لحظات على المكان، ثم أطلق (نعمان) بغتة ضحكة قوية عالية، استمرت طويلاً، على نحو أدهش العميد، قبل أن يقول (نعمان) في لهجة أقرب إلى الجذل:

- لعبة طريفة حقًا يا رجل... كنت أتمنى أن أواصل لعبها معك طويلاً، لولا أن وقتي أضيق من أن أفعل.

وضغط زرًا فوق مكتبه، وهو يستطرد:

- لذا سأرسل في طلب من يهوى مثل هذه الألعاب.

لم يكد يضغط الجرس، حتى اقتحم الحجرة (سيد)، مع رجل آخر، يحمل مدفعًا آليًا، و(نعمان) يضيف في مزيج من السخرية والشماتة:

- ويسعدني أن أخبرك أنك وقعت أخيرًا.

ونهض من خلف مكتبه، مستطردًا في صرامة:

- أيها (العقرب).

• • •

زفر الرائد (شريف) في ضجر، وهو يزيح المنظار عن عينيه، هاتفًا:

- ألا يشبعان من الحديث قط؟

رفع العقيد (مجدي) عينيه إليه، وهو يقول في توتر مباغت:

- أمازالا يتحدثان؟

أجابه (شريف) في ضيق:

- بالتأكيد.

التقط (مجدي) المنظار المقرب، وأزاح (شريف) عن النافذة، وهو يضع المنظار فوق عينيه، وينظر إلى نافذة مكتب (نديم)، ثم قال في حدة:

- لست أرى (نديم)! أين ذهب؟

أجابه (شريف):

- إنه يقف في الركن المقابل منذ ساعة تقريبًا.

رفع (مجدي) المنظار عن عينيه، وهتف:

- منذ ساعة؟!

ثم ألقى المنظار، وهو يندفع خارجًا، مستطردًا في حنق:

- اللعنة!! لقد خدعنا ذلك الثعلب.

اندفع عبر الشارع كالقذيفة، وكاد يسقط تحت إطارات سيارتين مسرعتين على الأقل، قبل أن يبلغ بناية مكتب (نديم)، ويقفز درجاتها صاعدًا، وهو يهتف:

- اللعنة!! اللعنة!!

انقض على المكتب في عنف، واقتحم حجرة (نديم) في غلظة، وأدار عينيه فيها بغضب، قبل أن يصيح في وجه (غادة)، التي ابتسمت في سخرية:

- لقد هرب.. أليس كذلك؟

رفعت حاجبيها في دهشة مصطنعة، وهي تقول ساخرة:

- هرب؟! لماذا؟ إنه ليس مجرمًا أوسجينًا...إنه مواطن حر، ولا يوجد ما يمنعه من مغادرة مكتبه وقتما يشاء.

صاح محنقًا:

- ولكنك ظللت تخدعيننا بالتظاهر بالتحدث إليه طيلة الـ...

قاطعته في سخرية:

- كنت أسترجع كل أغنيات (عبد الحليم حافظ)، التي أحفظها، ولا شأن لي بأنكم قد تصورتم أنني أتحدث إليه، ثم إن قولك هذا يعني أنك كنت تراقبنا، أتملك تصريحًا من النيابة بذلك؟ أم أنها مراقبة غير قانونية؟!

انعقد حاجباه في غضب هائل، ثم هتف:

- لا بأس.. سأسمح لكما بخداعي هذه المرة.

قالت ساخرة:

- تسمح لنا؟!

تجاهل سخريتها، مستطردًا في غضب:

- ولكنني سأوقع بكما في المرة القادمة.

أغلق الباب خلفه في ثورة وعنف، فتلاشت ابتسامتها الساخرة، وهي تغمغم في قلق:

- هذا لو أنه هناك مرة قادمة.

وزفرت في عمق، قبل أن تستطرد:

- لو عاد (العقرب) سالمًا..

• • •

ران الصمت لحظات على حجرة مكتب (نعمان) الفاخرة، قبل أن ينهض الكهل في بطء، ويقول في هدوء:

- هل تتهمني بأنني (العقرب) يا سيد (نعمان)؟

لوح (نعمان) بكفه، على نحو مسرحي وهو يقول:

- بالتأكيد يا عزيزي.. كنت أعلم أنك أذكى من أن تضرب ضربتك حيث نتوقعك، وقدرت أنك لن تهاجم شركة المقاولات.. الآن على الأقل، ورحت أدرس الأمر بكل دقة، فوجدت أنه من غير المنطقي أن تهاجم مزرعة الثعالب والدواجن مرة أخرى، فلم يعد فيهما ما يغري بالمداهمة، وكذلك الملهى الليلي، الذي سيحتاج إلى بعض الوقت؛ ليستعيد زبائنه ثقتهم فيه مرة أخرى، وهكذا لم يبقَ لي سوى القصر، وكانت الوسيلة الوحيدة لدخولك إياه — في رأيي — هي أن تنتحل صفة رجل شرطة.

واتسعت ابتسامته، وهو يستطرد في زهو ظافر:

- باختصار، كنت أنتظرك.

ساد الصمت لحظات أخرى، قبل أن يعتدل الكهل، ويقول في هدوء:

- حسنا يا (نعمان).. لقد ربحت هذه الجولة.

هتف نعمان:

- الجولة؟! لا يا عزيزي (العقرب).. لقد ربحت المعركة كلها.. سينتزع (سيد) تنكرك الآن، وتكشف وجهك الوسيم، وبعدها سنحيط جسدك بحجر ضخم، ونلقي به في النيل.

ظل (نديم) هادئًا صامتًا، لا تشف ملامحه عما يدور في أعماقه، في حين ابتسم (سيد) في شماتة، وهو يقول:

- هذا يسعدني.

واتجه نحو (نديم)، ومد يده لينتزع الشعر المستعار عن رأسه، وهو يضيف:

- إنني متشوق بالفعل، لرؤية وجه (العقرب)..

وفجأة سقط برود (نديم) كله، واشتعل جسده على حين غرة بشعلة من النشاط..

وبغتة انقض هو على (سيد)، وقبض على معصمه في قوة، ثم أدار جسده في عنف وضغط سبابته عنوة على زناد مسدسه..

وانطلقت رصاصة (سيد)، على الرغم من أنفه، لتستقر في معدة زميله، الممسك بالمدفع الرشاش أمامه..

وأطلق الرجل صرخة ألم، وهو ينثني ممسكًا معدته، ويسقط أرضًا، في حين أدار (نديم) جسد (سيد) مرة أخرى، ليواجهه، وهوى على فكه بلكمة كالقنبلة، جعلت جسد (سيد) يقفز إلى الخلف ككرة مطاطية، و(نعمان) يتراجع في رعب وذهول...

ثم اندفع (نديم) نحوالحائط الزجاجي، وقفز يخترقه بجسده وسط الحديقة التي تفصل القصر عن شاطئ النيل..

وصرخ (نعمان):

- أوقفوه.. لا تسمحوا له بالفرار.

قفز (سيد) واقفًا على قدميه، والتقط مسدسه، وهو يندفع نحو النافذة، هاتفًا في سخط:

- لن ينجوهذه المرة أبدًا.

كان (نديم) يعدو بأقصى سرعته نحو الزورق البخاري، فقد وقع في الفخ الذي أعده له (نعمان)، وأصبح محاطًا برجال هذا الأخير من كل جانب..

فيما عدا جانب النيل..

وكان هذا هو المخرج الوحيد في رأيه..

ومن خلفه سمع دوي رصاصة، ثم شعر بخيط من النار يخترق ذراعه، إلا أن هذا لم يوقفه، بل زاد من سرعته، في حين راح (سيد) يهتف:

- لقد أصبته.. لقد أصبته.

صاح به (نعمان):

- اقتله.. لا تسمح له بمغادرة القصر حيًا.

صوب (سيد) مسدسه مرة أخرى في إحكام، وضغط زناده....

وفي اللحظة التي بلغ فيها (نديم) ميناء القصر الصغير، شعر بألم شديد في عنقه، فترنح جسده، وسقط....

سقط في النيل...

وصرخ (سيد) في ظفر:

- قتلته.. قتلت (العقرب)...

وعندما بلغ الميناء مع رجاله، لم يكن جسد (نديم) قد طفا إلى السطح...

كان قد اختفى في مياه النيل...

نيل مصر....

• • •

سيف العدالة

14- اختفاء..

اقتحم العقيد (مجدي) حجرة مكتب اللواء (حلمي)، والغضب يتقافز من كل لمحة من لمحات وجهه، وهو يهتف محنقًا:

مر بإلقاء القبض عليه يا سيادة اللواء.. مر بوضعه في السجن على الفور.

رفع اللواء (حلمي) حاجبيه، في مزيج من الدهشة والاستنكار، وهو يقول:

- من هذا يا (مجدي)؟

ضرب (مجدي) سطح مكتب اللواء (حلمي) بقبضته في غضب، وهو يقول:

- (نديم).. (نديم فوزي) وزميلته السخيفة المتحذلقة (غادة).. إنهما يتلاعبان بالقانون.. يتلاعبان بنا.

خفق قلب اللواء (حلمي) في قلق، وهو يقول:

- يتلاعبان بالقانون؟! ماذا تعني؟

ألقى (مجدي) جسده على المقعد المقابل لمكتب اللواء (حلمي)، وهو يقول في حدة:

- هل تعلم من هو (العقرب) يا سيدي؟ إنه (نديم فوزي) بشحمه ولحمه، و(غادة) هي مساعدته، التي شهد بوجودها الجميع.. مر بإلقاء القبض عليه على الفور، و...

قاطعه (حلمي) في توتر:

- ولكنه اتهام خطير يا (مجدي)، هل تملك أية أدلة على أقوالك؟

احتقن وجه (مجدي)، واتسعت عيناه، وتراجع في دهشة، وكأنما لم يتوقع هذا السؤال، وهو يغمغم:

- أدلة؟!

كان الأسلوب الذي ألقى به الكلمة كافيًا؛ ليتلاشى نصف القلق من نفس اللواء (حلمي)، وهو يقول:

- بالطبع.. أنسيت قواعد العمل هنا أم ماذا؟ إنك تتهم ضابط شرطة سابق بمخالفة القانون، وتطالبني بإصدار أمر بإلقاء القبض عليه، على الرغم من أن أوامر إلقاء القبض من اختصاص النيابة وحدها، وهذا يعني بالضرورة أن لديك أدلة قوية ضده..

ردد (مجدي) مرة أخرى في توتر:

- أدلة؟!

ثم عقد حاجبيه في شدة، وهو يستطرد في عناد:

- بالطبع لديَّ أدلة.

عاد قلب اللواء (حلمي) يهبط بين أضلاعه، وهو يقول:

- ما هي؟

اعتدل (مجدي)، وهو يتنحنح في قوة، قبل أن يقول في صلابة:

- الوصف ينطبق عليه وعلى زميلته تمامًا.

سأله اللواء (حلمي) في دهشة:

- أي وصف؟

أجابه في صرامة:

- ألم يتفق الشهود لهم في أنهم قد رأوا شابًا وفتاة، و...

قاطعه (حلمي) في حدة:

- وماذا؟

ردد (مجدي) في حيرة:

- و... ولا ريب أنهما (نديم) و(غادة).. وإلا.. وإلا فمن غيرهما؟

هتف اللواء (حلمي) في غضب:

- من غيرهما؟! أهذا هو دليلك الوحيد ضدهما؟ أأنت لا تجد من تتهمه سواهما؟!

احتقن وجه (مجدي) في شدة، ثم مال نحو المكتب بغتة في حزم، وهو يقول:

- هناك قرينة على الأقل، فلقد راقبت مكتب (نديم)، في محاولة لتتبعه، وثبات أنه هو نفسه ذلك المدعو (العقرب)، ولكنه تعمد خداعي، بمعاونة (غادة)، و...

قاطعه اللواء (حلمي)، هاتفًا في استنكار:

- راقبته؟ وهل حصلت على إذن من النيابة بمراقبته هذه؟

ارتبك (مجدي) وتلعثم، وهو يقول:

- في الواقع.. أنا لم.. أنت تعلم كم هي معقدة إجراءات الـ...

قاطعه اللواء (حلمي) مرة أخرى في غضب:

- إذن فقد كنت تراقبه دون موافقة، ودون إذن بذلك.. أتعلم أية جريمة ارتكبت يا رجل؟

هتف (مجدي):

- ولكنه (العقرب).. ليست لديَّ ذرة من الشك في هذا.

صاح به (حلمي):

- أعطني الدليل المادي واحتفظ لنفسك بكل ذرات الشك، هل تفهم؟ دليل مادي أو لا شيء..

عاد وجه (مجدي) يحتقن في شدة، وهو ينهض قائلاً:

- حسنًا يا سيدي.. سآتيك بالدليل المادي.. وسأجعل هذا هدف حياتي كلها..

واتجه إلى الباب في حدة، قبل أن يستطرد مضيفًا:

- ولن ينعم (نديم) هذا بلقب (العقرب) طويلاً.

ثم أغلق الباب خلفه في عنف..

• • •

غمر الارتياح (نعمان والي)، وهو يرتدي ثيابه هذا المساء، استعدادا لقضاء سهرته في حفل أقامته إحدى السفارات الأجنبية في (القاهرة)، فراح يطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا، ويهز رأسه على إيقاع اللحن، وهو يعقد رباط عنقه الفاخر، الزاهي الألوان، إلا أنه لم يلبث أن توقف عن كل هذا بغتة، عندما سمع طرقات منتظمة على باب حجرته، وقال في صرامة، لم يكن لها ما يبررها:

- ادخل يا من تطرق الباب..

دخل رئيس خدمه، وانحنى انحناءة خفيفة في احترام، وهو يقول:

- هنا صحفية شابة تطلب مقابلتك يا سيدي.

عقد (نعمان) حاجبيه في غضب، وهو يقول:

- صحفية؟! هنا؟! ومن سمح لها بالدخول؟

ارتبك رئيس الخدم، وقال:

- الواقع أننا لم نشأ اعتراضها يا سيدي، بناء على أوامرك بحسن التعامل مع الصحافة، و...

قاطعه (نعمان) في حدة:

- ولكن الوقت غير مناسب لمقابلة الصحفيين.

أسرع رئيس الخدم يقول:

- لقد تأكدت أنها لن تأخذ الكثير من وقتك يا سيدي، وأنها ستطرح عليك سؤالاً واحدًا فحسب.

ظل (نعمان) يعقد حاجبيه طويلاً في صمت، ثم قال في حزم:

- حسنًا.. سألتقي بها.. دعها تنتظر في حجرة الضيوف الزرقاء.

تنحنح الخادم، قبل أن يقول في خفوت:

- إنها هناك بالفعل يا سيدي.

رمقه (نعمان) بنظرة طويلة، ثم أكمل عقد رباط عنقه في سرعة، وارتدى سترته ذات الياقات اللامعة، وأسرع يهبط في درجات قصيرة إلى الطابق السفلي، حيث جلست فتاة ذات شعر أحمر متناثر، ومنظار طبي ضخم أنيق، وترتدي قميصًا بسيطًا، وسروالاً أمريكيًا أزرق..

خيل لـ (نعمان) أن وجه الفتاة مألوف، وهو يتجه إليها ويصافحها، قائلاً:

- (نعمان والي).. هل يمكنني تعرّفك؟

أجابته في هدوء:

- (سلوى عثمان).. صحفية بمجلة (النهار).

أشار إليها بالجلوس، وهو يقول في لهجة تشف عن الضجر والتعجل:

- يقولون إن لديك سؤالاً لي.. ما هو؟

جلست وهي تقول في لهجة تحمل نبرتي التحفز والتوتر:

- إنهما سؤالان في الواقع.. الأول هو..

صمتت لحظة قصيرة، ثم أكملت في أسلوب هجومي حاد:

- أين العميد (مختار حسن)؟

كان السؤال مباغتًا، إلى حد جعل جسد (نعمان) ينتفض فوق مقعده في شدة، وجعل عينيه تحدقان في الفتاة الجالسة أمامه، في مزيج من الدهشة والذعر، قبل أن يهتف بلا وعي:

- العميد (مختار)؟!

قالت الفتاة بنفس اللهجة الهجومية الحادة:

- نعم.. أين هو؟ إنني أعلم علم اليقين أنه قد زارك هذا الصباح، ومصادري تؤكد أنه لم يغادر قصرك بعد الزيارة، ولقد تحريت الأمر، فأخبرني بعض جيرانك أنهم قد سمعوا صوت تبادل إطلاق نيران هنا، أو صوت رصاصات على الأقل، فأين العميد (مختار)؟ وماذا فعلت به؟

ظل (نعمان) يحدق في وجه الفتاة لحظات في دهشة، ثم لانت ملامحه بغتة، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة، وهو يقول:

- إذن فأنت تبحثين عن العميد (مختار حسن).. يا لها من فرصة طيبة أن تأتي بقدميك

إلى هنا!!

قالت الفتاة في صرامة:

- أين هو يا سيد (نعمان)؟

اتسعت ابتسامته الساخرة، وهو يقول:

- إنه ليس هنا.. أقسم بشرفي على ذلك.

قالت بسخرية عصبية:

- بشرفك؟! هل توحي لي بعدم تصديقك؟

عقد حاجبيه في غضب، وهو يقول:

- لم تعد هناك فائدة لهذا.. كلانا يعلم أنه ما من داع لاستمرار هذا العبث، فنحن نعلم أنه لا وجود لعميد شرطة بهذا الاسم، وأن ذلك الذي انتحل تلك الصفة، لم يكن سوي زميلك.

ازداد انعقاد حاجبيه، وهو يضيف في غلظة:

- العقرب.

ارتكنت على مقعدها في برود، وهو تقول:

- ومن قال إنني أزامل العقارب؟

قفز من مقعده بغتة، وهو يهتف في غضب:

- أنا أقول هذا.

وانتزع الشعر الأحمر المستعار عن رأسها في حركة مباغتة، مستطردا:

- وهذا هو الدليل.

انسدل شعرها على كتفيها، فور انتزاع الشعر المستعار عنه، وإن بدت هي شديدة البرود، وهي تقول ساخرة:

- أي دليل يا سيد (نعمان)؟ هل يوجد عاقل واحد في هذه الدنيا، يمكنه أن يعتبر ارتداء الشعر المستعار دليل اتهام بالنسبة إلى أية سيدة؟ إنك لو فعلت هذا لألقيت القبض على ثلاثة أرباع نساء العالم.

جلس (نعمان) على المقعد المواجه لها، وهو يقول في صرامة:

- ومن يحتاج إلى دليل؟ لقد وضع زميلك المقنع القواعد كلها، فهو بنفسه قال إنها حرب بغير أدلة ولا قانون، ولقد كشفت أنت نفسك بسؤالك عن العميد (مختار)، الذي تأكدنا من أنه ذلك (العقرب)، قبل أن نورده حتفه.

اتسعت عيناها في ذعر، وهي تهتف:

- هل قتلتموه؟

لوح بيده في حركة مسرحية، مجيبًا:

- لا جواب يا عزيزتي الصغيرة.. أنت تعلمين بالطبع أن العقارب تكره الماء، وأنه من المستحيل أن يسبح عقرب مصاب برصاصة قاتلة.

هتفت في بغض:

- أيها الوغد.

صرخ في وجهها بغتة:

- اخرسي..

ثم عاد يلوح بكفه في عصبية هذه المرة، مستطردًا:

- أنت وعقربك لعبتما لعبة أكبر من حجمكما.. وتحديتما من يمكنه سحقكما بأطراف أصابعه، دون أن تقدِّرا عواقب الأمور، وغركما ذلك النجاح التافه السريع، الذي حققتماه بمهاجمة منشآتي، فرحتما تسعيان إلى مزيد من النجاح، وأردتما مهاجمة قصري للمرة الثانية، ولكن هيهات.. إنكما أتفه منَ أن تتحديا (نعمان والي).. إنكما..

انقضت عليه بغتة، وتعلقت بياقة سترته اللامعة، وهي تهتف في غضب:

- أيها الوغد الحقير.. أيها الـ..

دفعها بعيدًا في حدة، وهو يصرخ:

- (شوقي).

اندفع نحوه رجل ضخم من رجاله، إثر النداء، فاستطرد وهو يشير إلى الفتاة، التي لم تكن سوى (غادة):

- أوقفها.

انقض (شوقي) بجسده الضخم على (غادة)، وكبل معصميها بقبضتيه في قوة، وهي تقول:

- هل ستقتلني يا (نعمان)؟ هل ستأمر رجال بالتخلص مني هنا؟

أخرج (نعمان) علبة سجائره، ودس بين شفتيه سيجارة، وهو يقول:

- لا.. ليس هنا.. إنني رجل حذر في الواقع، ولا يمكنني المخاطرة بقتل فتاة هنا.

قالت في حدة:

- هل ستحتجزني إذن؟

ابتسم وهو يهز رأسه نفيًا، قائلاً:

- ولا هذا أيضًا.

وأشعل سيجارته، والتقط منها نفسًا عميقًا، وهو يقول:

- إن لديَّ حلاً أفضل، فهناك أماكن في هذه المدينة، يجهل حتى رجال الشرطة أنني أمتلكها، ومنها فيلا صغيرة أنيقة في المقطم.. سأرسلك إليها الآن، حيث...

لم يتم عبارته، وانما مرر سبابته على عنقه، بما يحمل المعني المقصود، فهتفت (غادة) في غضب:

- أيها الوغد.

تجاهل (نعمان) غضبها تمامًا هذه المرة، وهو يشير إلى (شوقي)، قائلاً في حزم:

- أريد أن تختفي تمامًا.

وهنا كمم (شوقي) فم (غادة)، وحملها عنوة إلى الخارج وهي تقاومه في عنف، في حين نفث (نعمان) دخان سيجارته مرة أخرى، وهو يقول مبتسمًا في ظفر، وعيناه تتألقان ببريق عجيب:

- والآن يمكنني أن أغلق ملف (العقرب)..

وسحب نفسًا عميقًا آخر من سيجارته، ونفثه في قوة مستطردًا في حزم:

- إلى الأبد..

• • •



15- هجـوم..

أوقف (شوقي) سيارته أمام تلك الفيلا الصغيرة، فوق جبل المقطم، وغادرها وهو ينادي زميليه داخلها:

- (أنور).. (صالح).. هلما إلى هنا.

أسرع إليه الرجلان، وسأله أحدهما في لهفة:

- أهو طرد جديد؟

ابتسم (شوقي) قائلاً:

- نعم.. هو طرد جديد، ولكنه ليس أحد الطرود المعتادة.. إنه طرد خاص.

غمغم (أنور) في حيرة:

- طرد خاص؟! أتعني أنه نوع خاص من المخدر؟

أطلق (شوقي) ضحكة ساخرة، وهو يقول:

- بل من البشر.

ثم فتح حقيبة السيارة الخلفية، فحدق (أنور) و(صالح) في جسد (غادة)، المقيدة المعصمين والكاحلين، والمكممة الفم، والتي تتطلع إليهما في غضب، وهتف (صالح):

- إنها فتاة.

قال (شوقي)، وهو يخرج (غادة) خارج السيارة:

- نعم.. إنها رفيقة ذلك (العقرب).

غمغم الرجلان في دهشة:

- العقرب؟! لقد أخبرونا أن الزعيم قد تخلص منه.

أومأ (شوقي) برأسه إيجابًا، وقال:

- وبالتخلص من زميلته تنتهي العملية كلها.

حمل (صالح) و(أنور) (غادة) إلى داخل الفيلا، حيث حل (شوقي) وثاق قدميها، وأزال الكمامة عن فمها، وهو يقول ساخرًا:

- ما رأيك الآن؟ هل نجح صديقك (العقرب)؟

أدهشه أن ارتسمت على شفتيها ابتسامة تجمع بين السخرية والظفر، وهي تقول:

- بالتأكيد.

ولم تكد تتم حروف كلمتها حتى بدأ الهجوم..

آخر هجوم يتوقعه الرجال الثلاثة..

هجوم (العقرب)..

• • •

بدا (نعمان) شديد التأنق والابتهاج في حفل تلك السفارة الأجنبية، وراح كعادته يوزع ابتساماته ونكاته على الجميع، على الرغم من ركاكة لغته الأجنبية، حتى انفرد بالملحق الثقافي للسفارة، وانتحى به جانبًا، وهمس له بالعربية:

- مرحبًا يا صديقي (دافيد).. كيف حالك؟ وكيف حال الشحنة الجديدة؟

ابتسم (دافيد)، وداعب خصلات شعره الأشقر الناعم بأصابعه، وهو يقول:

- في خير حال يا عزيزي (نعمان).. إنها ستصل في موعدها تمامًا.

نطق (دافيد) العبارة في لغة عربية سليمة، فقال (نعمان):

- أرجو أن يكون رؤساءك قد اتخذوا الاحتياطات اللازمة هذه المرة، فأنت تعلم أنها أكبر شحنة منذ تعاملنا معًا، لقد كلفتني مائتي مليون دولار، وهي تقريبًا كل ثروتي.

قال (دافيد) في هدوء:

- لا تقلق يا عزيزي (نعمان).. إننا نتخذ الترتيبات اللازمة دومًا، ولم يحدث أن تم الإيقاع بك أبدًا.. أليس كذلك؟

زمجر (نعمان)، قائلاً:

- ليس الفضل في هذا لترتيباتكم يا (دافيد)، وإنما لحذري الشديد.

ابتسم (دافيد) في سخرية، وهو يقول:

- هكذا؟!

هتف (نعمان) في حنق:

- دعك من أسلوبك هذا، الذي أمقته، وأخبرني مرة أخرى.. ألا توجد أية تعديلات في الخطة؟ هل سيتم التسليم مساء الجمعة القادم كما اتفقنا؟

هز (دافيد) رأسه نفيًا، وقال في حسم:

- بالطبع.. ستصل الشحنة - كما اتفقنا - على يخت خاص، وستتسلمها مع رجالك على بعد عشرة كيلومترات، شرق مصيف (العجمي)، والشحنة سيبلغ وزنها طنًا كاملاً، من الهيروين البالغ النقاوة، وعليك إعداد السيارات اللازمة لحمله.

تمتم (نعمان):

- سأفعل.

رفع (دافيد) كأسه عاليًا، وهو يقول:

- ولا تنسَ عمولتي يا عزيزي، فأنت ستربح من هذه الصفقة خمسمائة مليون دولار على الأقل.. أليس كذلك؟

التمعت عينا (نعمان) ببريق شره عجيب، وهو يرفع كأسه بدوره، قائلاً في شبق:

- نعم.. إنها صفقة العمر..

وتقارعت الكأسان..

• • •

كان الهجوم خاطفًا، مباغتًا، قويًا، مخيفًا..

لم تكد (غادة) تتم حروف كلمتها، التي نطقتها في سخرية وحزم، حتى فوجئ الأوغاد الثلاثة (شوقي) و(صالح) و(أنور)، بزجاج نافذة الفيلا، المطلة على (القاهرة)، يتهشم في عنف، وتتناثر قطعه في وجوههم، مع شبح أسود يعبر النافذة كالصاعقة..

صرخ (أنور) في رعب، وتراجع (صالح)، وهو يشهق مذعورًا، في حين قفزت يد (شوقي) إلى مسدسه، وهو يهتف:

- ما هذا؟

وهوت قبضة (العقرب) على فك (أنور)، ثم قفز هو يواجه (صالح)، في نفس اللحظة التي رفع فيها (شوقي) مسدسه إليه، صارخًا:

- لن تربح أيها (العقرب).

ولكن (شوقي) لم يطلق رصاصة واحدة..

فعلى الرغم من يديها الموثقتين خلف ظهرها، قفزت قدم (غادة) تركل المسدس من يد (شوقي)، وهي تهتف:

- لا تتجاهلني أيها الوغد.

ثم اندفعت قدمها الثانية تغوص في معدته، مستطردة:

- صحيح أنني امرأة، ولكن..

قفزت قدمها الأولى تركل فكه كقنبلة، وهي تكمل جملتها:

- للنساء قوتهن أيضًا.

أما (نديم)، فقد واجه (صالح) في برود كعادته، وهو يقول:

- ما قولك يا صديقي؟ أبإرادتك تستسلم؟ أم على الرغم من أنفك؟

تردد (صالح) بضع لحظات، إلا أن مشهد القناع الأسود، وأسلوب الهجوم الخاطف المباغت، وتلك النبرة الصارمة الباردة في صوت (نديم)، كلها عوامل جعلت إرادة (صالح) تتفتت، وجعلته ينهار متمتمًا:

- إنني أستسلم.

أشار (نديم) إلى (غادة)، وهو يقول في هدوء، وكأنما كان يتوقع هذا الاستسلام غير المشروط:

- حل وثاق زميلتي إذن.

نفذ (صالح) الأمر صاغرًا، فأسرعت (غادة) تلتقط مسدس (شوقي)، وهي تأمر (صالح) في صرامة:

- والآن ستقوم بتوثيق زميليك في إحكام.. هيا.

ثم التفتت إلى (نديم)، الذي اتخذ مقعدًا وثيرًا في هدوء، وراح يتابع المشهد على نحو يوحي باللامبالاة، وسألته في تعاطف:

- كيف حال جراحك يا عزيزي؟

هز كتفيه، وهو يقول في هدوء:

- في خير حال.. ومن حسن الحظ أن صديقنا (سيد) لا يجيد التصويب، فلقد جاءت الإصابات كلها سطحية، يسهل علاجها، ولكن إصابة ذراعي تعوقني عن القتال الجيد بالتأكيد، ولهذا فقد كان من الأفضل أن يستسلم ذلك الوغد، فلست أدري ماذا كان سينتهي إليه الأمر لو أنه قرر القتال؟

- احتقن وجه (صالح) في حنق، في حين أطلقت (غادة) ضحكة ساخرة، وهي تقول:

هذا من حسن الحظ.

ثم استطردت في حنان مباغت:

- ومن حسن تدبيرك للأمور أيضًا، فلقد كنت رائعًا بالتأكيد، عندما غصت في النيل ورحت تسبح تحت الماء بذراع مصابة، وعنق ينزف، حتى بلغت ذلك الموضع، الذي تركت عنده سيارتك، و...

لوح بكفه، قائلاً:

- لا داعي لكشف كل الأوراق، أمام هذا الوغد يا عزيزتي.

ثم التفت إلى (صالح)، قائلاً:

- والآن اجلس يا رجل، ستجيب عن بعض الأسئلة.

جلس (صالح)، وهو يقول في توتر حانق:

- لو أنك تهدف إلى معرفة بعض أسرار الزعيم فثق أنك لن تجد لديَّ أية أجوبة، ولن...

قاطعه (نديم) في هدوء:

- من قال إنني أرغب في معرفة أي شيء عن زعيمك الحقير هذا؟

تطلع إليه الرجل في دهشة، وهو يقول في حيرة:

- أية أسئلة ستلقيها إذن؟

اعتدل (نديم) في مجلسه، وحمل صوته كل صرامته وقوته، وهو يسأله في حزم:

- أريد معرفة ما تخفيه هذه الفيلا.. ولو أردت مزيدًا من التحديد، فأنا أبحث عن شيء واحد.

وبدا أكثر صرامة، وهو يضيف في حزم:

- المخدرات.

• • •

عندما عاد (نعمان) من ذلك الحفل، في الرابعة صباحًا، كان جسده كله يتراقص بهجة وسعادة، بعد أن حقق في ليلته انتصارين ساحقين..

تخلص من آخر ما يتهدده بشأن (العقرب)، وأكد صفقة عمره..

ولهذين السببين بالذات، شعر (نعمان) بدهشة بالغة، عندما وصل إلى قصره المنيف، وشعر بتلك الروح القلقة التي تحيط به وأدهشه أكثر وجود (سيد) في القصر، في تلك الساعة المبكرة، فسأله في توتر:

- ماذا حدث؟ لماذا أتيت الآن؟

كان (سيد) يبدو أشد قلقًا وحنقًا وتوترًا، وهو يجيب:

- (العقرب).

كانت كلمة واحدة، من ستة حروف لا غير، إلا أنها كانت كافية لأن ينتفض جسد (نعمان) كله في قوة، كمن أصابته صاعقة، وتتسع عيناه حتى تقاربا الجحوظ، وهو يحدق في وجه

(سيد)، مردداً:

- (العقرب)؟! أي عقرب؟

لوح (سيد) بكفه في سخط، وهو يقول:

- وهل يوجد غيره؟ ذلك العقرب الأسود القاتل.. ذلك الشبح الذي يطاردنا في كل مكان وزمان.

ارتجف جسد (نعمان) وصوته، وهو يقول في توتر:

- ولكن.. ألم يلق مصرعه؟ ألم تطلق عليه النار بنفسك؟

أجابه (سيد) في مرارة:

- هذا ما تصورته، وما تصورناه جميعاً، ولكن يبدو أن هذا العقرب كالأشباح.. لا يموت أبداً.

ألقى (نعمان) جسده على أقرب مقعد إليه، وهو يقول في شحوب:

- وكيف؟ كيف علمت أنه حي؟

عقد (سيد) حاجبيه، قائلاً:

- لقد ضرب ضربة جديدة.

ردد (نعمان) كالمذهول:

- ضربة جديدة؟! كيف؟

أجابه (سيد) في صوت يزخر بالحنق والمرارة والغضب:

- لقد هاجم فيلا المقطم، وحرر زميلته.

هتف (نعمان):

- هاجم الفيلا، وحرر زميلته؟! وكيف له أن يتوصل إليها؟

زفر (سيد) في حنق، قبل أن يجيب:

- من الواضح أنه تتبع سيارة (شوقي)، حتى وصل إلى الفيلا، وهناك هاجم (شوقي) و(صالح) و(أنور) على نحو مباغت، وحرر زميلته، و...

بتر عبارته بغتة، على نحو أثار قلق (نعمان)، فهتف به:

- وماذا؟

زفر (سيد) مرة أخرى في سخط، وأجاب:

- وسرق كيلوجرامين من الهيروين.

هب (نعمان) من مقعده، صارخًا:

- ماذا؟!.. سرق الـ..

لم يستطع إتمام عبارته، من فرط انفعاله، فاختنقت الحروف في حلقه، وسعل في عنف، قبل أن يستطرد محتدًا:

- أي هراء هذا؟ كيف كشف مخبأ الهيروين؟ من أرشده إليه؟

أجابه (سيد) في حدة:

- (صالح).. ولقد قمت باللازم معه، ونال جزاء فعلته، و(أنور) و(شوقي) يعملان على إخفاء جثته الآن، ولكن ما يثير غضبي هو لماذا يفعل ذلك العقرب كل هذا؟ إنني واثق من أنه ليس مجرد لص.

انعقد حاجبا (نعمان) في شدة، وهو يقول في عصبية:

- أنت على حق يا (سيد).. السؤال الحقيقي هو: لماذا يفعل كل هذا؟

وشرد ببصره بضع لحظات في صمت، قبل أن يستطرد في انفعال، وكأنه يفكر بصوت مرتفع:

- من الواضح أن زميلته كانت تعلم بنجاته، قبل أن تأتي إلى هنا، فلماذا خاطرت بالمجيء؟ ربما لأنها تعلم أنني سأكشف أمرها، وأنني سأرسلها إلى مكان لا يعلمه سواي، نظرًا لحذري الشديد، وحرصي على ألا أتخلص منها في قصري، وكانت وزميلها (العقرب) يعلمان جيدًا أنه من الضروري أن يجدا بعض المخدرات، في ذلك المكان السري، ما دمت أحرص على سريته، وهذا يعني أنهما رسما كل هذه الخطة لهدف واحد، ألا وهو التوصل إلى المخدرات وسرقتها.. ولكنني واثق مثلك – في الوقت ذاته – من أنهما ليسا لصين عاديين.. فما الذي يبتغيانه إذن؟

غمغم (سيد) في حنق:

- لقد عجزت عن التوصل إلى ذلك أيها الزعيم.

صاح به (نعمان)، مفرغًا ثورة انفعاله:

- صه أيها الغبي.. قلت لك ألف مرة ألا تنطق ذلك اللقب، وإلا قطعت لسانك.. هل تفهم؟ سأقطع لسانك لو نطقت به مرة أخرى.

عقد (سيد) حاجبيه، مغمغمًا:

- لن أفعل أيها الزعيم.. لن أفعل..

تابع (نعمان) ثورته:

- ولن يمكنك أبدا التوصل إلى ما يهدفان إليه من لعبتهما.. أتعلم لماذا؟ لأن عقلك لا يبلغ المستوى المطلوب لهذا.. إنهما يلعبان لعبة ذكاء كبرى، وأنت لا تستخدم من جسدك سوى عضلاتك فحسب، ولست تجيد حتى استخدامها..هل فهمت؟

همهم (سيد) محتجًا، بكلمات غير مفهومة، فتابع (نعمان) متوترًا:

- إنهما يهدفان إلى أمر أكبر كثيرًا مما تتصور.. أراهن أنهما يلعبان لعبة محبوكة للغاية.. ولكن لماذا؟ وما الهدف؟

وضرب قبضته اليمنى في راحته اليسرى، وهو يستطرد في سخط:

- آه لوأعلم من هو (العقرب) هذا!!

تمتم (سيد):

- إن صوته يبدو لي مألوفًا، ولكنني لست أذكر متى ولا أين سمعته، ولا من صاحبه.. ولكنني أبذل أقصى جهدي، و...

قاطعه (نعمان) في حدة:

- لن تنجح أبدًا..

ثم تابع في غيظ:

- ولكن من الضروري أن أنجح أنا.. من المحتم أن أدرك طبيعة لعبتهما، فهذه هي الوسيلة الوحيدة للنصر..

وللظفر بـ (العقرب)..

• • •

سيف العدالة

16- الإعداد..

لم تكد (غادة) تدلف إلى مكتب (نديم)، في الصباح التالي، حتى وقع بصرها على العقيد (مجدي)، الذي جلس في الردهة الخالية، يتصفح جريدة الصباح، وقد وضع قدمه فوق ساقه الأخرى، وحل رباط عنقه قليلاً، فابتسمت ابتسامة باهتة ضجرة، وهي تقول:

- صباح الخير يا سيادة العقيد.. قل لي: أينبغي أن ننتظر زيارتك كل صباح؟

طوى (مجدي) الجريدة، وألقاها على المنضدة أمامه، وحدج (غادة) بنظرة باردة قاسية، وهو يقول:

- إلى حد ما، فزيارتكما تروق لي كثيرًا.

جلست على المقعد المقابل له، وهي تقول في سخرية:

- كنت أتمنى أن يكون هذا الشعور متبادلا، ولكنني لم أعتد النفاق.

عقد حاجبيه في شدة، وهو يقول:

- ولا أنا.. أخبريني.. أين (نديم)؟ ألا يحضر إلى مكتبه مبكرًا أبدًا؟

أتاه الجواب بصوت (نديم)، وهو يقول:

- هأنذا.

التفت الاثنان إلى باب المكتب، حيث ظهر (نديم)، وابتسمت (غادة) في حنان، وهي تقول:

- صباح الخير يا (نديم).

أما (مجدي)، فقد قال محتدًا:

- أهلاً.. هل تهوى المباغتة دومًا؟

هز (نديم) كتفيه في هدوء، وهو يقول:

- فقط عندما يستلزم الأمر ذلك.

أشار (مجدي) إلى قطعة من مشمع الجروح اللاصق، تغطي جزءا من عنق (نديم)، وقال:

- ما سبب هذا؟

أجابه (نديم) في لامبالاة، وهو يتجه نحو حجرته الخاصة:

- مجرد جرح بسيط.

قفز (مجدي) من مقعده، وأمسك ذراع (نديم) في قوة، وهو يقول في حدة:

- اسمع يا هذا.. إنك لن تخدعني أبدا.. أراهنك أنك قد أصبت بهذا الجرح في أثناء

مغامراتك غير القانونية، في شخصية (العقرب) وأن...

فجأة انتزع (نديم) ذراعه من قبضة (مجدي)، والتفت إليه في حركة حادة، وهو يقول في صرامة:

- اسمع يا (مجدي).. لقد سئمت تلك التفاهات.. قل لي أولاً: أبصفة رسمية أنت هنا أم شخصية؟

بهت (مجدي) للسؤال، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه قائلاً في تحد:

- وهل يهمك هذا كثيرًا؟

أجابه (نديم) بنفس الصرامة:

- نعم.. فلو أنك هنا بصفة رسمية، فأنا أصر على أن تبرز أمر التفتيش، أو أمر قبض، أو أي شيء من هذا القبيل، أما لو كان الأمر بصفة شخصية فأنا أعتذر عن مقابلتك، فلقد اعتدت مقابلة عملائي بعد العاشرة، والساعة لم تتجاوز التاسعة والنصف بعد، ولست أسمح بالمقابلات الشخصية في أوقات العمل.. أهذا مفهوم؟

احتقن وجه (مجدي) في شدة، وهو يتطلع إليه، ثم قال محنقًا:

- مفهوم.. ولكنني أردت أن أخبرك بأمر ما، وهو أنني أعلم أنك (العقرب)، وأنني سأقع بك حتمًا، إن عاجلاً أو آجلاً.

قال (نديم) في برود:

- أهذا كل شيء؟

ازداد احتقان وجه (مجدي)، وهو يهتف:

- نعم.. هذا كل شيء.

واندفع نحو باب الخروج في حدة، ثم توقف ليستطرد:

- في الوقت الحالي.

وأكمل طريقه في عنف، فزفرت (غادة) قائلة:

- إنه مزعج للغاية..

أضاف (نديم):

- وفاشل أيضًا.

ثم أشار إلى مكتبه، مستطردًا:

- أكانت حجرتي مغلقة طيلة الوقت؟

أدركت مغزى سؤاله، فابتسمت قائلة:

- نعم.. ويمكنك أن تطمئن، فلن يمكنه دس أية أجهزة تسجيل.

دفع باب حجرته في ارتياح، وهو يقول:

- اتبعيني.

تبعته إلى حجرته، فأغلق بابها خلفهما في إحكام، وهو يسألها في اهتمام:

- هل جمعت التحريات اللازمة عن ذلك الشخص؟

هزت كتفيها، قائلة:

- ليس بعد بالتأكيد، فهو ليس مواطنًا مصريًا، وسيكون من العسير جمع تحريات كافية عنه.

أومأ برأسه متفهمًا، واتجه ليجلس خلف مكتبه، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه، قائلاً:

- لقد كنت على حق لحسن الحظ، عندما استنتجت أن هناك صلة مريبة، تربط (نعمان) بأحد موظفي هذه السفارة.

ابتسمت (غادة) وهي تقول:

- بل كانت عبقرية منك أن تستنتج ذلك!

هز كتفيه، قائلاً في هدوء:

- لم يكن الأمر يحتاج إلى أي نوع من العبقرية، فلقد أدهشني أن يقبل (نعمان) الدعوة لحضور حفل هذه السفارة بالذات، على الرغم من رفضه دعوات سفارات دول أخرى، ودفعني هذا إلى التفكير في أنه سيلبي الدعوة ليلتقي بشخص ما، يشاركه أعماله المريبة.. ولقد كنت أنت شديدة البراعة، عندما تشبثت بياقة سترته وغرست جهاز الإرسال الصغير، الذي نقل إلينا حواره مع (دافيد) هذا.

تنهدت قائلة:

- إننا نعلم الآن أن (نعمان) ينتظر إتمام صفقته الكبرى، مساء يوم الجمعة القادم، على بعد عشرين كيلومترًا، شرقي (العجمي)، وأنه قد خاطر بثروته كلها تقريبًا، في هذه العملية، ويكفي أن نبلغ الشرطة، و...

قاطعها في هدوء:

- خطأ يا عزيزتي.. لو أننا أبلغنا إدارة مكافحة المخدرات بالأمر، فسيقتصر الموضوع على إحباط الصفقة، وخسارة (نعمان) لثروته.

هتفت في دهشة:

- ألا يكفيك هذا؟

هز رأسه نفيًا، وقال:

- مطلقًا.. الأوغاد أمثال (نعمان) ينهارون بالطبع، عندما يخسرون ثروتهم، إلا أن ذلك الانهيار يتلاشى في سرعة، مع إصرارهم على تعويض خسارتهم بعمليات أخرى، ومن المؤسف أنهم يجدون من يمولهم، اعتمادًا على سمعتهم فحسب، وطمعًا في ربح وفير.. لا يا عزيزتي.. لست أسعى هذه المرة لإفساد صفقة مخدرات، وإفلاس (نعمان) فحسب.. بل أسعى إلى إنهاء المباراة بالضربة القاضية، أو بطعنة سيف (الماتادور).. أسعى إلى تحطيم (نعمان) تمامًا، بحيث لا تقوم له قائمة أبدًا.

سألته في لهفة:

- كيف؟

بدا هادئًا، باردًا، جامدًا، على نحو أحنقها كثيرًا، وهو يقول:

- ستعلمين فيما بعد يا عزيزتي.. ستعلمين كل شيء في الوقت المناسب تمامًا.

وفي هذه المرة أيضًا، لم يبتسم (العقرب)..

• • •

راح (سيد) يسير في أرجاء حجرته الخاصة، في الملهى الليلي، محنقًا، غاضبًا وبعد أن اتهمه زعيمه بالغباء، وبعدم القدرة على فهم الأمور، وراح يضرب مكتبه بقبضته في سخط، وهو يهتف:

- لماذا يتصور أنني غبي؟ لماذا يظنني ساذجًا أبله؟ لماذا؟

وضغط أسنانه في غيظ، وهو يستطرد:

- آه لو أعرف من هو (العقرب)! عندئذ سيقدر الزعيم ذكائي، وسيحترم عقلي.

غمغم حارسه الخاص، الضخم الجثة، (إدوارد):

- لماذا يحنقك الأمر على هذا النحو يا سيدي؟ كلنا نعلم أن الزعيم يتصور نفسه الذكي الوحيد هنا، و...

صاح (سيد) ليوقفه:

- كفى.. لست أحتمل هذا الحديث.

ثم استطرد في لهجة أقرب إلى الضراعة:

- قل لي يا (إدوارد).. ألا تذكر أين رأيت ذلك (العقرب) من قبل؟

هز (إدوارد) رأسه نفيًا، وهو يقول:

- والواقع يا سيدي أنني لست أذكر أبدًا أنني قد رأيته من قبل.

هتف (سيد) محنقًا:

- ولكنني واثق من أنني قد رأيته.. شيء ما في صوته، أو في لهجته أو كلماته، يؤكد لي أنني قد التقيت به من قبل.. شيء قاله، أو...

بتر عبارته بغتة، واتسعت عيناه في شدة، وهو يهتف:

- يا للشياطين!!

اعتدل (إدوارد) في دهشة، وهو يسأله:

- هل تذكرت شيئًا يا سيدي؟

التفت إليه (سيد) في حركة حادة، وأمسك ذراعيه في قوة، وأساريره تتهلل ظفرا، وهو يهتف:

- بل تذكرت كل شيء يا (إدوارد).

وتضاعف بريق عينيه الشرس، وهو يضيف:

- عرفت من هو (العقرب)..

• • •

سيف العدالة



17- المباغتة..

كانت (غادة) منهمكة في تدوين بعض المعلومات، على جهاز كمبيوتر صغير في مكتب (نديم)، عندما سقط أمامها ظل ضخم، جعلها ترفع عينيها إلى صاحبه في هدوء، ولكن لم يكد بصرها يقع على جسد (إدوارد) الضخم، وابتسامته الوحشية، التي تكشف عن أسنان قذرة صفراء من كثرة التدخين، وذلك المسدس الكبير في قبضته، حتى تلاشى هدوءها، وهبت من مقعدها هاتفة:

- من أنت؟ وماذا.....؟

قبل أن تتم عبارتها، برز (سيد) فجأة من خلف (إدوارد)، وألصق فوهة مسدسه برأسها، وهو يقول في شراسة:

- الصمت يا ذيل (العقرب).. حرف واحد وأفرغ مسدسي كله في رأسك.. هل تفهمين؟

كان من الواضح أنه يعني تمامًا ما يقول، ولمحت هي رجلين مسلحين آخرين، أغلق أحدهما الباب، ثم انتزع من طيات ثيابه مدفعًا رشاشًا، و(سيد) يستطرد:

- أين (نديم فوزي)؟ أهو في مكتبه؟ حذار أن تجيبي بأي صوت كان.. تكفيني إيماءة رأس فقط.

هزت رأسها نفيًا، فأشار إلى (إدوارد)، قائلاً في حزم:

- تأكد من إجابتها.

اتجه (إدوارد) إلى حجرة (نديم) في خفة، على الرغم من ضخامته، وانحنىَ يختلس النظر من ثقب بابها، ثم رفع رأسه، قائلاً في هدوء هامس:

- إنه هنا.

دفع (سيد) فوهة مسدسه في رأس (غادة) في عنف، وهو يقول في حدة:

- هل تكذبين؟ هل تحاولين حمايته؟

تمتمت في خفوت:

- ماذا تريدون منا؟

أجابها وهو يبتسم في شراسة:

- ستعلمين.

ثم دفعها أمامه في عنف، وهو يهتف:

- اهجموا يا رجال.

اند الجميع بغتة داخل حجرة مكتب (نديم)، الذي هب من مقعده متحفزًا، لولا أن

لمح (غادة) بين يدي (سيد)، ومسدس هذا الأخير الضخم يلتصق برأسها فقال في صرامة:

- ماذا تريدون؟

افتر ثغر (سيد) عن ابتسامة وحشية شامتة، وهو يقول:

- نريدك أنت يا رجل.. نريد (العقرب).

قال (نديم):

- (العقرب)؟! أي عقرب يا رجل؟ هذا مكتب محاماة محترم، و...

قاطعه (سيد) في حزم:

- لا تحاول يا رجل.. لقد أتيت إلى هنا، لأنني لا أملك ذرة شك واحدة في كونك (العقرب)، هذا بعد أن تذكرت كلمة نطقتها في حجرتي بالملهى الليلي، عندما هاجمتني هناك، في زيك الأسود المخيف.. هل تتذكر ما حدث عندما هاجمتك أنا بمديتي؟ لقد صحت أنت عندئذ: " لا.. ليس ثانية ".. فما الذي يعنيه هذا القول؟ يعني في بساطة أنه قد سبق لي أن طعنتك بمديتي.. أليس كذلك؟ أنت ينطبق عليك هذا، وتنطبق عليك الشروط.. وهذا يعني أنك أنت (العقرب).

ران الصمت لحظات على المكان، قبل أن يعتدل (نديم) في وقفته، ويقول في برود:

- حسنًا.. سنفترض أنني كذلك.. ماذا تريد الآن؟

هتف (سيد):

- كنت أريد أن أقتلك على الفور في الواقع، إلا أنني أحب أن أفاجئ بك زعيمي، فهو لن يتصور أبدًا أنني استطعت تعرف (العقرب)، وإلقاء القبض عليه أيضًا، وسيدهشه أنك أنت خصمه اللدود الذي يبحث عنه بكل جوارحه.

قال (نديم) في هدوء:

- وهل يمكن دفع ثمن عدم فعل هذا؟

صاح (سيد):

- مطلقًا.

التفت (نديم) في بساطة إلى الرجال الثلاثة، الذين يصحبون (سيد)، وقال:

- وماذا عنكم أنتم يا رجال؟ ما رأيكم بمليون جنيه دفعة واحدة، مقابل قتل (سيد) بدلاً مني، وعدم ذكر حرف واحد مما حدث لزعيمكم.

شعر (سيد) بحنق هائل، عندما لمح التردد في عيون رجاله، وهتف:

- أيها الأوغاد.. لا تجعلوه يخدعكم.. إنه لا يملك حتى هذا المبلغ.

قال (نديم) في برود:

- أمتلكه بالفعل أيها الوغد.. أنسيت أن أبي أحد أكبر أثرياء (مصر).

خشي (سيد) أن يؤثر الإغراء على رجاله، فهتف في صرامة:

- لا أيها (العقرب).. لن يمكنك شراء رجالنا قط.

ثم جذب مشط مسدسه، وهتف في حزم:

- هيا.. اقتلوهما يا رجال.

وزال تردد الرجال مع الأمر المباشر، فارتفعت فوهات أسلحتهم نحو (نديم)..

- وحانت لحظة الحسم..

• • •

سيف العدالة

18- كل الاحتمالات..

كانت النهاية آتية لا ريب، وكانت كل الأصابع متحفزة لضغط الأزندة، وإطلاق عشرات الرصاصات على (نديم) و(غادة)، عندما ارتفع فجأة صوت هادئ من خلف (سيد) ورجاله، يقول:

- أخطأت أيها الوغد.. إنما أنا (العقرب).

كانت مفاجأة عنيفة حقًا، جعلت الرجال الأربعة يلتفتون إلى مصدر الصوت في سرعة وتحفز..

ثم أتت المفاجأة الحقة..

لقد كان المكان خلفهم خاليًا..

خاليًا تمامًا..

وقبل أن تعود رءوسهم وأبصارهم إلى موضعها الأول، كان (نديم) و(غادة) قد شنا هجومهما المضاد..

قفز (نديم) من فوق مكتبه، وركل مسدس (إدوارد) في قوة، ثم هوى بقبضته على أسنان هذا الأخير كالصاعقة، وأما (غادة)، فقد اندفعت نحو (سيد)، وغاصت بقبضتها في معدته، ولم تنتظر حتى ينثني جسده، بل عاجلته بركلة في أنفه، سقط لها أرضًا، والدماء تلوث وجهه..

والتفت الرجلان الآخران في سرعة، ولكن واجههما مسدسا (نديم) و(غادة)، والأول يقول في صرامة:

- من يحب أن يتلقى الرصاصة الأولى؟

كان لذلك الانقلاب المفاجئ، وللهجة (نديم) الصارمة ومباغتته، الأثر الكافي، فألقى الرجال سلاحيهما في سخط، وارتفعت أذرعتهما فوق رأسيهما، في حين راح (إدوارد) يخور كثور جريح، ونهض (سيد) محنقًا، يحاول إيقاف النزيف الدموي، المنهمر من أنفه، وهو يقول:

- اللعنة! ماذا فعلت بي؟

أجابته (غادة) في سخرية:

- إنها لعبة طريفة يا رجل، فلقد توقع (نديم) حدوث محاولة هجوم ذات مرة، فزود إطار الباب بأسطوانة صغيرة، تحمل تلك العبارة التي سمعتموها، ويمكن تشغيلها بزر صغير في إطار مكتبه.. ما رأيك؟ أليس هذا دليلاً على الذكاء والعبقرية، وبعد النظر إلى الأمور؟

هتف (سيد) في حنق:

- ولكن هذا لن يجدي، فلن يمكنكما أبدًا إثبات أننا حاولنا أن...

قاطعه (نديم) في برود:

- اطمئن أيها الوغد.. إننا لن نحاول ذلك أبدًا، فلقد وعينا الدرس، وقررنا أن نلعب اللعبة بقواعدكم أنتم.

غمغم (سيد) في قلق وتوتر:

- ماذا تعني؟

أجابه في هدوء:

- أعني أننا لن نبلغ الشرطة هذه المرة.

تطلع إليه الرجال في دهشة وحذر، فاستدرك:

- ولن نطلق سراحكم في الوقت ذاته.

قفز إلى أذهانهم احتمال دموي مخيف، لولا أن أضاف هو في حزم:

- سنحتفظ بكم هنا، حتى مساء الجمعة.. أي ليومين فحسب.

بدأ (سيد) يتوتر في شدة، وهو يقول على نحو عصبي:

- لن يمكنك هذا.

قال (نديم) في برود مخيف:

- هل تراهن؟

حاول (سيد) أن يلجأ إلى الخداع، فقال في حدة:

- أتظن أن الأمور ستسير على هذا النحو الهين؟ إن الزعيم يعلم أين نحن، وهو لن يسمح بـ...

قاطعه (نديم):

- محاولة فاشلة أيها الوغد، فلقد قلت بنفسك — منذ قليل — إنك تريد أن تفاجئ زعيمك بالأمر، وإنه لن يتوقع أبدًا كوني (العقرب)، وهذا يعني أنه لا يعلم حتى أين أنت الآن.

بدت المرارة ممتزجة بخيبة الأمل، على وجه (سيد)، حين أضاف (نديم) في حزم رجل لم يعتد الهزيمة:

- اطمئن.. سنحتفظ بكم سالمين، حتى ليل الجمعة، وبعدها سيكون على الشرطة الرسمية أن تتولى أمركم.. وأمر زعيمكم.

وصمت وهلة، قبل أن يضيف في صرامة:

- لقد حانت الجولة الأخيرة أيها الأوغاد.. جولة (العقرب)..

• • •

غادر وزير الداخلية مكتبه، وراح يقطع الممر الطويل لذلك الطابق، في خطوات سريعة كالمعتاد، حتى استوقفه ضابط برتبة عقيد، وهو يقول في توتر:

- لحظة يا سيادة الوزير.

التفت إليه الوزير، وتوقف يسأله في صرامة:

- ماذا تريد أيها العقيد؟

أجابه العقيد (مجدي) في عصبية واضحة:

- أريد أمر اعتقال رجل.

عقد وزير الداخلية حاجبيه، وهو يسأله:

- أي رجل؟ أهو سياسي مشاغب، أم متعصب، أم...

قاطعته (مجدي):

- بل هو رجل يتحدى القانون يا سيدي.

رفع الوزير حاجبيه في دهشة، مرددًا:

- يتحدى القانون؟

ثم عاد يعقد الحاجبين، مستطردًا في غضب وصرامة:

- ومن ذا الذي جرؤ على تحدي القانون؟

أجابه (مجدي) بنفس العصبية:

- (العقرب) يا سيدي.

حدق الوزير في وجهه بدهشة، ثم قال في حيرة:

- ألم تؤكد أنت ورؤسائك في تقريركم عن هذا الشأن أنكم تجهلون تمامًا شخصية ذلك المقنع؟

أجابه (مجدي) في لهفة:

- لقد عرفته يا سيدي.

هتف الوزير:

- ولماذا أمر الاعتقال إذن؟ ألق القبض عليه فورًا.

تنحنح (مجدي)، وهو يقول:

- المشكلة أنني لا أملك دليلاً رسميًا، و...

قاطعه الوزير:

- حسنًا.. من هو ذلك (العقرب)؟

اعتدل (مجدي)، وتنحنح في شدة، وقال في حزم:

- إنه (نديم) يا سيدي.. (نديم فوزي).

عاد الوزير يعقد حاجبيه للمرة الثالثة، وهو يقول:

- (نديم فوزي)؟!.. أليس هذا هو ضابط الشرطة الذي...؟

قاطعه (مجدي) في لهفة عجيبة:

- نعم.. إنه هو الذي فصلته يا سيادة الوزير.

تطلع الوزير إلى (مجدي) في شك، وقد بدت له تلك اللهفة الزائدة إشارة إلى أن (مجدي) يعالج الأمر بانفعال شخصي، أو أنه يضمر روحًا انتقامية لـ (نديم) هذا، فقال في حزم:

- حسنًا.. الأمر يحتاج إلى بعض الدراسة.

هتف (مجدي) مستنكرًا:

- ولكن يا سيدي.

قال الوزير في صرامة:

- قلت لك إنه يحتاج إلى دراسة.. إنه أمر اعتقال.

ثم واصل انصرافه بنفس خطواته الواسعة وتاركًا (مجدي) خلفه يقول في غيظ:

- فليكن أيها (العقرب).. سأحتمل الانتظار هذه المرة، وبعدها سأسحقك سحقًا.. هذا هو الاحتمال الوحيد لنهايتك..

• • •

سيف العدالة



19- يوم المعركة..

لم تكد تشرق شمس الجمعة، حتى بدا (نعمان والي) شديد التوتر والعصبية، حتى إنه راح يسب كل من حوله، بغض النظر عن استجابتهم وخدماتهم له من عدمها..

وبكل ثورته وقلقه، إزاء تلك الصفقة، التي تنتظره في المساء، راح يصرخ:

- أين (سيد)؟ أين ذلك الحقير؟ لماذا لم أرَ وجهه منذ أمس الأول؟

أجابه رئيس خدمه في حذر:

- ربما سافر إلى (الإسكندرية) يا سيدي، فرجال ملهاه الليلي يقولون إنه قد اصطحب معه ثلاثة رجال وانصرف منذ مساء الأربعاء.

ضرب (نعمان) مائدة الإفطار بقبضته في حنق، وهو يقول:

- ذلك الغبي الحقير.. كيف يسافر دون المرور على القصر؟ كيف؟

كان يعلم أن ثورته ليس لها ما يبررها، وأن (سيد) قد اعتاد إتمام كل الصفقات الكبيرة بنفسه، دون الرجوع إليه، وأنه يعلم جيدًا موعد ومكان إتمام صفقة الليلة، ولكن شعوره بأن هذه الصفقة تمثل نقطة تحول هائلة في حياته، كان يبعث في عروقه رجفة مخيفة..

إنه، لو نجحت هذه الصفقة فسيصبح واحدًا من أثرياء العالم المعدودين، الذين يمكنهم تحريك اقتصاديات دول كاملة..

أما لو فشلت فستدمره تدميرًا..

والاحتمالات يرجفان مشاعره تمامًا..

ثم إنه يعتبر هذه الصفقة الكبرى نهاية لعمله في تجارة المخدرات..

لقد أعد عدته ليجعل منها كذلك..

لقد ابتاع قصرًا في (سويسرا)، ويستعد لبناء مصنع ضخم هناك..

وسيترك كل أتباعه خلفه..

وبخاصة (سيد) اللعين هذا..

سيترك (مصر) كلها، ويبدأ هناك حياة جديدة نظيفة..

تضاعف توتره، عندما تذكر (العقرب)، واصراره على تحطيم حياته، إلا أنه لم يلبث أن هز رأسه في قوة، قائلاً:

- لا.. ليس لذلك (العقرب) شأن هذه المرة..

ولم يدرك لحظتها أن لـ (العقرب) شأنًا كبيرًا الليلة..

إنها ليلته..

• • •

على عكس (نعمان)، بدا (دافيد) شديد المرح، وهو يغادر مبنى سفارته، ويدلف إلى سيارته الفارهة الأنيقة، التي يندر وجود مثلها في (مصر)..

إن مخطط دولته يسير على نحو ممتاز..

لقد انتقى (نعمان والي) بالذات، وراح يمده بالمخدرات طيلة أعوام، وصنع منه واحدًا من أقوى تجار المخدرات في الشرق، ليدمر بواسطته شباب (مصر)، ويدفعهم إلى الغرق في نهر من السموم..

وبعد أعوام قليلة، ستكون (مصر) قد انهارت داخليًّا، وتكون دولته هي الأقوى بلا منازع في الشرق الأوسط كله..

راح يطلق من بين شفتيه صفيرًا مرحًا منغومًا، وهو يقود سيارته مبتعدًا عن السفارة، ومال جانبًا بالسيارة، في شارع ضيق، عندما تجمدت عيناه بغتة، وتسمرت قدماه على عجلة القيادة في توتر عصبي..

لقد رأى في مرآة سيارته شبحا يتشح بالسواد، ويخفي وجهه بقناع أسود، وقد برز من المقعد الخلفي، وصوب إلى رأسه مسدسًا، وهو يقول في صرامة:

- لا تتوقف أيها الوغد.. انطلق..

أطاعه (دافيد) في استسلام، وهو يقول بالانجليزية:

- ماذا تقول يا سيد؟! لست أفهمك..

قال (العقرب) في صرامة:

- بل تفهم، فلديَّ تسجيل لك، يؤكد أنك تتحدث العربية كأهلها.

كان من الواضح أن ذلك المقنع يعلم عنه الكثير؛ لذا فقد تخلى (دافيد) عن التظاهر بجهل اللغة العربية، وقال بها مباشرة:

- ماذا تريد مني؟ ومن أنت؟

ألصق (العقرب) فوهة المسدس بمؤخرة عنق (دافيد)، وهو يقول في صرامة:

- ليس من حقك أن تلقي أية أسئلة.. انطلق إلى حيث سأرشدك فحسب.

سأله (دافيد) في توتر:

- هل تريد مالاً؟

أجابه (العقرب):

- بل أريدك أنت.

ارتجف (دافيد)، وهو يقول في هلع:

- هل ستقتلني؟!

أجابه (العقرب) في برود:

- لا أيها الوغد، سأحتفظ بك فحسب، فأنا أريد الساحة خالية الليلة، وأنا أواجه خصمي اللدود.. والآن انطلق، فأنت أحد خطوات الخطة..

وبدا شديد الصرامة، وهو يستطرد:

- خطة (العقرب)..

• • •

مع اقتراب الوقت، راحت عصبية (نعمان) تتضاعف، حتى إنه لم يحاول مغادرة قصره، بل فضل البقاء فيه حتى تصله مكالمة هاتفية، تخبره بنجاح الخطة، وعلى الرغم من أن المساء لم يكن قد حان بعد، إلا أنه لم يكد يسمع رنين هاتفه الخاص، حتى قفز يختطف سماعته، ووضعها على أذنه، هاتفًا:

- هنا (نعمان والي)، من المتحدث؟

أتاه صوت أثار الرجفة في أوصاله، وهو يقول:

- (العقرب).

شحب وجه (نعمان)، وهو يغمغم:

- (العقرب)؟!

أجابه صوت (نديم) الصارم:

- نعم يا عزيزي.. أنا (العقرب).. لقد اتصلت بك لأخبرك أنني أعلم كل ما سيتم الليلة.

هوى قلب (نعمان) بين ضلوعه، وهو يقول بصوت مرتجف:

- أنت مخادع.

أجاب (العقرب):

- أخطأت الاستنتاج هذه المرة يا رجل.. هل تذكر زميلتي، التي تشبثت بياقة سترتك، ليلة حفل السفارة؟.. لقد دست في ياقتك جهاز نقل صوتي بالغ الدقة، نقل إليَّ حديثك مع ذلك الوغد (دافيد)، وموعد إتمام صفقة عمرك.

تحولت كل مخاوف (نعمان) وعصبيته إلى صرخة هادرة:

- أنت كاذب.

ولكن صوت (العقرب) أتاه هادئًا واثقًا، وهو يقول:

- لا تتسرع. اصعد أولاً إلى حجرتك، وستجد الجهاز خلف ياقة السترة اللامعة.

انهار (نعمان) تمامًا، و(نديم) يستطرد:

- إنها نهايتك أيها الوغد.

لم يرفع (نعمان) السماعة عن أذنه لحظات، حتى بعد أن انتهت المحادثة، وراح الهاتف ينقل إليه ذلك الصوت الرتيب، الذي ينشأ من هاتف شاغر، ثم لم يلبث أن ألقى السماعة في ثورة، هاتفًا:

- مستحيل!

وانطلق يعدو إلى حجرته الخاصة، وانتزع السترة ذات الياقات اللامعة من الصيوان، وقلب ياقتها في عنف، ثم تجمدت أطرافه، واتسعت عيناه في ذهول..

لقد كان الناقل الصوتي يستقر مثبتًا خلفها، بواسطة لاصق بسيط..

وترنح (نعمان)، وكاد يهوي أرضًا..

لقد انتهى كل شيء..

فسدت صفقة العمر..

خسر حياته وثروته وسطوته..

خسر كل شيء..

ثم امتلأت عروقه بغتة بحزم مفاجئ..

لا.. لم يخسر كل شيء بعد.

قفز يلتقط سماعة الهاتف، وراح يطلب رقم (سيد) عشرات المرات، ثم طلب السفارة الأجنبية، فأخبروه أن (دافيد) لم يعد منذ الصباح..

وراحت عروق (نعمان) تنبض في عنف..

لابد من إلغاء الصفقة، قبل أن يضبطها رجال الشرطة..

لابد من محاولة إنقاذ ثروته..

ولكن كيف؟..

إنه لا يجد (سيد) ولا (دافيد)، وما من سواه يستطيع إيقاف الصفقة..

وهنا برقت عيناه في حزم وعزم، وهتف:

- سأوقفها أنا.

واختطف سترته، وانطلق إلى الخارج، مستطردًا:

- لن يحطمني ذلك (العقرب) أبدًا.

ولم يدرك لحظتها أنه يفعل بالضبط ما ينشده غريمه، وأنه ينفذ الخطة دون وعي..

خطة (العقرب)..

• • •

سيف العدالة

20- من يربح؟

هتفت (غادة) في إعجاب، وهي تجلس في سيارة (نديم)، على جانب الطريق، في ركن يطل على قصر (نعمان):

- يا إلهي!! لقد انطلق (نعمان) بسيارته بالفعل، وشكله وسرعته يوحيان بأنه ينطلق نحو (العجمي)، في محاولة لمنع إتمام الصفقة، كيف أمكنك أن تثق في أنه سيفعل ذلك؟

أجابها (نديم) في هدوء:

- لم يكن أمامه حل بديل.

ثم أضاف وهو يطلب رقمًا آخر، من هاتف سيارته:

- إنها أخطر صفقة عقدها في حياته، ولقد خاطر فيها بكل ثروته، ومن الطبيعي أنه لن يمنح العديدين سلطة اتخاذ القرار فيها، وهذا يعني أن إلغاء الصفقة، وهذا ما صار أمرًا حتميًا، بعد أن أدرك أن عدوه اللدود قد كشف سرها، لا يمكن أن يتم إلا بواسطة ثلاثة، هو، أو (سيد) ذراعه الأيمن، أو (دافيد)، ونحن نحتفظ بالثاني والثالث، فلن يوجد إذن سواه، ولن يكون أمامه سوى أن يخاطر بإقحام نفسه لأول مرة، في عملية من عملياته، أو يخسر كل ما بناه في عمره كله.. ماذا تفعلين لو كنت مكانه؟

قبل أن تجيب، كان قد بدأ محادثته الهاتفية، قائلاً:

- صباح الخير يا سيادة وزير الداخلية.. لا.. لست أحد رجالك.. لقد اتصلت بك في منزلك؛ لأبلغك بأمر صفقة مخدرات ضخمة، ستتم بعد ساعات، على بعد عشرين كيلومترًا شرقي (العجمي).. نعم يا سيادة الوزير.. أعلم تمامًا أنه كان ينبغي أن أتصل برجال مكافحة المخدرات، ولكن هذه الصفقة كانت تحتاج إليك شخصيًا؛ لأن صاحبها يحوز حصانة قانونية خاصة.. نعم.. إنه (نعمان والي)، عضو مجلس الشعب.. أتريد حقًا معرفة من أنا؟ لا بأس يا سيدي.. أنا (العقرب).

قالها وأنهى المحادثة في هدوء، ثم التفت إلى (غادة)، قائلاً:

- أتظنين أن هذا يكفي؟

هتفت ضاحكة:

- يكفي؟! أراهنك أن الوزير قد انطلق إلى مكتبه الآن، وأن إدارة الأمن كلها ستشتعل توترًا وحماسًا، حتى صباح الغد على الأقل..

رفع سبابته أمام وجهه، وهو يقول:

- ولكن هذا لا يعني أننا قد ربحنا المعركة.

والتقط قناعه من حقيبته، مستطردًا:

- بقيت خطوة واحدة.. الخطوة الحاسمة..

• • •

تطلع (مجدي) في غيظ إلى باب مكتب (نديم) المغلق، وهتف محنقًا، وهو يلهث:

- اللعنة! أبعد أن أصعد خمسة طوابق على قدمي، لتلف ذلك المصعد اللعين، أجد المكتب مغلقًا؟!

توقف لحظات يلهث في صمت أمام الباب المغلق، ثم غمغم كمن يتشبث بأمل أخير:

- ربما هما هنا.. من يدري؟

طرق الباب عدة طرقات، ودق الجرس مرتين، ثم زفر في يأس، متمتمًا:

- لا.. لا داعي لأن أخدع نفسي.. لا أحد هنا.

استدار لينصرف، لولا أن تناهى إلى مسامعه بغتة صوت مكتوم، يأتي من خلف باب المكتب المغلق، فعاد يلتفت إليه هاتفًا في انفعال:

- هناك شخص ما.. أراهن بحياتي على هذا.

طرق الباب مرة أخرى في عنف، فتصاعد الصياح المكتوم، دون أن يفتح أحدهم الباب، فهتف (مجدي)، وهو يتراجع مخرجًا مسدسه:

- الأمر يستحق الهجوم حقًا.

اندفع نحو الباب، وحطمه بضربة قوية من كتفه، وقفز إلى داخل المكتب شاهرًا مسدسه، وبدا له أن الصوت المكتوم يأتي من خلف باب حجرة (غادة)، فأسرع يفتحه، هاتفًا:

- من الذي...؟

تجمدت الكلمات في حلقه، واتسعت عيناه ذهولاً، وهو يحدق في خمسة رجال، اصطفوا على أرض الحجرة، التي أخليت أثاثها، وقد تم تقييد أيديهم خلف ظهورهم، وأقدامهم، وتكميم أفواههم..

وفي دهشة، حل (مجدي) كمامة (دافيد)، وهو يسأله:

- من أنتم؟ وماذا تفعلون هنا؟

هتف (دافيد) في سخط وتوتر:

- إنني أحد رعايا دولة أجنبية، ولقد اختطفني رجل مقنع، وأتى بي إلى هنا.. سأشكوكم لمجلس الأمن، والأمم المتحدة، و...

قاطعه (مجدي) هاتفًا:

- رجل مقنع؟! أهو (العقرب)؟!

لوح (دافيد) بكفه في حنق، وهو يهتف:

- إنه لم يخبرني اسمه بالطبع.

هتف (مجدي) في لهفة:

- ولكنه صاحب هذا المكتب.. أليس كذلك؟

قلب (دافيد) كفيه معلنًا عجزه عن إتيان الجواب، في حين راح (سيد) يتقافز في قيوده، ويطلق صرخات مكتومة، من خلف كمامته، فانحنى (مجدي) ينزع الكمامة في حركة حادة، ولم يكد يفعل حتى هتف (سيد):

- إنه هو .. إنه (العقرب).. هو نفسه (نديم فوزي).

اختلجت كل عضلة في جسد (مجدي)، وهو يهتف:

- كنت أعلم هذا.. كنت واثقًا منه.

وأطلق ضحكة عصبية عالية، قبل أن يستطرد:

- لقد ارتكب خطأً قانونيًا هذه المرة.. لقد احتجز خمسة رجال دون وجه حق، وبينهم واحد من رعايا دولة أجنبية.. لقد وقع هذه المرة.

ثم أمسك كتفي (سيد)، وهزه في قوة وهو يهتف:

- إنكم ستشهدون بما فعل.. ستفعلون هذا.. أليس كذلك؟

أجابه (سيد) في مزيج من اللهفة والحماس والشماتة:

- بالطبع.. إننا سنفعل هذا دون تردد.

تألقت عينا (مجدي) ببريق ظافر، وهو يقول في شماتة واضحة:

- رائع.. إنه المسمار الأول في نعشك.

ثم استطرد في مرح عصبي:

- أيها (العقرب).

• • •

انطلق (نعمان والي) بسيارته كالصاروخ، غير مبال بقوانين السرعة، وقد امتلأ عقله بفكرة واحدة..

بضرورة وصوله إلى (العجمي) بأقصى سرعة ممكنة، قبل أن يخسر كل شيء..

كان يعلم أنه يخاطر بالذهاب إلى حيث الصفقة، ولكنه كان، كما قال (نديم) تمامًا، لم يعد لديه ما يخسره..

وبينما تنطلق سيارته، راح عقله يرتب وسيلة للنجاة..

إن (العقرب) يعرف موعد الصفقة، ولكنه لا يعلم أن اليخت نفسه يستقر في موضعه في هدوء، مع تصريح خاص، حصل هو بنفسه عليه، من قائد حرس السواحل شخصيًا، دون أن يدري هذا الأخير أن قاع اليخت يحوي فجوة سرية، تم فيها تخزين كمية الهيروين كلها..

إنه – لو استطاع الوصول في موعد مناسب – فسيمنع إتمام الصفقة، وبالتالي لن يتهمه مخلوق واحد بمعرفة أمرها..

بل لن يمكنهم حتى إلقاء القبض عليه..

القانون يمنعهم من هذا، إلا في حالة التلبس الصحيح..

إنه يملك حصانة قانونية..

وسيستغل هذا إلى أقصى درجة..

ولم يكد يعبر مدخل (الإسكندرية)، حتى تضاعف توتره، وشعر لأول مرة بحنق شديد على ازدحام المرور والمواصلات، وبات شديد العصبية، يسب ويلعن كل من يعترض طريقه، حتى إنه لم يكد يبلغ طريق (العجمي)، حتى عاد ينطلق بكل سرعته، وقد بلغ توتر أعصابه أقصاه..

وعندما بلغ الموضع المنشود، على بعد عشرين كيلومترًا من (العجمي)، كان قد احترق تمامًا، ولم يكد يلمح قائد اليخت، وهو يقف إلى جوار زورق مطاطي، عند الشاطئ، حتى أوقف سيارته في حدة، وهتف بهم حنقًا:

– ماذا تفعل هنا أيها الأحمق؟ إن موعد إتمام الصفقة لم يحن بعد!

تطلع إليه قائد اليخت في دهشة، وقال في حيرة:

– ولكن هذه هي الأوامر يا سيدي.. لقد اتصل بي شخص ما، على الموجة الخاصة، وأبلغني كلمة السر، ثم أخبرني أن موعد التسليم قد تقدم ساعتين كاملتين، وطلب مني إحضار عينة من البضاعة إلى الشاطئ، ولما كنت أنت ومستر (دافيد) وحدكما تعرفان كلمة السر، فقد افترضت أن أحدكما صاحب الأمر، وأطعت بلا مناقشة.

شحب وجه (نعمان) في شدة، وقد أدرك الفخ الذي وقع فيه..

لقد أعد (العقرب) خطته في براعة منقطعة النظير..

لهذا لم يعثر على (دافيد) في سفارته..

لقد أوقع به (العقرب) حتمًا، وأجبره على البوح بكل ما لديه..

وها هو ذا (نعمان والي) يجد نفسه في موقف يبيح للشرطة إلقاء القبض عليه، على الرغم من حصانته..

في حالة تلبس..

لقد أتقن (العقرب) اللعبة بحق..

وفجأة، قفز (نعمان) داخل سيارته، وهو يهتف:

- عد إلى اليخت بسرعة.

ارتبك قائد اليخت، وهو يقول في توتر:

- لماذا؟ ماذا حدث؟

قبل أن يجيب (نعمان)، كان قائد اليخت قد أدرك الحقيقة..

أدركها عندما برز رجال الشرطة من كل جانب، وارتفع صوت وزير الداخلية نفسه، وهو يقول في صرامة:

- لقد انكشف أمركما.. استسلما أو...

ودون وعي، اعتصر (نعمان) دواسة وقود سيارته بقدمه..

وانطلق..

• • •

سيف العدالة

21- الجولة الأخيرة..

كانت مبادرة (نعمان) مباغتة حقًا لرجال الشرطة، الذين اعتادوا أن يستسلم المجرم عادة، عندما يفاجأ بكمين غير متوقع، إلا أن هذا لم يمنعهم من أن يطلقوا رصاصات أسلحتهم خلف سيارة (نعمان)، الذي انطلق في مسار متعرج، وتجاوز الحصار كالبرق، وانطلق مبتعدًا، مثيرًا خلفه عاصفة من الغبار..

وهتف أحد ضباط الكمين:

- لقد خدعنا ذلك الوغد.

عقد وزير الداخلية حاجبيه، وهو يقول في حزم:

- لن يفلت، ولن يذهب بعيدًا.. لقد تعرفته.. إنه (نعمان والي)، الثري المعروف، ولقد التقطت رقم سيارته، وسأبلغها لكل نقاط المرور في (مصر).

قال الضابط في تردد:

- ولكننا لم نلق القبض عليه متلبسًا، و...

قاطعه الوزير:

- أتظنني أشارك في هذه الحملة بنفسي عبثًا؟! إن القانون يحتم ضبط أصحاب الحصانة في حالة تلبس، ولكنها ليست الحالة الوحيدة التي يمكننا إلقاء القبض عليهم فيها.

ثم التفت إلى ضابط آخر، واستطرد في صرامة:

- اطلب من جندي الاتصال أن يصلني بالخط الساخن.

واعتدل مردفًا:

- بالسيد رئيس الجمهورية مباشرة.

• • •

لم ينطلق (نعمان) إلى (القاهرة) على الفور، بل عرج على فيلا أنيقة، على شاطئ (العجمي)، وأخفى سيارته داخل (جراج) خاص بها، ثم استقل سيارة أخرى، من طراز ولون مختلفين، وانطلق بها في توتر بالغ، وهو يقول لنفسه:

- إنك في موقف لا تحسد عليه حقًا يا (نعمان)، ولكن عزاءك الوحيد هو أنهم لم يضبطوك متلبسًا.. إنك بهذه النقطة فقط تستطيع أن تنجو.. سأعود إلى (القاهرة)، وسيشهد كل رجالي أنني لم أغادر القصر لحظة واحدة هذا المساء، وسيتصور الجميع أنه شخص آخر ينتحل شخصيتي، و...

وراح يعد خطته الدفاعية طيلة الطريق، إلا أنه لم يكد يبلغ قصره، بعد ساعتين كاملتين،

حتى قال له حارس البوابة في توتر:

- سيدي.. هناك لواء شرطة يدعى اللواء (حلمي)، ينتظرك في الداخل، مع بعض رجال الشرطة.

حدق (نعمان) في وجه الرجل ذاهلاً، وردد:

- لواء شرطة.

ثم عاودته طبيعته الذئبية، فسأل الرجل في سرعة:

- ماذا أخبرتهم عني؟

أجابه الحارس مرتبكًا:

- لم أخبرهم شيئًا يا سيدي.. فقط سمحت لهم بالدخول.

هتف (نعمان) في حنق:

- حسنًا.. سأرى ماذا يريدون؟

انطلق إلى الداخل، وعبر حديقة القصر الضخمة، وقلبه ينبض في توتر، وراح يعدل خطته، ويبحث عن تبرير لخروجه، حتى بلغ القصر، فاستقبله اللواء (حلمي) بابتسامة واسعة، وهو يقول:

- مرحبًا يا سيد (نعمان).. إننا ننتظرك منذ فترة طويلة.

قال (نعمان) في خشونة، ولدها توتره:

- وماذا تريدون؟

هز (حلمي) كتفيه، وقال في لهجة لم تخف شماتته وسخريته:

- ماذا تريد أنت يا سيد (نعمان)؟ محاميًا؟

صاح (نعمان) في غضب:

- كيف تتحدث إليّ بهذه اللهجة أيها اللواء؟ إنني عضو مجلس شعب، وأحمل حصانة قانونية و...

قاطعه (حلمي) في حزم:

- إننا هنا بناء على أمر من السيد رئيس الجمهورية، وبموافقة السيد رئيس مجلس الشعب، وبتصريح خاص من النائب العام.

بهت (نعمان)، واتسعت عيناه في ذهول، وهو يتمتم:

- كل هؤلاء؟!

ثم لم يلبث أن استعاد رباطة جأشه في سرعة، وأضاف:

- فليكن.. إنكم لن تجدوا شيئًا هنا.

اتسعت ابتسامة اللواء (حلمي)، وهو يقول:

- بالطبع.. إننا لن نجد شيئًا.

بدأ الارتياح يرتسم على وجه (نعمان)، لولا أن استدرك اللواء (حلمي) في حزم مباغت:

لأننا قد وجدنا ما نحتاج إليه بالفعل.. كيلوجرامين من الهيروين النقي، أسفل فراشك الخاص يا (نعمان).

كان هذا أكثر مما يمكن أن يحتمل (نعمان)..

لقد أجاد (العقرب) اللعبة حقًا..

أجادها أكثر مما تصور هو بكثير..

الآن فقط فهم (نعمان) لماذا سرق (العقرب) الهيروين من فيلا المقطم!

الآن فقط أدرك أنه يواجه ثعلبًا وثعبانًا، وليس عقربًا فحسب..

وفي هذه المرة لم يحاول (نعمان) أن يقاتل..

لقد انهار..

انهار تماما..

وربح (العقرب) الجولة الأخيرة..

• • •

سيف العدالة

22- سيف العدالة..

عبر وزير الداخلية بوابة مديرية الأمن بخطواته الواسعة كالمعتاد، وراح الجميع يهرعون إليه، وهم الذين لم يعتادوا زيارته، في مثل هذا الوقت المتأخر، وهتف به مدير الأمن:

- سيادة الوزير؟! يا لها من زيارة مفاجئة، و...!!

قاطعه الوزير:

- استعد الليلة لاستقبال مجرم بالغ الخطورة، أريد منكم أن تبدءوا تحرياتكم معه على الفور، فالسيد رئيس الجمهورية يريد نتائج واضحة صباح الغد.

شعر مدير الأمن بالرهبة، عندما ورد اسم رئيس الجمهورية، وتمتم:

- أهو مجرم خطير إلى هذا الحد يا سيادة الوزير؟

أجابه الوزير في اقتضاب:

- إنه (نعمان والي).

شهق مدير الأمن في دهشة، ثم لم يلبث أن قال في حزم:

- سأتخذ كل الإجراءات اللازمة يا سيدي.

ارتفع في هذه اللحظة صوت (مجدي)، وهو يهتف:

- سيادة الوزير؟ يا لها من مصادفة سعيدة! لقد أتيت بالدليل.

التفت إليه الوزير، يسأله في دهشة:

- أي دليل؟

أجابه (مجدي) في سعادة:

- الدليل على أن (نديم فوزي) هو (العقرب).. لقد احتجز خمسة رجال في مكتبه، و...

قاطعه الوزير في حسم:

- من هؤلاء الرجال؟

أجابه (مجدي) في سرعة:

- لقد احتجز (سيد)، الذراع الأيمن لـ (نعمان والي)، وحارسه (إدوارد)، ومواطنًا من رعايا دولة أجنبية يدعى (دافيد)، و...

هتف الوزير:

- وهل ستعتمد على شهادة هؤلاء الأوغاد؟

غمغم (مجدي) في دهشة:

- أوغاد؟!

أجابه الوزير في حدة:

- نعم.. أوغاد ولصوص.. لقد ألقينا القبض منذ قليل على (نعمان والي) نفسه، ولقد اعترف باشتراك كل هؤلاء معه في الاتجار بالمخدرات، ومن حسن الحظ أنهم هنا، فلقد أصدرت قرارًا بإلقاء القبض عليهم، وأصدر رئيس الجمهورية قرارًا بطرد (دافيد) هذا من البلاد؛ نظرًا لأنه يملك حصانة دبلوماسية خاصة..

بقي (مجدي) فاغرًا فاه لحظات، ثم قال في توتر:

- ولكن (نديم) هو (العقرب) يا سيدي، حتى مع هذه الظروف، و...

قاطعه الوزير مرة أخرى:

- دعك من أمر (العقرب) هذا الآن.. إننا أمام قضية ضخمة، ثم إن قاضيًا واحدًا لن يصدق كلمة واحدة منهم، عندما يعلم أنهم مجرد تجار مخدرات أوغاد.. هل تفهم؟

أطرق (مجدي) برأسه، وهو يقول في مرارة:

- نعم يا سيدي.. أفهم.

وظل صامتًا، حتى ابتعد الوزير، ثم استطرد في حقد:

- ولكن معركتي معك لم تنته بعد يا (نديم)، ولن تنتهي حتى أثبت للجميع أنك العقرب..

لم تنته المعركة بعد..

• • •

ابتسم اللواء (حلمي) ابتسامة واسعة، وهو يدلف إلى مكتب (نديم)، في الصباح التالي، ونهض (نديم) يستقبله في حرارة، قائلاً:

- صباح الخير يا سيدي.. مرحباً بك في مكتبي.

صافحه (حلمي) في قوة، وهو يملأ عينيه بوجهه لحظات، قبل أن يقول:

- هل قرأت صحف الصباح؟

أطلقت (غادة) ضحكة مرحة، وهي تقول:

- بالطبع.. لقد قرأنا كل كلمة فيها، لو أنك تقصد ما يتعلق بـ (نعمان والي).

وقال (نديم) في هدوء كعادته:

- لقد وقع ذلك الوغد أخيرًا.

جلس (حلمي)، وهو يبتسم قائلاً:

- لقد ذكرت الصحف كل التفاصيل، ولكنها لم تشر إلى البطل الحقيقي، بعد أن أخفى الجميع دوره.

ابتسمت (غادة) في فرح، في حين سأله (نديم) في هدوء:

- ومن هو هذا البطل الحقيقي؟

تأمله (حلمي) لحظات أخرى، ثم قال في إعجاب واضح:

- (العقرب).

ثم أضاف في سرعة:

- هو وحده قام بالعمل كله، وهو الذي حطم صرح (نعمان والي)، الذي تصور الجميع أنه لن يسقط إلا بمعجزة.

والتفت إلى (غادة)، واستطرد في حنان:

- ليس وحده تمامًا بالطبع.

ضحكت (غادة) في حياء، وقالت:

- الواقع أن (العقرب) هذا عبقري.

ضحك (حلمي) بدوره، وهو يقول:

- بالتأكيد، ولكنه وقع في خطأ واحد.

عقد (نديم) حاجبيه، وهو يسأله في اهتمام:

- أي خطأ هذا؟

أخرج (حلمي) من جيبه بطاقة بيضاء أنيقة، تحمل في منتصفها رسمًا لعقرب ذهبي، وقال وهو يبتسم:

- لقد وضع بطاقته فوق الهيروين، الذي عثرنا عليه في منزل (نعمان)، والذي يعد أقوى دليل اتهام ضد هذا الأخير، ولقد كان من الممكن أن يستغل (نعمان) هذا؛ ليدعي أن (العقرب) هو الذي دس له الهيروين.. أليس كذلك؟

بدا الضيق على وجه (نديم)، وهو يقول:

- بلى.. أنت على حق يا سيدي.

لوح (حلمي) بكفه، وقال وهو يبتسم:

- من حسن الحظ أنني قد أخفيت البطاقة، قبل أن ينتبه إليها أحد، وإلا فسدت العملية كلها.

ثم نهض، وهو يضع البطاقة أمام (نديم)، قائلاً:

- أخبره ألا يقع في هذا الخطأ مرة أخرى.

ابتسم (نديم)، وهو يقول:

- سأفعل.

هتفت (غادة):

- يا إلهي! إنك تبتسم يا (نديم).. هذه هي المعجزة الحقة.

التفت إليها، واتسعت ابتسامته، وهو يقول:

- من ذا الذي لا يبتسم أمام حسنك وفتنتك؟

حدقت في وجهه مبهوتة، ثم ارتفع حاجباها في حنان، وهي تهمس في حب:

- أحقًا؟!

نقل اللواء (حلمي) بصره بينهما في حنان، وقال:

- يبدو أنه من الأفضل أن أنصرف أنا.

أسرع يضع اقتراحه موضع التنفيذ، و(غادة) تقول لـ (نديم) في حب واضح:

- أتعلم أنك أكثر وسامة عندما تبتسم؟

أجابها وقد استعاد رصانته وهدوءه:

- ربما، ولكنني أشعر الآن فقط أن لحظة ميلادي الحقيقية قد أتت، وأن (العقرب) قد أعلن عن وجوده كمحارب للجريمة.

وشرد ببصره، مستطردًا في نشوة:

- ولن يتوقف عن محاربتها أبدًا..

• • •

جلس (نعمان) في زنزانة الحبس الاحتياطي منهارًا، بعد أن ضاع كل ما فعله طيلة عمره، وانهمرت الدموع من عينيه أمام رجاله، الذين مادت بهم الأرض بدورهم، عندما خسروا كل شيء..

وفجأة تراجع (نعمان)، هاتفًا في رعب:

- (العقرب).. (العقرب).

رفع (سيد) عينيه إليه في دهشة، مغمغمًا:

- أين هو؟ إننا في زنزانة مغلقة أيها الزعيم.

صرخ (نعمان)، وهو يلوح بيده في ذعر:

إنه هناك، عند النافذة.. انظروا.. إنه يبتسم لي ساخرًا.. إنه يسخر مني، بعد أن هزمني.. انظروا.

تطلع الرجال في حيرة إلى النافذة الخالية، ثم غمغم (سيد) في حنق:

- لقد فقد الرجل عقله.

غمغم (إدوارد) في مرارة:

- لعل هذا هو أفضل ما يحدث له، فلن يشعر بما ينتظرنا من مصير مظلم على الأقل..

وراح (نعمان) يصرخ:

- (العقرب)!! (العقرب)!! أبعدوه.. أنقذوني منه!!

صاح به (سيد):

- اصمت يا رجل، وإلا قطعت لسانك.. هل تفهم؟

ولم يصمت (نعمان)..

فلم يعد لديه ما يخسره..

لقد خسر كل شيء..

خسر كل ما بناه في حياته كلها..

وكان يعلم أن من حطمه لن يتوقف أبدًا..

وأن هذا الزمن لم يعد زمنه..

لقد صار زمن ارتفاع سيف العدالة فوق الجريمة..

زمن (العقرب)..

• • •

تمت بحمد الله

الروايـة الثانية

ملك الجريمة

ملك الجريمة

1- قضية جديدة..

ارتفعت حرارة الجو كثيرًا، في ذلك الصيف، الذي لم تشهد مصر مثيلاً له منذ سنوات طويلة، واكتست وجوه المارة، في شوارع وسط القاهرة، بقناع من التوتر والعرق، وبدا الجميع في حالة يرثى لها من شدة القيظ، حتى إن أحدًا لم ينتبه إلى تلك السيدة، التي تجاوزت الخمسين من عمرها بعام أو عامين، والتي توقفت مترددة، عند إشارة عبور مشاة، في تقاطع شديد الازدحام، تلتقي فيه ثلاثة شوارع رئيسية كبيرة، في ميدان صغير، يتوسطه تمثال لواحد من زعماء مصر الوطنيين، الذين كان لهم كل الفضل في إذكاء جذوة الوطنية المتقدة، في النصف الأول من القرن العشرين...

وبدت السيدة النحيلة شديدة الارتباك والتردد؛ مما يؤكد أنها المرة الأولى تقريبًا، التي تهبط فيها من الأقاليم إلى القاهرة، أو تواجه زحام وسط العاصمة، خاصة وقد كانت تحمل بيدها ورقة صغيرة، دونت عليها اسم وعنوان محامٍ شاب، لم ينل الكثير من الشهرة بعد...

وكان اسم هذا المحامي هو (نديم)...

(نديم فوزي)، الذي نعرفه نحن بلقب آخر...

لقب (العقرب)..

وعندما بلغت السيدة تلك البناية القديمة، التي يحتل مكتب (نديم فوزي) للمحاماة إحدى شققها الواسعة، كانت تتصبب عرقًا، من حرارة الجو والانفعال معًا، حتى لقد بدت على شفا الانهيار، عندما بلغت مكتب (نديم)؛ مما دعا (غادة) زميلة (نديم) وشريكه، إلى الإسراع إليها، قائلة في إشفاق:

- رويدك يا أماه.. يمكنك الاستناد إلى ذراعي، فمظهرك يوحي بأنك ستسقطين فاقدة الوعي.

تمتمت السيدة في إعياء:

- لم يخطئ ظنك كثيرًا يا بنيتي.

عاونتها (غادة) على اتخاذ مقعد يجاور حجرة (نديم)، وهي تقول في تعاطف:

- اجلسي يا سيدتي، والتقطي أنفاسك أولاً.

اتخذت السيدة مجلسها، وسط المقعد الوثير، وراحت عيناها تجوبان مقاعد المكتب الخالية في قلق واضح، على الرغم من لهاثها المسموع، فابتسمت (غادة)، وهي تقول:

- المكتب لا يزدحم بالزبائن عادة.

رمقتها السيدة بنظرة أكثر قلقًا، فأضافت (غادة):

- لأن السيد (نديم) يربح قضاياه في سرعة.

أطلقت السيدة زفرة حارة، وهي تهمهم:

- آه.

نطقتها في لهجة تحمل الكثير من الارتياح والأمل، ثم مالت نحو (غادة)، تسألها في لهفة:

- وهل السيد (نديم) هنا؟

أجابتها (غادة) وهي تبتسم في تعاطف:

- إنه هنا... اطمئني.. التقطي أنفاسك أولاً، ثم...

قاطعتها السيدة، وهي تغادر مقعدها في انفعال:

- دعك من أنفاسي.. أريد مقابلته على الفور.

رفعت (غادة) حاجبيها في دهشة، إلا أنها لم تعترض، بل نهضت من مقعدها بدورها، وطرقت على باب مكتب (نديم)، ثم دفعت بابه، وقالت:

- سيدة تطلب مقابلتك.

ولم تدر السيدة لماذا خامرها شعور بالارتياح والاطمئنان، عندما سمعت صوت (نديم) الهادئ الرصين من الداخل، وهو يقول:

- فلتتفضل..

تقدمت السيدة داخل حجرة مكتب (نديم) الفاخرة في حذر، وهي تقدم قدمًا وتؤخر أخرى، وقد بهرتها فخامة المكتب والأثاث، وألقت في قلبها شيئًا من التوتر والحذر، أزالتهما ابتسامة هادئة من (نديم)، وهو يصافحها قائلاً بلهجته الرصينة الدافئة:

- مرحبًا بك في مكتبي يا سيدتي.. أنا (نديم فوزي)، في خدمتك.

أدارت السيدة عينيها حولها مرة أخرى، وركزت بصرها لحظات على ابتسامة (غادة)، ثم ملأت عينيها بوجه (نديم) الجاد الوسيم، قبل أن تقول في تردد:

- اسمي (نوال)، وأنا أقيم وحدي في (المنصورة).

صمتت لحظة تنتظر تعليقًا أو تعقيبًا، فلما لم تجد، تابعت:

- لقد توفي زوجي منذ عشرة أعوام، وترك لي ولدًا واحدًا، كافحت لأجعل منه مهندسًا ناجحًا، كرغبته، وكأمل والده (رحمه الله).

ازدردت لعابها على نحو ملحوظ، عند هذه النقطة، ثم أضافت في توتر:

- ولقد تخرج من كلية الهندسة منذ ثلاثة أعوام، ولا يمكنكما تصور مدى فرحتي في ذلك اليوم، ولكن.. لكن..

تفجرت الدموع من عينيها دفعة واحدة، وراحت تبكي في حرارة ومرارة، جعلتا (غادة) تتطلع إليها في مزيد من العطف والإشفاق، في حين دفعتا (نديم) إلى أن يربت على كفها بيده في حنان، وهو يقول:

- رويدك يا سيدتي.. ماذا أصاب ابنك؟

هتفت السيدة من وسط دموعها:

- إنه بريء.. أقسم لك أنه بريء..ذلك الحقير هو المسئول، هو الذي دفع بابني إلى ذلك.

قال (نديم) في اهتمام:

- اهدئي يا سيدتي، واشرحي لي الأمر كله.

جففت السيدة (نوال) دموعها، وإن بدا صوتها أشبه بالنحيب، وهي تروي:

- فور تخرج (أحمد) ابني، التحق بالعمل في واحدة من شركات المقاولات الكبرى، التابعة لذلك المجرم، وراح يمنح عمله كل اهتمامه، حتى إنه قد انتقل للعيش هنا في القاهرة، ولم أعد أراه إلا لمامًا، ومنذ أسبوعين تقريبا، فوجئت به يعود إلى (المنصورة)، شاحب الوجه، زري الهيئة، وأخبرني بكل الذعر والفزع أن الشرطة تبحث عنه، وتتهمه بارتكاب جريمة لم يرتكبها، وأقسم لي بروح أبيه الراحل أنه بريء من تلك التهمة، وأن مرتكبها الحقيقي هو ذلك المجرم، صاحب الشركات.

سألها (نديم) في هدوء، لا يخلو من الاهتمام:

- وما نوع التهمة يا سيدتي؟

ارتجف صوت السيدة وهي تقول:

- جريمة قتل.

رفعت (غادة) حاجبيّها، على نحو يوحي بأنها لم تتوقع هذا الأمر، في حين بدا (نديم) - كعادته - شديد الجدية والاهتمام، وهو يسألها:

- ومن هذا المجرم صاحب الشركات العقارية؟

تطلعت إلى عينيه طويلاً في تردد، ثم أجابت بصوت خافت، وكأنما تخشى مجرد ذكر الاسم:

- (صالح عثمان).

ارتفع حاجبا (غادة) على نحو أعنف هذه المرة، وانطلق من بين شفتيها هتاف:

- (صالح عثمان) بنفسه؟

اندفعت السيدة (نوال) تقول في توتر:

- نعم.. هو بنفسه.. هو قتل مدير مكتبه، واتهم ابني بقتله، على الرغم من أن ابني ليس بقاتل وليس..

قاطعها (نديم) في اهتمام:

- وما دليلك على هذا يا سيدتي؟

بدت الحيرة في وجهها، وهي تقول:

- الدليل؟! أي دليل؟

مال نحوها يسألها:

- ما دليلك على أن ابنك لم يرتكب الجريمة؟

قالت في عصبية:

- قل لي أولاً: هل تخشى (صالح عثمان) كما يخشاه الجميع؟

أجابها في هدوء:

- الدليل يا سيدتي.. لا يمكننا إدانة رجل مثل (صالح عثمان)، دون دليل مادي قوي.

هتفت في حدة:

- كنت أتوقع هذا، فالجميع يخشون (صالح عثمان) هذا.. رجال الشرطة، والقضاء، الجميع يخشون سطوته.

عقد (نديم) ساعديه أمام صدره، وقال:

- الأمر لا يتعلق بـ (صالح عثمان) أو سواه يا سيدتي.. إنها عملية قانون وإجراءات و...

أجهشت السيدة بالبكاء بغتة، ودفنت وجهها في راحتيها، وهي تقول في مرارة:

- لا فائدة إذن.. لقد كنت أملي الأخير، بعد أن أحكم هؤلاء الأوغاد الطوق حول رقبة ابني.. كنت أملي الأخير والوحيد.

تطلعت (غادة) إلى (نديم) في حيرة، في حين عقد هذا الأخير حاجبيه، وهو يسأل السيدة في اهتمام:

- أملك الأخير والوحيد؟! من دفعك إلى هذا الاعتقاد يا سيدتي؟

رفعت عينيها المبللتين بالدموع إليه، وقالت في لهجة باكية:

- ضابط كبير من ضباط الشرطة، برتبة لواء، كان يتابع التحقيق من بدايته، ومن

المؤكد أنه قد أيقن من براءة ابني، على الرغم من أن كل الأدلة تدينه، فلقد انتحى بي جانبًا، ومنحني ورقة تحمل اسمك وعنوانك، وأخبرني أنك الوحيد الذي يمكنه إثبات براءة ابني، وإدانة (صالح عثمان)...

بدا الاهتمام على وجه (نديم) في شدة، وهو يسألها:

- ومن هذا اللواء؟

أجابته في خفوت، وهي تواصل تجفيف دموعها:

- اسمه (حلمي).. اللواء (حلمي)، من المباحث الجنائية.

التقت نظرات (نديم) و(غادة)، وبدا لحظة أن ومضة من البرق قد سرت بين نظرتيهما، قبل أن تبتسم (غادة) ابتسامة غامضة، ويتراجع (نديم) في مقعده، قائلاً في هدوء:

- حسنًا.. اطمئني يا سيدتي.. سأتولى هذه القضية.

وفي تلك اللحظة بالذات، استعاد خيال (غادة) صورة لـ (نديم) في زي وقناع من اللون الأسود الحالك، وأدركت أن ساعة العودة قد حانت..

عودة (العقرب)..

• • •

ملك الجريمة

2- العـــودة..

جلس (نديم) في مكتبه شاردًا، يسترجع ذكرياته عن ماضيه في الشرطة..

كان فيما مضى ضابطًا بالشرطة، يبذل قصارى جهده لإحقاق الحق والعدل، دون أن يلتزم بالقانون المكتوب..

ولكن هذا كان – في حد ذاته – مخالفة للقانون..

وهكذا فقد (نديم) وظيفته، وتم فصله من الشرطة، بسبب احتكاكه بواحد من أعضاء مجلس الشعب، يتاجر سرًا في المخدرات..

ورفض جهاز الشرطة منحه ترخيصًا بافتتاح مكتب خاص للتحري، فما كان منه إلا أن افتتح مكتبًا للمحاماة، لم يلبث أن تحول إلى واجهة تخفي شخصيته السرية، التي اتخذها لمكافحة الجريمة، التي تعجز عنها يد القانون..

وولدت شخصية (العقرب)..

ولأول مرة في تاريخ محاربة الجريمة في مصر، ظهر العقرب بقناعه الأسود، وزيه القاتم، وبطاقته البيضاء، التي يتوسطها عقرب ذهبي..

وانقسم موقف الشرطة تجاهه..

كان اللواء (حلمي) واثقًا من أن (نديم فوزي) هو (العقرب)، وكان يتعاطف مع موقفه على نحو غير رسمي، محاولاً التظاهر بجهله لحقيقة الأمر، في حين كان العقيد (مجدي) على النقيض، يبغض (نديم) أشد البغض، ويسعى للإيقاع به، وإثبات أنه ذلك المقنع، وإن افتقر بدوره إلى الدليل..

وبانتقامه من (نعمان والي)، تاجر المخدرات وعضو مجلس الشعب، هدأت ثورة (نديم)، وخلع زي (العقرب)، وراح يبذل أقصى جهده للنجاح في عمله كمحام..

حتى برزت قضية (صالح عثمان)..

أفاق من شروده وذكرياته على صوت (غادة)، وهي تدلف إلى حجرته، هاتفة:

- كانت مهمة شاقة بحق.

رفع عينيه إليها، واعتدل يسألها في اهتمام:

- هل حصلت على المعلومات المطلوبة؟

أجابته وهي تلقي جسدها فوق المقعد المواجه لمكتبه:

- كلها.

والتقطت نفسًا عميقًا، ثم اعتدلت تستطرد:

- لقد تمت الجريمة على نحو تقليدي، لم يعد يصلح حتى للأفلام السينمائية الهابطة، فلقد تشاجر (أحمد) مع (سالم زين)، مدير مكتب (صالح عثمان)، بسبب جزاء أوقعه (صالح) على (أحمد)، حاول الأخير أن يلتقي بالأول، ليسأله عن سببه، فمنعه (سالم) من الدخول، مما أدى إلى حدوث المشاجرة، وفي المساء التالي، قتل (سالم) في مكتبه، بفتاحة الخطابات الخاصة بـ (أحمد)، وأدلى أربعة من أقرب الرجال إلى (صالح) بشهادة حاسمة، تدين (أحمد) على نحو لا يتطرق إليه الشك، ولم يكن لدى (أحمد) دليل براءة واحد؛ لذا فقد أمر وكيل النيابة بحبسه حبسًا مطلقًا، لحين تقديمه إلى المحاكمة.

سألها في اهتمام:

- وماذا عن (صالح عثمان)؟

مطت شفتيها، وهزت سبابتها أمام وجهها، قائلة:

- رجل خطير بحق.. إنه واحد من أكبر رجال المقاولات في مصر، وفي الوطن العربي كله، وله اتصالات رهيبة، تجعله من أقوى الرجال في هذا المجتمع، وثروته غير محدودة، على الرغم من أن ضرائبه لا تزيد عادة على رقم ذي ثلاثة أصفار، وهو صديق شخصي لرئيس الوزراء ووزير الداخلية، و...

قاطعها في شيء من الضجر:

- أريد المعلومات غير الصالحة للنشر.

ابتسمت وهي تقول:

- لقد زرت صديقنا اللواء (حلمي) في مكتبه، وقضيت معه بعض الوقت، وهو مؤمن تمامًا ببراءة (أحمد)، لسبب بسيط، ألا وهو أنه يعلم لماذا قتل (صالح عثمان) مدير مكتبه.

مال (نديم) إلى الأمام، وهو يسألها في اهتمام بالغ:

- لماذا؟

أجابته في حماس:

- لأن اللواء (حلمي) بنفسه عثر على ما يدين (سالم)، وهدده بتقديم كل ما لديه إلى النائب العام ما لم يعمل (سالم) لحساب الشرطة، للإيقاع بـ (صالح عثمان) نفسه؛ لأن (صالح عثمان) هو ملك الجريمة في مصر، على حد قوله.

ثم استدركت في سرعة:

- وكانت هذه مبادرة فردية من اللواء (حلمي) بالطبع؛ لأن سيادة وزير الداخلية لم يكن ليوافق على الإيقاع بأصدق أصدقائه، على هذا النحو، لذا فلن يمكن تبرئة (أحمد) اعتمادًا على هذا.

تراجع (نديم) في مقعده، وشرد ببصره، مغمغمًا في صرامة:

- دائمًا هناك مجرم تعجز عنه يد القانون.

غمزت (غادة) بعينها قائلة:

- ودائمًا هناك من يتصدى له.

تطلع إليها لحظات في صمت، قبل أن يقول بلا أدنى انفعال:

- كنت أتصور أن (العقرب) شخصية محدودة، ظهرت للانتقام من (نعمان والي) فحسب، وبعدها ينبغي أن تتوارى خلف الستار؛ لتفسح الطريق لـ (نديم فوزي).

ابتسمت في هدوء، ونهضت من مقعدها، واتجهت إلى ركن من أرجاء مكتبه الفاخر، وضغطت زرًا خفيًا في الجدار، فانزاحت مكتبة صغيرة في بطء، وظهرت خلفها فجوة صغيرة، تتسع لقميص وسروال وقفاز وقناع من اللون الأسود، وعلبة أنيقة تحمل بطاقات بيضاء، يتوسط كل منها رسم لعقرب ذهبي، وقالت:

- لماذا احتفظ (نديم فوزي) بكل هذه الأشياء إذن؟

قال في هدوء:

- على سبيل الذكرى.

هزت رأسها نفيًا، وقالت:

- أو لأنه كان يخشى أن يظهر (نعمان والي) آخر.

وبدت لهجتها صارمة حاسمة، وهي تضيف:

- ولقد ظهر بالفعل.

تمتم هو، وهو ينهض من خلف مكتبه، ولقد تعلقت عيناه بزيه السري:

- وهو يحمل هذه المرة اسم (صالح عثمان).

شعرت بالارتياح، عندما رأته يتحسس زي (العقرب) في حنان، وقال في خفوت:

- هل سيمكننا تبرئة (أحمد)؟

أجابها في هدوء، يحمل كل حسمه:

- لست أدري، ولكن القضية لم تعد مجرد قضية تبرئة متهم، فحتى لو سلبنا الثعبان فريسته، فلن يمنعه هذا من بث سمومه في كل مكان.. الوسيلة المثلى لمنع السم، هي تحطيم رأس الثعبان نفسه.

قالت في حماس:

- ورأس الثعبان هذه المرة رجل يتزعم كل نظم الجريمة، من تهريب عملات ومخدرات، إلى قتل وسلب، إلى....

قاطعها في حزم:

- فليكن حتى إمبراطورًا لعالم الجريمة في الكون كله.

والتقط القناع الأسود مضيفًا:

- إنه سيواجه (العقرب) هذه المرة.

وخفق قلب (غادة) في قوة..

لقد أدركت أن (العقرب) قد عاد..

وأن هذا الصيف سيزداد سخونة..

أو سيشتعل..

• • •

ملك الجريمة

3- الملك..

جلس (صالح عثمان) بقامته الضخمة، ورأسه نصف الأصلع، وذلك السيجار الكوبي الكبير، الذي قلما يفارق شفتيه، في حجرة مكتبه البالغة الفخامة، التي تحتل الجانب الشمالي كله، من قمة بناية شاهقة، تحمل اسمه واسم شركته بحروف هائلة مضيئة، تسمح لنصف سكان القاهرة بمشاهدتها ليلاً ونهارًا، وراح يراجع بضع أوراق أمامه، قبل أن يسأل مدير مكتبه الجديد في لهجة تشف عن الاستهتار واللامبالاة:

- هل من جديد بشأن ذلك المهندس التافه يا (عزت)؟

انحنى (عزت) أمامه، وهو يقول مبتسمًا في خبث:

- إنه سيقدم للمحاكمة صباح الغد يا سيدي.

مط (صالح) شفتيه في ازدراء، وهو يقول:

- لقد تأخروا كثيرًا، كان ينبغي أن يعدموه على الفور.

قال (عزت)، بنفس الابتسامة الخبيثة:

- بالتأكيد كان ينبغي أن يفعلوا يا سيدي.. لقد سلمناهم قضية مكتملة.

عقد (صالح) حاجبيه، وهو يقول في صرامة:

- تقصد أن القضية كانت سليمة.

هتف (عزت):

- هذا ما أقصده بالتأكيد يا سيدي.

أومأ (صالح) برأسه علامة على ارتياحه للأمر، قبل أن يضيف (عزت):

- ولكن (طومان) يطالب بمكافأة إضافية.

عاد (صالح) يعقد حاجبيه، وهو يقول في حدة:

- لماذا؟ ألم يحصل على عشرة آلاف جنيه؟

قال (عزت) في دهاء واضح:

- إنه يقول إن المبلغ غير كاف؛ لأنه بذل جهدًا كبيرًا لسرقة فتاحة الخطابات، واستدراج (سالم) إلى حيث أمرته، وطعنه في قلبه، و...

قاطعه (صالح) في حنق، وهو يلوح بكفه:

- لا بأس... لا بأس.. امنحه عشرة آلاف أخرى.

ثم استدرك في حدة:

- على ألا يعود للمطالبة بقرش واحد.

انحنى (عزت) انحناءة كبيرة، ثم عاد يعتدل قائلاً:

- هناك أمر آخر يا سيدي.

سأله في ضجر ونفاد صبر:

- ما هو؟

مال (عزت) نحوه، كعادته كلما هم بالإدلاء بأمر بالغ الخطورة، وقال:

- هناك فتاة تجمع التحريات عنك منذ يومين كاملين.

رفع (صالح) عينيه إليه في دهشة، وهو يقول:

- فتاة؟! أية فتاة؟

اعتدل (عزت) وأجاب:

- إنها محامية شابة، تدعى (غادة).

مط (صالح) شفتيه، ولوح بكفه قائلاً:

- لا ريب أنها من كلفها المهندس بالدفاع عنه.

عاد (عزت) يميل نحوه مرة أخرى، هامسًا:

- ولكنها لا تجمع التحريات عن (صالح عثمان)، رجل المقاولات الشهير، بل عن زعيم العالم السفلي.

رفع (صالح) عينيه إليه في حدة هذه المرة، وهو يقول:

- العالم ماذا؟

كرر (عزت):

- العالم السفلي..

ثم أضاف في حزم:

- أعني أنها تتحرى عن زعيم أكبر شبكات التهريب حاليًا، وملك تجارة العملة وامبراطور المخدرات، و...

رفع صالح كفه في عنف، هاتفا:

- كفى.

وأشعل سيجاره - المشتعل فعلاً - وهو يقول في عصبية:

- وكيف نبتت هذه الفكرة في رأسها؟ إن وزير الداخلية نفسه لا يشك في أمري بمقدار خردلة.

قال (عزت):

- يبدو أن لديها خيطًا ما.

ران الصمت على الحجرة شديدة الفخامة، بعد أن ألقى (عزت) عبارته الأخيرة، وراح (صالح) ينفخ دخان سيجاره في عمق وقوة، ثم لم يلبث أن أطفأ السيجار في منفضة السجائر في عنف، وهو يقول:

- فليكن.. هي جنت على نفسها.

ثم استطرد في صرامة:

- اتصل بـ (طومان)، وابلغه اسم وعنوان تلك المتحذلقة، وأخبره أنني أريد أن أقرأ خبر مصرعها في صحيفة الغد.

وأشعل سيجارًا آخر، وهو يضيف في حدة:

- إنني أكره من يدسون أنوفهم في شئوني.. أكرههم للغاية.

وراح ينفث دخان سيجاره في ثقة..

• • •

لم تكد عقارب الساعة تشير إلى الثامنة وعشر دقائق مساء، حتى كان المبنى الرئيسي لإدارة شركات (صالح عثمان) قد خلا تمامًا من كل العاملين به، إلا من رجال أمن المبنى، الذين راحوا يراجعون قوائم الانصراف، ويفحصون الحجرات؛ للتأكد من خلوها، قبل أن يتم تشغيل جهاز الإنذار الالكتروني، الذي يحيط بالمكان كله..

وفي الثامنة واثنتي عشرة دقيقة، عبر بوابة المبنى، التي لم يتم إغلاقها بعد، رجل نحيل، عريض المنكبين، له شعر أكرت كث، وشاربٌ ضخم، يكاد يخفي النصف السفلي من وجهه تماما، ويرتدي ذلك الزي الأزرق، ذا العلامة الحمراء المستديرة في موضع القلب، الذي يميز رجال أمن المبنى، فاستوقفه حارس البوابة، وهو يسأله في شك:

- من أنت؟ إنني لم أرَك هنا من قبل.

رفع الحارس الجديد عينيه في دهشة مصطنعة، وهو يقول:

- لم ترَني من قبل؟! عجبًا! ألم نلتقِ أمس يا (سعيد)؟

عقد الحارس حاجبيه، وهو يتفرس في ملامح الحارس الجديد، محاولاً تذكر ملامحه، وهو يتمتم:

- أمس؟!

أمسك الحارس الجديد ذراع القديم، وجذبه إلى الداخل في رفق، وهو يقول مبتسمًا:

- دعني أذكرك.. لقد التقينا أمام المصعد، و..

وفجأة هوت قبضة الحارس الجديد على معدة (سعيد) في قوة، انثنى لها هذا الأخير ألمًا، وهو يهتف في صوت مكتوم:

- إنك لست..

وقبل أن يكمل عبارته، قفزت قبضة الحارس في فكه فأجبرته على الاعتدال مرة أخرى، قبل أن يندفع إلى الخلف مرغمًا، ويرتطم رأسه بالحائط، والحارس الجديد يقول في برود:

- بالطبع أنا لست....

سقط (سعيد) فاقد الوعي، فانحنى الحارس الجديد، وجذبه في قوة إلى ركن قصي، بعيد عن الأعين، ثم اعتدل مغمغمًا، وهو يلقي ببطاقة صغيرة على صدر الحارس:

- كان ينبغي أن تتخذ قرارك على الفور، فالتردد ليس من سمات الحارس الناجح.

وفي هدوء، اتجه نحو البوابة، وأوصدها في حكام، ثم يمم وجهه شطر المصعد، واستقله في بساطة إلى الطابق الثلاثين...

حيث حجرة (صالح عثمان) الخاصة..

وبلغ المصعد الطابق المنشود في دقيقة أو نحوها، وغادره (نديم)، الذي يرتدي زي حراس المبنى، في هدوء عجيب، وخطا في بساطة نحو حجرة مكتب (صالح)، ولكنه لم يكد يمد يده إلى مقبضها، حتى ارتفع صوت صارم قاس يقول:

- مكانك يا رجل.. سأطلق النار عند أقل حركة مريبة.

وفي بساطة وهدوء، أدار (نديم) عينيه إلى مصدر الصوت، ورأى أمامه فوهة مسدس قاتلة، وخلفها سبابة متحفزة لإطلاق النار، في حين ارتفع صوت صاحبها يستطرد في غلظة:

- أنت لست أحد رجال الأمن هنا.. أنا أحفظهم جميعًا عن ظهر قلب.

قال (نديم) في هدوء:

- إنني الحارس الجديد.

ابتسم الحارس ابتسامة شرسة، وهو يقول:

- خطأ يا رجل.. إنما أنت مجرد لص حقير.

وسرت إلى ابتسامته الشرسة موجة جذلة، وهو يجذب إبرة مسدسه، مستطردًا:

- ولدينا هنا أوامرنا بقتل كل متسلل.. وبلا رحمة.

وضغط زناد مسدسه..

• • •

جلست (غادة) في حجرتها الخاصة، في مكتب (نديم)، تدون المعلومات التي جمعتها عن (صالح عثمان) في جهاز الكمبيوتر، الذي اقتناه (نديم) حديثًا، وعقلها منقسم ما بين تدوين المعلومات، والتفكير فيما يفعله (نديم) في هذه اللحظة، في مبنى شركات (صالح)، ولكن ذلك التفكير المزدوج لم يلبث أن أرهقها، فتوقفت عن تدوين المعلومات وهي تزفر في قوة، وتقول في حنق:

- يا لها من حياة! لماذا ينعم الجميع بحياة هادئة سوانا؟

تطلعت مرة أخرى إلى شاشة الكمبيوتر، قبل أن تتمتم:

- ربما لأننا اخترنا هذا النوع من العمل، أو لأن...

بترت حديثها بغتة وانعقد حاجباها في شدة، وهي تحدق في شاشة الكمبيوتر، التي عكست صورة باهتة لأضواء الحجرة و...

ولجسم يتحرك خلف (غادة)..

وفي حركة حادة، استدارت (غادة) بمقعدها الدوار، تواجه ذلك الشيء المتحرك خلفها.. وشهقت في قوة..

كان ذلك الشيء عبارة عن رجل ضخم الجثة، أصلع الرأس تمامًا، مفتول العضلات على نحو مخيف، غليظ الملامح، تطل من عينيه نظرة أشبه بنظرة كلب مسعور، أو ذئب متعطش للدماء...

وكان يمسك بيسراه خنجرًا حادًا ضخمًا..

ومع التفاتتها، زمجر ذلك الضخم (طومان)، وانقض عليها..

وهوى الخنجر على قلبها مباشرة.

• • •

أمسك الحارس الجديد ذراع القديم، وجذبه إلى الداخل في رفق، وهو يقول مبتسمًا:

- دعني أذكرك.. لقد التقينا أمام المصعد، و..

وفجأة هوت قبضة الحارس الجديد على معدة (سعيد) في قوة، انثنى لها هذا الأخير ألمًا، وهو يهتف في صوت مكتوم:

- إنك لست..

وقبل أن يكمل عبارته، قفزت قبضة الحارس في فكه فأجبرته على الاعتدال مرة أخرى، قبل أن يندفع إلى الخلف مرغمًا، ويرتطم رأسه بالحائط، والحارس الجديد يقول في برود:

- بالطبع أنا لست....

سقط (سعيد) فاقد الوعي، فانحنى الحارس الجديد، وجذبه في قوة إلى ركن قصي، بعيد عن الأعين، ثم اعتدل مغمغمًا، وهو يلقي بطاقة صغيرة على صدر الحارس:

- كان ينبغي أن تتخذ قرارك على الفور، فالتردد ليس من سمات الحارس الناجح.

وفي هدوء، اتجه نحو البوابة، وأوصدها في حكام، ثم يمم وجهه شطر المصعد، واستقله في بساطة إلى الطابق الثلاثين...

حيث حجرة (صالح عثمان) الخاصة..

وبلغ المصعد الطابق المنشود في دقيقة أو نحوها، وغادره (نديم)، الذي يرتدي زي حراس المبنى، في هدوء عجيب، وخطا في بساطة نحو حجرة مكتب (صالح)، ولكنه لم يكد يمد يده إلى مقبضها، حتى ارتفع صوت صارم قاس يقول:

- مكانك يا رجل.. سأطلق النار عند أقل حركة مريبة.

وفي بساطة وهدوء، أدار (نديم) عينيه إلى مصدر الصوت، ورأى أمامه فوهة مسدس قاتلة، وخلفها سبابة متحفزة لإطلاق النار، في حين ارتفع صوت صاحبها يستطرد في غلظة:

- أنت لست أحد رجال الأمن هنا.. أنا أحفظهم جميعًا عن ظهر قلب.

قال (نديم) في هدوء:

- إنني الحارس الجديد.

ابتسم الحارس ابتسامة شرسة، وهو يقول:

- خطأ يا رجل.. إنما أنت مجرد لص حقير.

وسرت إلى ابتسامته الشرسة موجة جذلة، وهو يجذب إبرة مسدسه، مستطردًا:

- ولدينا هنا أوامرنا بقتل كل متسلل.. وبلا رحمة.

وضغط زناد مسدسه..

• • •

جلست (غادة) في حجرتها الخاصة، في مكتب (نديم)، تدون المعلومات التي جمعتها عن (صالح عثمان) في جهاز الكمبيوتر، الذي اقتناه (نديم) حديثًا، وعقلها منقسم ما بين تدوين المعلومات، والتفكير فيما يفعله (نديم) في هذه اللحظة، في مبنى شركات (صالح)، ولكن ذلك التفكير المزدوج لم يلبث أن أرهقها، فتوقفت عن تدوين المعلومات وهي تزفر في قوة، وتقول في حنق:

- يا لها من حياة! لماذا ينعم الجميع بحياة هادئة سوانا؟

تطلعت مرة أخرى إلى شاشة الكمبيوتر، قبل أن تتمتم:

- ربما لأننا اخترنا هذا النوع من العمل، أو لأن...

بترت حديثها بغتة وانعقد حاجباها في شدة، وهي تحدق في شاشة الكمبيوتر، التي عكست صورة باهتة لأضواء الحجرة و...

ولجسم يتحرك خلف (غادة)..

وفي حركة حادة، استدارت (غادة) بمقعدها الدوار، تواجه ذلك الشيء المتحرك خلفها.. وشهقت في قوة..

كان ذلك الشيء عبارة عن رجل ضخم الجثة، أصلع الرأس تمامًا، مفتول العضلات على نحو مخيف، غليظ الملامح، تطل من عينيه نظرة أشبه بنظرة كلب مسعور، أو ذئب متعطش للدماء...

وكان يمسك بيسراه خنجرًا حادًا ضخمًا..

ومع التفاتتها، زمجر ذلك الضخم (طومان)، وانقض عليها..

وهوى الخنجر على قلبها مباشرة.

• • •

ملك الجريمة

4- وبدأ القتال..

من المؤكد أن حياة (نديم)، وعمله السابق في الشرطة لم يذهبا هباء، فالالتحاق بالشرطة يتطلب لياقة بدنية خاصة، والتدريبات داخلها تنمي هذه اللياقة، وتضيف إليها الكثير من المهارات والقدرات الجديدة..

ثم إن (نديم) لم يكتف بكل هذا..

لأنه أيضًا لم يكتف بحياة تقليدية..

لقد أضاف لمهاراته ولياقته الكثير؛ مما يؤهله لخوض حياة الخطر ومكافحة الجريمة، التي انتقاها لنفسه، وهو يحمل اسم (العقرب)...

وعندما تتأزم الأمور، كانت هذه المهارات الخاصة تبرز إلي السطح.. كما حدث في تلك الليلة..

لقد صوب الحارس مسدسه إلى (نديم)، وأطلق النار بالفعل، إلا أنه أضاع عامل المفاجأة بحديث مسرحي طويل، لا فائدة منه، سوى أن سمح لـ (نديم) بالتفكير في الأمر، والاستعداد له...

وهكذا لم يكد الرجل يضغط زناد مسدسه، حتى انزلق (نديم) بجسده إلى الأسفل، تركًا الرصاصة تتجاوزه، ثم اندفع بجسده نحو الحارس، قبل أن يستعد هذا الأخير لإطلاق رصاصة أخرى، وركل المسدس من يده، وهو يقول:

- دعنا نتخلى عن الألعاب النارية أولاً يا رجل.

ثم هوى على فكه بلكمة عنيفة، مستطردًا:

- ودعنا نختبر مهاراتك اليدوية.

استشاط الحارس غضبًا؛ لفقدانه مسدسه، واعتدل وهو يدعك فكه، محاولاً إزالة آلام اللكمة، وهو يقول في غيظ:

- ربما تشعر بالندم، عندما تختبرها أيها الحقير.

بدا (نديم) شديد الهدوء والثقة، وهو يقول:

- من يدري؟

أطلق الحارس صرخة غضب، وهو ينقض على (نديم)، ويكيل له لكمة كالقنبلة في فكه، تفاداها (نديم) بانحناءة رائعة، وهو يقول:

- انقضاضة خاطئة.

ثم هوى بدوره على فك الحارس بلكمة ساحقة، مستطردًا:

- لو أنك درست فنون القتال بحق..

وأعقبها بثانية في أنف الرجل، متابعًا:

- لأدركت أنه ينبغي أن تهاجم من اليسار.

وهوى بثالثة على معدة الحارس، وهو يقول:

- لأن الحائط إلى يميني.

وانتهت المعركة بلكمة كالقنبلة، هوت على رأس الحارس، وضربته بالحائط: ليسقط فاقد الوعي، و(نديم) يردف:

- وكنت سأرتطم به كذلك.

ترك الحارس يسقط فاقد الوعي في هدوء، كما لو أن الأمر لا يعنيه، ودفع باب مكتب (صالح)، ودلف إليه في بساطة..

كان مكتبًا شديد الفخامة بحق، ولكن ما لفت انتباه (نديم) فيه هو الضخامة المبالغ فيها: لحجم المكتب الخشبي، الذي يحمل اسم (صالح عثمان) بحروف من ذهب..

كان من الواضح أن (صالح) فاحش الثراء، شديد الثقة بنفسه، حتى إنه لم يحاول إغلاق حجرته الخاصة بنظام أمني محكم..

وفي هدوء، اتجه (نديم) نحو المكتب الضخم، وراح يفحصه في روية وإمعان، حتى تمتم:

لماذا كل هذا السمك يا (صالح)، ما دامت أدراج مكتبك نحيلة إلى هذا الحد؟

ضاعف هذا من اهتمامه بفحص المكتب، حتى انتبه إلى ذلك الشق الرفيع، المصنوع بحيث يبدو كجزء من نقوش المكتب البارزة، فمرر أصابعه عليه، وقال:

- هذا هو السبب إذن.. مخبأ سري خاص في أعماق المكتب.. لماذا يحتاج رجلٌ مثلك إلى مخبأ خاص يا (صالح) ؟ لا ريب أنك تحتفظ فيه بمستندات غاية في الخطورة.. مستندات قد تدينك مثلاً، أو..

قبل أن يتم عبارته، دوى فجأة صفير إنذار في المبنى كله، وارتفع صوت عبر المكبرات المنتشرة يقول:

- انتباه للجميع.. هناك دخيل في المبنى، ويرجح أنه قد صعد إلى حجرة الرئيس.. أغلقوا كل الأبواب إلكترونيًا، وابحثوا عن الدخيل بأقصى سرعة.

وقبل أن يتحرك (نديم) من مكانه، رأى رتاجًا إلكترونيا يندفع ليغلق باب حجرة (صالح) من الداخل، وسمع صوتًا مشابهًا من الخارج..

لحظتها أدرك أن (صالح) ليس غرًا أو مبتدئًا..

لقد أصبح هو سجينًا في وكر غريمه..

وأطبقت عليه المصيدة أبوابها..

بلا رحمة..



كانت انقضاضة (طومان) على (غادة) أشبه بانقضاضة ثور هائج على غزال شارد صغير، إلا أن (غادة)، على الرغم من حجمها، لم تكن لتوصف أبدًا بالغزال الشارد المسكين..

ولقد أدرك (طومان) هذا جيدًا..

لقد انقض عليها بجسده الضخم، وهوى بخنجره على قلبها بكل الوحشية والقسوة والشراسة، ولكن (غادة) استقبلته بركلة كالقنبلة في وجهه، وهي تقول، في لهجة لها طعم ساخر لاذع:

- مهلاً أيها الدب الغبي.. ليس من اللياقة أن تهاجم امرأة.

ثم قفزت من مقعدها، ودفعت قدمها الأخرى في معدته، مستطردة:

- خاصة وأن أحذية النساء لها كعب حاد ومؤلم.

صرخ (طومان) في غيظ وألم:

- لا أحد يهزم (طومان).

قالها وهو يهوي بخنجره على عنقها، ولكنها أفلتت منه في رشاقة، وتركته يطعن الهواء بخنجره، فيختل توازنه، ويرتطم بمنضدة الكمبيوتر فيسقط معها أرضًا، وهتفت هي في حدة:

أيها الوغد.. لقد أفسدت عمل يوم كامل.

قفز (طومان) واقفًا على قدميه، وقد بلغ غضبه ذروته، ولم يحتمل أن تهزمه امرأة وتسخر منه، وهو الذي قطع أعناق أعتى الرجال، فصرخ وهو يركل شاشة الكمبيوتر بقدمه، ويحيلها إلى شظايا وفتات:

- فليذهب عملك إلى الجحيم.

صاحت به في غضب:

- ستدفع ثمن هذا الجهاز الجديد.

أحاله استهتارها به إلى وحش ثائر مفترس، انقض عليها، وهو يصرخ ويزمجر كليث جريح...

ولكن (غادة) انحنت في خفة، وقفزت جانبًا في رشاقة، وقالت ساخرة:

- مستحيل يا رجل.. الثيران لا تقتنص الغزلان بهذه البساطة..

التفت إليها، وقلب خنجره، ليمسك نصله، ويرفع يده عاليًا، وقال في شراسة مخيفة:

- من قال هذا؟ هناك عشرات الطرق للقنص.

وألقى الخنجر في مهارة مذهلة، واخترق الخنجر هواء الحجرة، بصرير حاد مخيف، وهو يتجه كالرصاصة نحو عنق (غادة)..

وفجأة أثبتت (غادة) أنها ليست ذلك الغزال الصغير..

لقد انتزعت مسدسها من جيب ثوبها، وأطلقت منه رصاصة محكمة، أصابت الخنجر الطائر، وأجبرته على تغيير مساره على الرغم من نصله..

واتسعت عينا (طومان) في ذهول، وهو يحدق في المسدس والفتاة، التي ابتسمت في سخرية، وهي تصوب مسدسها إليه، قائلة:

- مفاجأة.. أليس كذلك؟

بقي الوضع ثابتًا صامتًا لحظة، كصورة فوتوغرافية جامدة، قبل أن يلتقط (طومان) مقعدا بغتة، وهو يقول في حدة:

- إليك مفاجأتي أيضًا.

قفزت (غادة) جانبًا؛ لتتفادى المقعد، الذي ألقاه (طومان) نحوها بغتة، وهتفت في حزم:

- لا تتحرك وإلا...

ولكن (طومان) كان قد تحرك بالفعل، واندفع نحو الباب كالصاروخ، وغادر الحجرة والمكتب كله ركضًا، فاندفعت (غادة) خلفه، هاتفة:

- انتظر.

ولكن هيهات..

لقد كان الرجل ينجو بحياته..

ويفر من هزيمته..

ولقد صوبت هي إليه مسدسها بالفعل، وهو يعدو هابطًا، وكادت تطلق النار على رأسه مباشرة، لولا أن رسم عقلها صورة للنتائج المتوقعة، فانكمش على نفسه، وجعلها تغمغم:

- لست أظننا نسعى لجلب متاعب الشرطة الآن.

وأعادت مسدسها إلى جيبها، وهي تتابع (طومان)، الذي غادر المبنى مندفعًا، وابتسمت في سخرية، مستطردة:

- فمن الواضح أننا قد أثرنا غضب (صالح عثمان).. حتى الجنون.

• • •

كانت المصيدة محكمة حول (نديم) تمامًا..

الأبواب كلها مغلقة إلكترونيًا..

الحراس ينتشرون في كل ركن..

أجهزة الإنذار متحفزة للعمل..

كل الظروف ضد نجاحه..

ولكنه بقى هادئًا..

كانت هذه أهم مميزاته..

الهدوء والشجاعة، حتى في أحلك اللحظات، وأشدها خطرًا..

وفي بساطة، وكأنما يشاهد فيلمًا هزليًا، راح (نديم) يدير عينيه فيما حوله، حتى توقف بصره عند النافذة، فقال:

- هناك ثغرة على الأقل.

حمل مقعدًا صغيرًا، واتجه به نحو النافذة، وهو يستطرد:

- ومن حسن الحظ أننا في الطابق الأخير.

حطم زجاج النافذة بضربة قوية من المقعد، ثم أطل برأسه منها، وتطلع إلى أسفل، حيث بدا الأشخاص والأشياء كنقاط صغيرة، وعاد يرفع رأسه إلى أعلى في هدوء، ورأى حافة رفيعة للسطح، تبعد عنه بمتر واحد، فغمغم:

- نعم.. هناك فرصة نجاة .

وقفز واقفًا على حافة النافذة، التي ترتفع ثلاثين طابقا عن الأرض، وراح يقيس المسافة التي تفصله عن تلك الحافة الرفيعة...

وفجأة انفتح باب حجرة مكتب (صالح)، واندفع عبره رجلان مسلحان، هتف أحدهما، وهو يرفع مسدسه نحو (نديم):

- ها هو ذا الدخيل.

وأطلق النار..

• • •

ملك الجريمة

5- السقـوط..

كانت عملية دقيقة للغاية..

وبالغة الخطورة..

لقد تحفزت عضلات (نديم) كلها، عندما اقتحم الرجلان الحجرة..

وفي نفس اللحظة التي أطلق الرجل فيها الرصاص، قفز (نديم)..

قفز إلى أعلى، نحو الحافة الرفيعة، وسمع أزيز الرصاصة، وهي تمرق بين قدميه، وجسده معلق بين السماء والأرض..

على ارتفاع ثلاثين طابقًا..

ولامست أصابعه الحافة الرفيعة..

وتشبثت بها..

وصرخ الحارس:

قف أيها الدخيل.. لا مهرب لك.

ولكن (نديم) تجاهله تمامًا، ودفع كل عضلاته إلى الانقباض؛ ليرفع جسده إلى الأعلى.. إلى سطح المبنى..

واندفع الحارسان نحو النافذة، وأطلقا رصاصتين بلا هدف، نحو البقعة التي اختفى فيها (نديم)، ثم صاح أحدهما برفيقه:

- لقد وضع نفسه في فخ أكثر إحكامًا.. اتجه مع (مندور) إلى باب السطح، ولا تسمحا لذلك الدخيل بمغادرة السطح أبدًا، وسأرسل أنا كل الرجال إلى هناك.

هتف رفيقه، وهو يعدو لتنفيذ الأمر:

- وماذا لو وجد مخرجًا؟

صاح به الأول في غلظة:

- كف عن حماقتك هذه.. كلنا نعلم أن المخرج الوحيد من السطح هو بابه، وهليوكوبتر السيد (صالح) ليست هنا، ولن يتبقى أمام ذلك الدخيل إلا أن يقفز من ارتفاع ثلاثين طابقًا.

وابتسم في سخرية مردفًا:

- وسيكون هذا من سوء حظه.

• • •

قفز (عزت)، مدير مكتب (صالح عثمان) من مقعده، مع رنين هاتفه، والتقط سماعة

الهاتف في لهفة، وهو يقول:

- أنا (عزت).. من المتحدث؟

انعقد حاجباه في غضب، عندما سمع صوت محدثه، وقال في عصبية:

- ماذا تريد يا (جابر)؟ إنني أنتظر محادثة هامة من (باريس).

بدا التوتر في ملامحه، وهو يستمع إلى (جابر)، قبل أن يقول في حدة:

- دخيل؟! ماذا تعني؟ كنت أظن أن المبنى محصن تمامًا ضد أي دخيل، وأي..

قاطعه (جابر) في انفعال:

- ولكننا أوقعنا به يا سيدي، وحاصرناه في السطح.

قال (عزت) في حدة:

- ماذا تريد مني إذن؟ تخلصوا منه على الفور.

سأله (جابر) في تردد:

- إنني أسأل عما إذا كان ينبغي أن نقبض عليه حيًا أم...

قاطعه (عزت) في عصبية:

- ألقوا به من أعلى المبنى أيها الغبي، وأخبر الشرطة فيما بعد أنه قد ألقى نفسه خوفًا من الاعتقال.. ينبغي أن يتعلم الجميع أن هذا مصير كل من تسول له نفسه اقتحام صومعة (صالح عثمان).

وأنهى الاتصال في حنق، وهو يستطرد:

- هؤلاء الأغبياء.. إنني أنتظر أخبار صفقة بنصف مليون دولار.

وبدا انفعاله ممزوجًا بتوق إلى الشهوة للمال، وهو يستطرد:

- صفقة خاصة.

وبدت ابتسامته أشبه بابتسامة ذئب..

ذئب مفترس..

• • •

اجتمع رجال أمن مبنى (صالح عثمان) عند الباب المؤدي للسطح، وقال رئيسهم (جابر)، وهو يجذب مشط مسدسه، ويتحفز للقتال:

- سنهاجم جميعًا دفعة واحدة، ولكن حذار من إطلاق النار عليه.. ينبغي أن نلقي القبض

عليه حيًا، قبل أن نلقى به من فوق المبنى.

ثم ابتسم في سخرية مستطردًا:

- فمن الضروري ألا يجد الطبيب الشرعي أية إصابات في الجثة، سوى إصابات السقوط من ارتفاع ثلاثين طابقًا.

قالها وجذب في صدره نفسًا عميقًا، ثم أشار بكفه، قائلاً في حزم:

- هيا.

اقتحم الرجال كلهم السطح، وشهروا مسدساتهم..ولكن..

كان السطح خاليًا تمامًا، إلا من الهليوكوبتر الصغيرة، التي تحمل شعار شركات (صالح عثمان)، فالتفت الرجال إلى (جابر) في حيرة، وقال هذا في توتر، وهو يشير إلى الهليوكوبتر:

إنه يختفي هناك حتمًا.

اندفع الرجال نحو الهليوكوبتر، وراحوا يدورون حولها، وقد تضاعفت حيرتهم، وراحوا يتبادلون نظرات الدهشة والتوتر، وغمغم (مندور):

- أقسم أنه قد صعد إلى السطح، لقد رأيته بنفسي، أنا و...

بتر عبارته، وكأنما لم يجد ما يضيفه إلى عبارته، في حين تمتم (جابر) في توتر:

- مستحيل!! الوسيلة الوحيدة للفرار من هنا هي الطيران، ووسيلة الطيران الوحيدة هنا مازالت على الأرض.

وتطلع في حيرة إلى الأرض، من ذلك الارتفاع الشاهق، وهو يضيف:

- ما لم يمتلك ذلك الرجل جناحين.

وبدت عبارته هذه عجيبة..

ومخيفة..

• • •

انهمكت (غادة) في ترتيب المكتب، الذي قلبه صراعها مع (طومان) رأسًا على عقب، حتى إنها لم تكد تشعر بوقع أقدام خلفها، حتى قفزت واقفة على قدميها ودارت على عقبيها في حدة، ثم لم تلبث أن زفرت في قسوة، عندما وقع بصرها على (نديم)، وهتفت:

- كدت أطلق النار على رأسك.

أدار عينيه فيما حوله، قبل أن يسألها في هدوء:

- ماذا حدث هنا؟ معركة؟

تطلعت إليه (غادة) في دهشة، ثم قلدت أسلوبه ولهجته:

- ماذا حدث هنا؟ معركة؟ يا له من برود فاق البرود الإنجليزي! ألا ترى كل هذا الدمار؟ هل تتصور أن هذا قد حدث لأنني عطست بقوة مثلاً؟

ابتسم ابتسامة باهتة، وهو يجلس على أقرب مقعد إليه، ولكن ابتسامته الشحيحة هذه لم تلبث أن تلاشت، وهو يسألها في جدية:

- هل تشاجرت مع أحد؟

أطلقت ضحكة قصيرة، وهي تقول:

- بل مع فيل.

وراحت تقص عليه تفاصيل ما حدث لها مع (طومان)، وهو يستمع إليها في اهتمام، حتى انتهت، فقال:

- هذا يعني أن جمعك المعلومات عن (صالح عثمان)، قد أثار حنق هذا الأخير، ودفعه إلى التخلص منك.

قالت مكملة:

- ويعني أيضًا أن ما يخفيه (صالح) يفوق حتى ما يعلمه عنه العالم السفلي.

ثم بدا وكأنها قد تذكرت أمرًا بغتة وهي تسأله في اهتمام مفاجئ:

- قل لي أنت: ماذا فعلت في مبنى (صالح عثمان)؟

ابتسم ابتسامته الشاحبة، التي تتلاشى بأسرع ما تولد، وقال:

- كانت مغامرة طريفة.

راح يقص عليها كل ما حدث،حتى بلغ نقطة هجوم (جابر) و(مندور) عليه في حجرة (صالح)، وقفزه إلى السطح، فهتفت به في انفعال:

- يا إلهي! وماذا فعلت؟

أجابها في هدوء:

- هربت.

هتفت في سخرية:

- هربت؟! يا للبساطة ! إن من يحصل على رغيف طازج من الخبز، يمتلك قصة مثيرة أفضل من قصة فرارك هذه.. هل ترى أن هروبك من ذلك المأزق شيئًا بسيطًا، حتى تكتفي

في شرحه بتلك الكلمة المقتضبة السخيفة؟

قال في بساطة:

- الواقع أن الفرار كان أبسط مما تتوقعين، ومما تصور هؤلاء الأوغاد.

هتفت في دهشة:

- كيف؟ لقد كنت محاصرًا على السطح، وليست أمامك وسيلة للفرار، وكل رجال (صالح) تقريبًا يقطعون الطريق الوحيد للفرار، فكيف تهرب؟

هز كتفيه في لامبالاة، وقال:

- خمني.

تطلعت إليه في حيرة، ولم تنبس ببنت شفة..

وخيل إليها على الرغم من هدوء ملامحه أن عينيه تحملان ضحكة..

ضحكة ساخرة...

• • •

- "يا له من ثعلب!".

نطقها (صالح عثمان) في هدوء، يخفي الكثير من ثورة أعماقه، وهو يتابع شاشة تلفزيون كبيرة ملونة، تعرض فيلمًا تم التقاطه لـ (نديم) دون أن يشعر هو نفسه، وتابع وهو ينفث دخان سيجاره في قوة:

- انظر يا (عزت).. لقد انتظر حتى غادر (جابر) و(مندور) الحجرة، ثم عاد إليها.. وها هو ذا يترك تلك البطاقة فوق مكتبي، وينصرف في هدوء مثير للأعصاب، دون أن يعترضه أحد، حتى يبلغ الباب السفلي فيعطل أجهزة الإنذار، وينصرف في بساطة، كما لو أنه يغادر منزله الخاص.

عقد (عزت) حاجبيه، وهو يقول:

- إنه وغد جرئ.

قال (صالح) في توتر:

- وطاقم حراسي من الأغبياء الحمقى، وكل ما فعله هو أن استغل حماقتهم، وتركهم يندفعون جميعًا إلى السطح بلا ترو، في حين عاد هو أدراجه إلى المكان الوحيد، الذي لا يتصورون عودته إليه؛ ليجد الطريق أمامه خاليًا إلى الخارج.

ونفث دخان سيجاره مرة أخرى في حدة، قبل أن يضيف:

- ومن حسن حظنا أنه لم يكن يعلم بوجود آلات التصوير السرية، التي تعمل فور فتح الباب.

جلس (عزت)، وهو يقول في قلق:

- ولكن لماذا فحص المكتب.. مستحيل أن يكون على علم بوجود المخبأ السري أسفله!

مط (صالح) شفتيه، وقال:

- من يدري؟

ثم أضاف في حزم:

- اسمع يا (عزت).. أريد نسخ كل ما لدينا، بجهاز نسخ الكمبيوتر، وعمل إسطوانة كمبيوتر تحوي صور كل الوثائق، ثم إعدام الوثائق كلها.

ابتسم (عزت) ابتسامة خبيثة، وهو يقول:

- فكرة رائعة يا (صالح) بك.

ثم أضاف وهو ينحني على نحو مبالغ فيه:

- معذرة يا (صالح) بك، ولكن لديَّ خبر سيئ.

عقد صالح حاجبيه، وهو يقول في عصبية:

- أسوأ مما حدث؟

تنحنح (عزت)، وقال:

- لست أدري في الواقع، ولكن (طومان) فشل في القضاء على المحامية الشابة.

هتف (صالح) في غضب:

- فشل؟! هل أصبح فاشلاً إلى حد العجز عن القضاء على امرأة؟

قال (عزت):

- إنه يقول إنها قد فاجأته بكونها امرأة غير عادية، وبأنها مقاتلة شرسة، حتى إنها قد أطاحت بخنجره برصاصة واحدة من مسدسها، من بعد ثلاثة أمتار، ولقد دفعني هذا إلى طلب بعض التحريات عنها، ولقد علمت أنها شرطية سابقة، وأنها شريكة في مكتب محاماة يملكه شرطي سابق أيضًا، يحمل اسم (نديم فوزي).

صمت (صالح) تمامًا، وهو يستمع إلى (عزت)، ثم هز رأسه، وكأنما يحاول استيعاب كل كلمة، وقال:

- شرطية سابقة؟ هذا يعني أن (طومان) الغبي لا يصلح للتخلص منها.

وابتسم ابتسامة مخيفة، وهو يضيف:

- إنها تحتاج إلى (لوسي).

تألقت عينا (عزت) وهو يقول:

- بالتأكيد يا سيدي.. إنها تحتاج إلى (لوسي)، التي ندخرها لمثل هذه المهام.

هز (صالح) كتفيه، وقال:

- إنها صاحبة أسلوب متميز، لم تألفه (مصر) من قبل، ولم تألفه شرطتها؛ مما يجعل مهماتها ناجحة دومًا.. إنها في الواقع تستحق ذلك الأجر الباهظ الذي تتقاضاه.

أومأ (عزت) برأسه موافقة، ثم عاد يسأل رئيسه في اهتمام:

- ولكن ماذا عن ذلك الدخيل المجهول؟

تطلع (صالح) إلى شاشة التلفزيون، التي تعرض للمرة العشرين صور (نديم) بزيه التنكري، وهو يقتحم الحجرة، ثم نقل بصره إلى تلك البطاقة البيضاء، التي تحمل في منتصفها رسمًا لـ (عقرب) ذهبي، وعاد يرفع عينيه إلى (عزت)، قائلاً:

- سنفعل ما يفعله أي مواطن شريف في مثل هذه الأمور يا (عزت).

وابتسم ابتسامة تحمل كل خبث الثعالب، وشراسة الذئاب، وهو يستطرد في سخرية:

- سنبلغ الشرطة.

• • •

ملك الجريمة

6- حصـــار..

تألقت عينا العقيد (مجدي)، وتطلع إلى البطاقة البيضاء، التي تحمل رسم (العقرب) الذهبي، وقال في حدة تحمل كل انفعالاته:

إذن فقد عاد.

سأله (صالح عثمان) في اهتمام:

- من هذا الذي عاد؟

أجابه (مجدي) في انفعال:

- (العقرب).

عقد (صالح) حاجبيه، وهو يقول في حيرة:

- (العقرب)؟! من هذا (العقرب)؟

قال (مجدي) في حدة، وهو يلوح بالبطاقة:

إنه شاب يظن نفسه أقوى من الشرطة كلها، وأنه (زورو) المصري، حامي حمى الحق والفضيلة.

ثم أردف وهو يضم قبضته في غضب:

- ولكني سأوقع به هذه المرة.. أقسم أن أفعل.

واندفع يستطرد في حماس:

- قل لي يا سيد (صالح): هل يمكنني رؤية شريط الفيديو، التي سجلته أجهزتك السرية لحادثة الاقتحام؟

قال (صالح):

- بالتأكيد.. إنني دومًا في خدمة القانون والعدالة.

صحبه إلى حجرة جانبية، احتشدت بأجهزة إلكترونية معقدة، وقال لشاب يجلس أمام أحد هذه الأجهزة :

- أدر الشريط.

أدار الشاب الشريط كله، وراح (مجدي) يتابعه في انفعال شديد، وهو يقول:

- إنه هو .. لقد تعرفته، على الرغم من الشعر المستعار والشارب.. إنه هو.

سأله (صالح) في عصبية هذه المرة:

- من هذا؟

أشار (مجدي) إلى صورة (نديم) على الشاشة وهو يقول:

- (العقرب).. ها هو ذا.

أمسك (صالح) معصم (مجدي) بغتة، وهو يقول بلهجة تشف عن نفاد صبر:

- اسمع أيها العقيد: إنني أكره الغموض، وأكره أكثر أن أستمع إلى الأحاديث المبهمة.. من الواضح أنك تعرف من (العقرب) هذا، فلماذا لا تخبرني عن اسمه؟

تطلع إليه (مجدي) لحظات في دهشة، ثم لم يلبث أن قال في انفعال:

- معذرة يا سيد (صالح).. كان ينبغي أن أخبرك بالفعل.

ثم مال نحوه مستطرداً:

- إنه شرطي سابق يدعى (نديم).. (نديم فوزي).

تألقت عينا (عزت)، عندما سمعا الاسم، وتبادل مع (صالح) نظرة مفعمة بالانفعالات، قبل أن يسأل (مجدي) في اهتمام بالغ:

- أتقصد المحامي (نديم فوزي)؟

قلب (مجدي) شفتيه في ازدراء، ولوح بكفه، قائلاً:

- هو نفسه.. لقد فصله السيد وزير الداخلية من صفوف الشرطة؛ لأنه يدس أنفه دوماً فيما لا يعنيه، ويتجاوز القواعد والقانون، ولقد حاول أن يحصل على ترخيص بافتتاح مكتب خاص للتحري، ولكنني رفضت طلبه، فما كان منه إلا أن افتتح مكتباً للمحاماة، وصنع لنفسه زيًّا أشبه بزي (زورو) الأسطوري، وراح يقحم نفسه في عالم مكافحة الجريمة.

سأله (صالح) في انفعال:

- ولماذا لم تلقِ الشرطة القبض عليه؟

قال (مجدي) في حنق:

- لأننا لا نملك دليلاً يثبت أن (نديم فوزي) هو (العقرب).

ثم التفت إلى (صالح)، مستطرداً في لهفة:

- ولكنك صديق شخصي للسيد وزير الداخلية يا سيد (صالح)، ويمكنك إقناعه باعتقال (نديم) هذا.. أليس كذلك؟

تمتم (صالح) وهو ينفث دخان سيجاره في بطء:

- بالتأكيد يمكنني ذلك.

ولكنه لم يلبث أن استدرك في سرعة:

- ولكنني أفضل الأسلوب القانوني بالطبع.

عقد (مجدي) حاجبيه في ضيق، وهو يردد مرغمًا:

- بالطبع.

ثم أضاف في برود:

- هل يمكنني الحصول على صور ثابتة من ذلك الفيلم؟

أجابه (صالح):

- بالتأكيد.

ثم أشار إلى الشاب الجالس أمام الأجهزة، فضغط الشاب زرًّا صغيرًا، وانتظر بضع لحظات، حتى برزت صورة فوتوغرافية ملونة، من تجويف صغير أسفل جهاز العرض، تحمل لقطة واضحة لوجه (نديم) المتنكر، فالتقطها الشاب، وناولها إلى (مجدي)، الذي حدق فيها بدهشة، جعلت (عزت) يغمغم:

- إنها التكنولوجيا.

التقط (مجدي) الصورة، ودسها في جيبه، قائلاً:

- نعم إنها التكنولوجيا.

وارتسمت على شفتيه ابتسامة تشفٍّ، وهو يستطرد:

- ويمكنك أن تطمئن يا سيد (صالح).. سأوقع هذه المرة بـ (العقرب).. حتمًا.

• • •

ركضت والدة المهندس المتهم (أحمد) خلف (نديم)، وهو يغادر قاعة المحاكمة، في ثوب المحاماة الأسود الفضفاض، وتشبثت بذراعه قائلة في توتر:

- لماذا طلبت تأجيل المحاكمة في الجلسة الأولى؟

توقف (نديم) والتفت إليها، قائلاً في هدوء:

- اطمئني يا سيدة (نوال).. التأجيل لصالحنا هذه المرة، فلابد لي من دراسة ملف القضية جيدًا، والبحث عن ثغرة يمكن استغلالها لتبرئة ابنك.

قالت في انفعال:

- ولكن التأجيل يعني أن يبقى ابني وقتًا أطول خلف القضبان.

تطلع (نديم) إلى عينيها مباشرة، وهو يقول:

- هذا أفضل من أن يتدلى من حبل المشنقة.. أليس كذلك؟

ارتجفت لمجرد تصور الأمر، وتمتمت في حزن:

- اعذرني يا سيد (نديم)، ولكنني أم.

ربت على كتفها في حنان، وهو يقول في حزم:

- اطمئني..

لم تكن الكلمة تعني الكثير، في مثل هذه الظروف، ولكن اللهجة الواثقة، التي نطقها بها (نديم) ملأت قلب السيدة، وبعثت فيها شيئًا من الدفء، جعلها ترفع عينيها وتتطلع إلى عيني (نديم) لحظة...

وفي هذه اللحظة قرأت في عينيه الكثير..

وفجأة خامرها شعور قوي بأن ابنها في أمان..

وبأنه لن يدان أبدًا..

وفجأة أيضًا ارتفع من خلف كتفي (نديم) صوت حنون يقول:

- اطمئني بالفعل يا سيدتي، فـ (نديم) ليس مجرد محام.

التفت (نديم) يتطلع إلى وجه اللواء (حلمي)، الذي تابع في هدوء:

- أعني أنه محامٍ من نوع خاص.

لم يبتسم (نديم) كعادته، ولكن السعادة بدت واضحة في عينيه، وهو يقول:

- سيدي.. كم يسعدني أن أراك هنا.

ربت اللواء (حلمي) على كتفه، وهو يقول:

- يسعدني دومًا أن ألتقي بك يا ولدي.. قل لي: كيف حال قضيتك هذه؟

أجابه (نديم) في هدوء:

- صعبة.. ولكنها ليست مستحيلة.

أشار إليه اللواء (حلمي)، وهو يقول:

- أنت الوحيد الذي يمكنه ربح هذه القضية يا (نديم).

وصمت لحظة ثم أردف في خفوت:

- خاصة لو استعنت بصديقك (العقرب).

قال (نديم) في هدوء، دون أن يحمل وجهه أدنى انفعال:

- لقد استعنت به بالفعل يا سيدي.

التمعت عينا اللواء (حلمي) لحظة، قبل أن يقول في ارتياح:

- كنت واثقًا من أنك ستفعل.

نقلت السيدة (نوال) بصرها بينهما في حيرة، ثم سألت اللواء (حلمي) في قلق:

- هل سينجو ولدي يا سيدي؟

قبل أن تنفرجا شفتا اللواء (حلمي) عن حرف واحد، ارتفع صوت صارم يقول في غلظة:

- مطلقًا.

أجفلت السيدة (نوال)، وهي تدير عينيها في جزع إلى (مجدي)، الذي تابع في حدة، وهو يتجه نحوهم:

- ألقِ القبض على هذا الشاب يا سيادة اللواء، فهو مجرم يقتحم الأماكن الخاصة عنوة.

نقل اللواء (حلمي) بصره بين وجه (مجدي) الظافر الشامت، ووجه (نديم) الهادئ، الذي لا يشف أبدًا عما يعتمل داخله، وغمغم:

- حقًّا؟!

أما (نديم) فقال في برود:

- أي قول هذا أيها العقيد؟

قال (مجدي) في صرامة:

- القول الفاصل.. إنني أحمل دليلاً هذه المرة.

وأخرج من جيبه الصورة، وهو يقول:

- لقد زود السيد (صالح عثمان) حجرته بآلات تصوير خاصة، تعمل فور فتح الباب، وتلتقط فيلمًا كاملاً للمقتحم، حتى لو راح يعمل في الظلام.

تطلع (نديم) واللواء (حلمي) إلى الصورة، وقال (نديم) في هدوء:

- أهذا هو الدليل؟

هتف (مجدي):

- إنه دليل قاطع.. يكفي أن نأتي بصورة لك، ونضيف إليها شاربا كثًّا، وشعرًا غزيرًا خشنًا، وستجد أنك صورة طبق الأصل من ذلك المقتحم، الذي ترك خلفه بطاقة (العقرب).

أعاد إليه (نديم) الصورة في هدوء، وهو يقول:

- إنه مجرد تشابه، وأي وكيل نيابة مبتدئ هنا سيخبرك أن هذه الصورة لا تعد دليلاً بأي حال من الأحوال، حتى ولو كانت صورتي أنا، لا صورة ذلك السيد الذي يشبهني؛ لأن

ملتقطها لم يحصل عل إذن من النيابة بالتقاطها، ثم إن الصورة توضح أن ذلك السيد يرتدي نوعًا من القفزات المطاطية، التي يرتديها الجراحون. وهذا يعني أنك لن تجد بصمة واحدة في مكان الاقتحام.

ومال نحوه، مستطردًا في برود مثير:

- وهذا يعني أنه ما من دليل قانوني يدين أي مخلوق.

احتقن وجه (مجدي)، وهتف:

- ولكنك أنت (العقرب)، وسأثبت يومًا أنك ذلك المجرم.

قال (نديم) في هدوء شديد، وإن التمعت عيناه فيما يشبه الجذل:

- إذن فأنت تهددني على نحو واضح، وفي وجود شاهدين.. أتعلم أن هذا يمنحني الحق في أن أقاضيك

بتهمتي السب العلني واستغلال السلطة؟

ازداد احتقان وجه (مجدي)، وهو يقول:

- اسخر ما شئت أن تفعل أيها (العقرب)، ولكن لتعلم أنك لا تواجه خصمًا عاديًا بالمرة، وإنما تواجه (صالح عثمان)، أكبر رجل أعمال في مصر، والصديق الشخصي للسيد وزير الداخلية، ولقد تقدم السيد (صالح) بشكوى رسمية، بخصوص اقتحام مكتبه، ولقد أخبرته أنا أنك المشتبه فيه رقم واحد، ولست أظنه سيقف موقفًا سلبيًا في هذا الشأن.

بدا القلق على وجه اللواء (حلمي)، في حين قال (نديم) في هدوء:

- لا.. لست أظنه سيفعل.

هتف (مجدي) في لهجة أقرب إلى الشماتة، وهو يبتعد:

- صدقني أيها (العقرب).. لقد وقعت هذه المرة.. سيحاصرك (صالح عثمان) حصارًا لا فكاك منه.. لقد وقعت بحق.

وارتجف قلب اللواء (حلمي) قلقًا..

• • •

ملك الجريمة

7- زائر غامض..

دلف (عزت) إلى مكتب (صالح)، وهو يحمل أسطوانتي كمبيوت رفيعتين. سلمهما إلى (صالح)، وهو يقول:

- ها هي ذي كل الوثائق يا سيدي.. لقد قمت بتخزينها على أسطوانة كمبيوتر، صنعت منها نسختين متماثلتين؛ لضمان عدم إتلاف المعلومات تحت أية ظروف. كما قمت بتدمير الوثائق الأصلية.

تناول (صالح) الأسطوانتين، وقال:

- عظيم.. والآن ماذا لديك عن (نديم فوزي) هذا؟

أجابه وعيناه تحملان تلك النظرة الشبيهة بالثعالب:

- معلومات بالغة الخطورة يا سيدي.. إنه مقاتل شرس، جريء، لا يبالي بقوة خصمه أو سطوته، وهو الذي أوقع بـ(نعمان والي).

عقد (صالح) حاجبيه في شدة، وهو يقول:

- هو نفسه؟!

قال (عزت) مستطردًا:

- ويقولون إنه يرتدي أحيانًا زيًا أسود اللون، مع قناع وقفازين، كما لو كان شخصية أسطورية، وهو شريك الفتاة التي فشل (طومان) في قتلها، ويبدو أنهما يعملان معًا ضدنا.

مط (صالح) شفتيه، قائلاً:

- ضدي أنا؟! يا للسخافة!

ثم رفع عينيه إلى (عزت)، مستطردًا في حزم:

- أريد هذا الفتى حيًا يا (عزت).

انحنى (عزت)، وهو يقول في خبث:

- أمرك مطاع يا سيد (صالح).

ثم اعتدل مستطردًا:

- وماذا عن (لوسي)؟

عقد (صالح) حاجبيه مرة أخرى، وهو يقول:

- ماذا عنها؟

أجابه (عزت):

- هل تتم مهمتها بشأن الفتاة؟

هتف (صالح) في حزم:

- بالطبع.. دعها تخلصنا من الفتاة، في حين نعمل نحن على اقتناص الفتى.

قال (عزت) في خفوت:

- ولكنها تطلب خمسين ألفًا هذه المرة.

أجابه (صالح)، وهو يلوح بكفه في حزم:

- امنحها ما تطلبه.

ثم زمجر مستطردًا:

- على ألا تفشل هي أيضًا.

ابتسم (عزت)، وهو يقول:

- إن (لوسي) تملك أسلوبًا خاصًا، ثم إنها لم تفشل في عملياتها أبدًا.

غمغم (صالح) في سخرية:

- هناك مرة أولى دائمًا.

قال (عزت) في خبث:

- لن تكون هذه المرة.

ثم أضاف بلهجة جادة:

- وبالمناسبة، سيصل (سوريال) الليلة.

رفع (صالح) عينيه إليه، وامتلأت كل خلجاته بالاهتمام، وهو يقول:

- (سوريال) بنفسه؟

قال (عزت) مبتسمًا:

- بشحمه ولحمه.

قال (صالح) في اهتمام:

- لا ريب أن حجم الصفقة رهيب هذه المرة.

مال (عزت) نحوه، وهو يقول:

- بالتأكيد، فهو يتعلق بمشكلة الجنوب في السودان، وبعملية تقسيم لبنان، و..

قاطعه (صالح):

- أعلم هذا.. أعلمه.

ثم أضاف في حزم، وهو يتراجع بمقعده:

- وهذا يعني أنه من الضروري أن ننهي عملية (العقرب) هذه وبأقصى سرعة.

• • •

استمعت (غادة) إلى حديث (نديم) في انفعال، ثم قالت في حماس:

- إذن فقد أخبر (مجدي) (صالح عثمان) بأمرك، وصار اللعب بأوراق مكشوفة.

قال في هدوء:

- هل يخيفك هذا؟

ابتسمت في جذل، وهي تقول:

- بل يجعل الأمر أكثر متعة.

أضاف في هدوء:

- وخطورة.

ثم شبك أصابع كفيه أمام وجهه، مستطردًا:

- ثم إن هذا يفسد الكثير من عمل (العقرب)، الذي يعتمد على السرية والغموض.

ضحكت وهي تقول:

- اطمئن، مادام (صالح) قد حصل على كل معلوماته من العقيد (مجدي) فسيظل الشك جزئًا من معرفته هذه، ويمكننا أن نضاعف هذا الشك في أعماقه، ونزيد من حيرته؛ مما يربكه ويمنحنا نقطة تفوق.

- هز رأسه في هدوء، وهو يقول:

- أمثال (صالح عثمان) لا يرتبكون بسهولة يا عزيزتي، ليس لأنهم شجعان صناديد، بل لأن ثقتهم بقوتهم تجعلهم يظنون أنه ما من أحد يمكنه هزيمتهم، وأن لا داعي للخوف من أي مخلوق، ولكن هذه الثقة المفرطة في حد ذاتها تعد نقطة ضعف كبيرة، إذا ما أحسن المرء استغلالها.

ضحكت (غادة) مرة أخرى وهي تقول:

- يا لك من فيلسوف.

تابع في هدوء، وكأنه لم يسمعها:

- ولكنني أشعر أن (صالح عثمان) هذا يخفي أمرًا رهيبًا، هو سر ثروته المفرطة، التي لم

يبلغها مثله من قبل.. أمر يفوق العمل بالمقاولات والتهريب، وحتى المخدرات.

سألته في حيرة:

- وما الذي يفوق أرباح تجارة المخدرات؟

تطلع إليها لحظة، ثم أجاب في حزم واقتضاب:

- السلاح.

وشعرت (غادة) في أعماقها بارتجافة..

• • •

هبطت الطائرة القادمة من باريس، في ميناء القاهرة الجوي، وغادرها رجل أشقر الشعر، أزرق العينين، توحي كل ملامحه وحقائبه أنه فرنسي، على الرغم من أن لهجته الفرنسية كانت تشف عن أنه ليس فرنسي الأصل، أو أنه من سكان شرقي فرنسا، إلا أن كل هذا لم يعنِ شيئًا، عندما تم استقبال ذلك الفرنسي في قاعة استقبال كبار الزوار بصفة استثنائية، حيث كان ينتظره (عزت)، الذي ابتسم ابتسامة واسعة، وهو يرحب به قائلاً:

- مرحبًا يا مسيو(سوريال).. كيف حالك، وكيف حال الرجال هناك؟

أجابه (سوريال) بلغة عربية، وبلهجة مصرية خالصة:

- جميعهم بخير يا مسيو(عزت). المهم كيف حال الرجل هنا؟

ابتسم (عزت) ابتسامته التي تحمل الكثير من الخبث، وهو يقول:

- اطمئن يا رجل.. إنني أسيطر عليه سيطرة تامة هنا.

وأطلق ضحكة قصيرة، قبل أن يضيف:

- ثم إنه يعبد المال، وهذا يجعل الأمر أكثر سهولة.

ابتسم (سوريال) في ارتياح، وقال:

- بالتأكيد.. إنني أميل إلى التعامل مع أولئك الذين يعبدون المال.

استقلا معًا سيارة فاخرة، تحمل شعار شركات (صالح)، و(سوريال) يقول:

- هذه المرة ستكون الصفقة بالغة الضخامة.

قال (عزت) في شراهة:

- لقد وعدتني بعمولة تبلغ نصف مليون دولار.

ابتسم (سوريال) ورمقه بنظرة جانبية وهو يقول:

- لقد وافق الرجال على رفعها إلى مليون دولار دفعة واحدة، لو تمت الصفقة كما ينبغي.

فرك (عزت) كفيه في لهفة، وسال لعابه لسماع المبلغ، وهو يقول:

- ومن سيحمل السلاح هذه المرة؟ المتمردون في جنوب السودان، أم ميليشيا الكتائب في لبنان، أم..

قاطعه (سوريال) في حزم:

- بل المصريون.

حدق (عزت) في وجهه بدهشة، وهو يقول:

- المصريون؟! ولماذا يحمل المصريون السلاح؟! وضد من؟!

ابتسم (سوريال) ابتسامة غامضة، هو يقول:

- ضد عدوهم التقليدي، عبر ما يقرب من نصف قرن يا عزيزي.

ثم مال نحوه، مستطردًا بابتسامة أكثر غموضًا:

- ضد الإسرائيليين.

وكانت مفاجأة بحق..

• • •

ملك الجريمة



8- صفقة الموت..

عقد (صالح عثمان) حاجبيه في شدة وهو يستمع إلى (سوريال)، قبل أن يغمغم في شدة:

- حرب مصرية إسرائيلية؟! وكيف يمكن أن تشعل هذه الحرب؟ ألا تعلم يا رجل أن هناك معاهدة سلام مصرية إسرائيلية، وأن....

قاطعه (سوريال) مبتسمًا في هدوء:

- المعاهدات والأوراق مجرد أشياء يمكن تمزيقها وتجاهلها سيد (صالح)، عندما تبدأ الاضطرابات على الحدود.

وازداد انعقاد حاجبي صالح، وهو يقول:

- وكيف تحدث هذه الاضطرابات؟

اتسعت ابتسامة (سوريال) وهو يقول:

- إنها مهمتك مسيو(صالح).

هتف (صالح) مستنكرًا:

- مهمتي أنا؟!

اعتدل (سوريال) بغتة، ومال نحو (صالح)، قائلاً في حزم:

- اسمع يا مسيو(صالح).. عندما قبلت العمل، كواحد من كبار تجار السلاح في الشرق الأوسط، الذين نسبغ عليهم حمايتنا، كان هذا يعني التخلي عن كل عواطفك وانتماءاتك، وأن تبذل دومًا أقصى جهدك؛ لتفعل كل ما نطلبه منك، وكل ما يكفل لنا النجاح، ولتعلم أن الحرب المصرية الإسرائيلية كانت دومًا الممول الأكبر لنا في تجارة الأسلحة، في منطقة الشرق الأوسط كلها، وبانتهائها فقدنا موردًا كبيرًا للمال في المنطقة، وحتى الحروب والصراعات الجانبية التي دفعنا الشعوب إليها دفعًا لم تمنحنا ما يعوض عن ذلك؛ لذا فقد رأى الرؤساء، بعد دراسة الأمر من كل الوجوه، أنه من المحتم أن تشتعل الحرب المصرية الإسرائيلية مرة أخرى.

ثم تراجع في مقعده ولوح بكفه مستطردًا:

- ثم إنك ستربح من هذا ما يقرب من ملياري دولار.

جاء دور (صالح) ليميل نحو (سوريال)، قائلاً في صرامة:

- ينبغي أن تعلم أولاً أنني بالفعل أقوى رجالكم في الشرق الأوسط، وأنكم لا تستطيعون تعويضي، فلقد بلغت شأنًا يصعب أن يبلغه رجل يعمل بعيدًا عن لعبة السياسة، حتى إنني أكاد أكون الوحيد من المدنيين، غير السياسيين، الذي يمتلك طائرة خاصة، بتصريح مميز

من وزير الدفاع المصري نفسه، وهليوكويتر خاصة لتنقلاتي عبر مواقع عمل شركاتي المختلفة، ولقد نجحت باتصالاتي في منحكم حجم تعاقدات تبلغ عشرة مليارات دولار، خلال عامين فحسب، ولكنني في النهاية مصري، وليس من السهل أن أسعى لإشعال حرب مصرية إسرائيلية.

ابتسم (سوريال) ابتسامة أقرب إلى السخرية، وهو يقول:

- العاملون بتجارة السلاح لا ينتمون إلى أية دولة مسيو (صالح)، إنهم ينتمون للمال وحده.. هو وطنهم وسيدهم وهدفهم.. لقد عقدت أنا نفسي صفقتين رائعتين في باريس، إحداهما مع حكومة جنوب إفريقيا البيضاء، والثانية مع الثوار السود في جنوب إفريقيا نفسها.. إننا لا نهتم بمن الرابح أو الخاسر في كل الحروب، المهم أن تمتد الحرب لأطول مدي ممكن، وأن نبيع الأسلحة بمليارات الدولارات... وحتى عندما تشتعل الحرب المصرية الإسرائيلية، فإننا سنبيع الأسلحة للطرفين على حد سواء.. المهم هو أن نربح.. المهم هو الأوراق الخضراء يا رجل.. أوراق البنكنوت.

قال (صالح) في حدة:

- وهذا ما اقصده أنا أيضًا، فلست أرفض الحرب بسبب عواطف وطنية، وانما لأن الحرب ستفقدني المزيد من امتيازاتي.

أسرع (سوريال) يقول:

- وستمنحك ملياري دولار دفعة واحدة.

صمت (صالح) يفكر في الأمر، وراح ينفث دخان سيجاره في عمق، قبل أن يقول:

- وكيف يمكن إشعال حرب كهذه بعد أن هدأت الأمور؟

ابتسم (سوريال) ابتسامة رجل بلغ مأربه، وقال:

- فقط عليك أن تدفع بعض المهربين، الذين يعملون لحسابك؛ لزرع بعض القنابل على خط الحدود، في طابا أو غزة أو غيرهما، وعندما تنفجر القنابل سنتكفل نحن بالباقي.

صمت (صالح) دقيقة أخرى، ثم غمغم:

- مقابل ملياري دولار؟

أجابه (سوريال) في إغراء:

- على الأقل.

اعتدل (صالح) دفعة واحدة، وقال:

- اتفقنا.. متى نوقع العقد الخاص؟

اتسعت ابتسامة (سوريال)، حتى كادت تلتهم وجهه كله، وهو يقول:

- في باريس كالمعتاد مساء الغد.

قال (صالح) في ارتياح:

- لا بأس.. سيمنحني هذا فرصة كافية لسحق (العقرب) أولاً.

عقد سوريال حاجبيه وهو يقول:

- أي عقرب هذا؟

ابتسم (صالح) قائلاً:

- لا تقلق نفسك بشأنه يا مسيو (سوريال) إنه مجرد عقرب وسينتهي أمره تمامًا.

واتسعت ابتسامته وهو يردف:

- الليلة.

• • •

وضعت (غادة) الكمبيوتر الجديد في موضع القديم، وهي تقول في حدة:

- أقسم أن يدفع (صالح عثمان) ثمن هذا الكمبيوتر القديم، الذي حطمه ذلك الدب، الذي أرسله لقتلي.

قال (نديم) هدوء:

- عندما نوقع به ستكون فاتورته ضخمة للغاية.

ثم استطرد في بساطة:

- هل ستعودين إلى منزلك؟ إنها الحادية عشرة مساء.

قالت في اهتمام:

- لا.. يمكنك أن تنصرف أنت، فسأبقى أنا؛ لإعداد الكمبيوتر الجديد للعمل.

قال وهو يتجه إلى الباب:

- لا بأس، ولكن انتبهي جيدًا هذه المرة.

ابتسمت قائلة:

- اطمئن.

سمعته ينصرف، وهو يغلق الباب خلفه فغمغمت مبتسمة:

- يا لك من رجل يا (نديم)!!. إنك من ذلك النوع النادر، الذي يحيا وسط المخاطر في هدوء، كما لو كان يسبح في مسبح خاص، وهو يرقد فوق مرتبة غير قابلة للغرق.

وارتفع حاجباها في حنان، وهي تستطرد:

- ولعلني لهذا أحبك.

ثم زفرت في قوة، وهي تداعب أزرار الكمبيوتر. مستدركة:

- دون أن تشعر أنت بنبض قلبي .

وراحت تختبر الكمبيوتر الجديد في اهتمام استغرق كل حواسها، حتى إنها قد انتفضت عندما ارتفع رنين جرس الباب بغتة، وتمتمت:

- أي زائر سخيف هذا؟

اتجهت نحو الباب في سرعة، إلا أن موجة من القلق ملأت نفسها بغتة، وجعلتها تتساءل عما إذا كان من المحتمل أن يكون الطارق أحد رجال (صالح عثمان)؛ لذا فقد انحنت تتطلع عبر العين السحرية التي تتوسط الباب...

وملأتها دهشة بالغة..

كانت هناك سيدة بالغة الجمال والأناقة، في منتصف الثلاثينيات تقريبًا، تقف أمام الباب في هدوء..

وفي حيرة فتحت (غادة) الباب، وراحت تتطلع إلى تلك السيدة الفاتنة، التي ترتدي ثوبًا أنيقًا غالي الثمن، وقفازين حريريين، وتبتسم بشفتين ساحرتين، وعينين زرقاوين رائعتين، وهي تقول:

أهذا مكتب (نديم فوزي)؟

أشارت (غادة) إلى اللافتة التي تحمل اسم (نديم)، والتي تتوسط الباب، وهي تقول:

- أظنه هو حتمًا، ولكن (نديم) نفسه قد انصرف منذ قليل، و...

قاطعتها تلك الفاتنة قائلة:

- أعلم ذلك، لقد رأيته ينصرف.

لم ترقَ ابتسامتها لـ (غادة) وهي تستطرد:

- إنني أريدك أنت.

عقدت (غادة) حاجبيها، وهي تقول في دهشة:

- تريدينني أنا؟ لماذا؟

بدت ابتسامة الفاتنة أشد غموضًا، وهي تجيب:

- سأخبرك كل شيء بالتأكيد، ولكن أعتقد أنه ينبغي أن نتعارف أولاً:

واتسعت ابتسامتها وهي تضيف:

- اسمي (لوسي).

• • •

غادر (نديم) البناية التي تضم مكتبه، واتجه في هدوء إلى سيارته، التي تستقر على بعد خطوات، وقد خلا الشارع تقريبًا من المارة، ولكن رجلاً برز من خلفه فجأة، وهو يقول في صرامة:

- السيد (نديم فوزي).

التفت (نديم) إلى مصدر الصوت في هدوء، وتطلع إلى الرجال الثلاثة، الذين أحاطوا به على نحو مريب، وهو يقول:

- نعم أظنني هو .

ابتسم الرجل ابتسامة مريبة، وهو يقول:

- عظيم.

وهنا أدرك (نديم) أنه لا مجال للتردد، وأنه عليه أن يتحرك بسرعة، أو..

أو يخسر كل شيء..

وتحرك (نديم) بغتة..

وبكل قواه، لكم الرجل الواقف أمامه في فكه، وسمع صوت إحدى أسنان الرجل تتحطم، ولكنه لم يتوقف ليتأكد من ذلك، بل دار على عقبيه في سرعة، ولكم الرجل الثاني في أنفه..

وفجأة برز من مدخل البناية ثلاثة رجال آخرين، انقضوا على (نديم)، الذي وجد نفسه بغتة يواجه أربعة رجال..

وقبل أن يشتبك (نديم) مع الرجال الأربعة، شعر بضربة عنيفة على مؤخرة عنقه..

ودارت به الأرض..

وحاول أن يتشبث بشيء..

أي شيء..

ولكنه سقط..

سقط فاقد الوعي بين خصومه..

ونهض الرجل الأول، الذي فقد اثنتين من أسنانه الأمامية، وهو يقول في حنق:

- سأقتل هذا الحقير.. لقد حطم أسناني.

أوقفه رجل آخر في صرامة، وهو يقول:

- لا.. لقد طلبه (صالح) بك على قيد الحياة.

ثم ابتسم في سخرية، مستطرداً:

- إنه يفضل قتله بنفسه.

مط الرجل الأول شفتيه في سخط، وقال:

- حسناً.. دعونا نحمله إليه إذن، فأنا أتعجل موته.

وحمل الرجال (نديم) الفاقد الوعي إلى سيارة تنتظر قريباً..

وانطلقوا به إلى حيث ينتظره مصيره..

إلى حيث الموت..

• • •

ملك الجريمة

9- القتلة..

بدت (لوسي) شديدة الجمال والغموض في عين (غادة)، وهما تجلسان في مواجهة بعضهما البعض، في حجرة (غادة)، حتى إن هذه الأخيرة قد شعرت بشيء من القلق، وهي تتطلع إلى ابتسامة (لوسي)، وتلك السيجارة المشتعلة بين أصابعها، وقالت محاولة دفع أكبر قدر من الهدوء إلى صوتها:

- حسنًا يا سيدة (لوسي)، ما سر هذه الزيارة الغامضة قبيل منتصف الليل؟

أجابتها (لوسي) في هدوء، وهي تطفئ سيجارتها في بطء:

- الواقع أنني أفضل دومًا التعامل مع الرجال يا عزيزتي (غادة)، ولكنهم أخبروني أنك قوية الشكيمة، وصلبة...

قاطعتها غادة في نفاد صبر:

- وماذا؟

اتسعت ابتسامة (لوسي)، وكأنما يروق لها إثارة أعصاب محدثها، وقالت في هدوء:

- الواقع أيضًا أنني قد انتظرت انصراف السيد (نديم) ؛ لأنني أريدك وحدك، فلقد أتيت هنا لمهمة محدودة.

سألتها (غادة) في اهتمام:

- ما هي؟

وفجأة، دون سابق إنذار قفزت قدم (لوسي) تركل (غادة) في وجهها بقوة وعنف، على الرغم من صوت (لوسي) الهادئ، وهي تقول:

- قتلك.

سقطت (غادة) أرضًا، ودارت الأرض أمام عينيها، من عنف الضربة والمفاجأة، ورأت بعينين زائغتين (لوسي) وهي تنهض، وتقول بنفس ابتسامها:

- يبدو أن ذلك الأمر ليس بالصعوبة التي أوحوا لي بها.

قالتها، وركلت (غادة) في معدتها بكل القسوة والقوة، فتأوهت (غادة) في ألم، ثم دفعت جسدها جانبًا وهي تقول:

- هذا ما يبدو ظاهريًا، ولكن..

قبل أن تتم عبارتها، هوت قبضة (لوسي) على معدتها في عنف، وهذه الأخيرة تقول في سخرية:

- ولكن ماذا؟

كان تأثير المفاجأة عنيفًا بالنسبة إلى (غادة)، التي لم تتوقع أبدًا من تلك الفاتنة، كل هذه الشراسة والعنف، حتى أنها لم تستطع استعادة سيطرتها على نفسها بالسرعة المطلوبة..

ولم تكن (لوسي) لتمنحها حتى الفرصة لذلك..

لقد احتملت (غادة) آلام الضربات بالفعل، وحاولت أن تنهض..

وأن تقاتل..

ولكن (لوسي) أخرجت من حقيبتها بخاخة صغيرة، وأخفت أنفها بقفازها الحريري، وهي تضغط قمة البخاخة، وتدفع الكثير من رذاذ بارد في وجه (غادة)، قائلة:

- هيا يا عزيزتي.. استسلمي للنوم، لا أحد يقاوم (لوسي) كثيرًا.

عبر ذلك الرذاذ البارد أنف (غادة)، وتصاعد إلى رأسها في سرعة، وراح مخها يدور في فراغ جمجمتها، وخفتت الأضواء أمام عينيها، وهي تقاوم للنهوض هاتفة:

- أيتها اللعينة!

ثم انهارت مقاومتها دفعة واحدة..

وسقطت عند قدمي (لوسي)..

وفي شيء من الزهو، ابتسمت (لوسي)، وهي تعيد البخاخة إلى حقيبتها، قائلة:

- قلت لك لا أحد يمكنه أن يهزم (لوسي).

وانحنت تجذب جسد (غادة)، مستطردة:

- إنني فريدة في أسلوبي.

جذبت (غادة) حتى مطبخ المنزل، وتركتها تستلقي أرضًا، ثم اتجهت نحو ماسورة الغاز، وفتحت صمامها، وهي تقول في سخرية:

- سيبدو الأمر كما لو كان حادثًا.. مجرد فتاة نسيت إغلاق صمام الغاز.

قالتها وفتحت الموقد؛ ليتسرب الغاز، وهي تخفي أنفها بقفازها الحريري، قبل أن تستطرد:

- الوداع أيتها الشرطية السابقة.

وفي هدوء وبساطة، غادرت المكتب كله، وأغلقت الباب خلفها في إحكام..

لقد انتهت مهمتها..

ونجحت..

• • •

خيل لـ (نديم) أنه يهوي في بئر عميقة، لا قرار لها..

ويهوي..

ثم راحت سرعة السقوط تنخفض..

واستيقظ عقله دفعة واحدة..

وفي بطء فتح عينيه، وهو يشعر بصداع رهيب، وطالعه مشهد السماء بنجومها المتلألئة، فتمتم تلقائيا:

- أين أنا؟

رأى وجهًا يميل نحوه، ويقول في سخرية:

- أنت هنا على سطح مبنى (صالح) بك.

ميز (نديم) وجه (عزت)، وأدار عينيه قليلاً فتوقفتا عند الهليوكوبتر الخاصة، التي تحمل شعار شركات (صالح عثمان)، وفاجأه صوت هذا الأخير وهو يقول:

- إذن فأنت هو (العقرب).

على الرغم من ذهنه شبه المشوش،غمغم (نديم):

- أي عقرب؟

تطلع (صالح) إلى (عزت) في شيء من الشك قبل أن يقول في صرامة:

- لا تحاول الإنكار.. كلنا نعلم أنك ذلك المتحذلق، الذي يطلق على نفسه اسم (العقرب) والذي يحطم مكاتب الناس بكل صفاقة ويترك خلفه بطاقته السخيفة.

أغلق (نديم) عينيه في قوة وكأنما يحاول التغلب على الصراع العنيف الذي يكتنف رأسه، وغمغم:

- إنني مجرد محامٍ.

قال (صالح) في ضيق:

- لست هنا للاستجواب والمناقشة.. لقد أصدرت الحكم بالفعل.

شعر (نديم) بـ (عزت) يكشف ذراعه، ويدفع فيه إبرة محقن ما، فغمغم:

- ما هذا؟

أجابه (صالح):

- إنه عقار خاص، سيجعلك في حالة شبه غيبوبة، بحيث تعجز عن القتال، وإن كنت ستشعر بكل ما حولك.

ثم أشار إلى الهليوكوبتر مستطردًا:

- هل ترى هذه الهليوكوبتر الأنيقة، الفريدة من نوعها في (مصر)؟ إنها هليوكوبتر خاصة، من النادر أن يحصل عليها رجل أعمال هنا، ولكنني حصلت عليها بتصريح خاص، اعتمادًا على انتشار مشروعاتي العقارية على نحو كبير، وبعض هذه المشروعات يقبع في قلب الصحراء، حيث ستحملك الهليوكوبتر بعد قليل.

وأشعل سيجاره الفاخر وهو يتابع في سخرية:

- ولن تحملك الهليوكوبتر إلى موقع المشروع بالطبع، فهناك الكثير من العمال، الذي سيريبهم الأمر.

واتسعت ابتسامته، وهو ينفث دخان سيجاره، مردفًا:

- إنهم سيلقونك في الصحراء.

توترت أعصاب (نديم)، ولكنه شعر بتراخ في عضلاته، يمنعه من المقاومة، وهو يتمتم:

- لماذا؟

هز (صالح) كتفيه، ونفث دخان سيجاره، وهو يجيب:

- الواقع أنني رجل أكره المشاكل، وأميل دومًا إلى التخلص من كل ما يسبب لي الأرق والقلق.

وانعقد حاجباه، وهو يضيف في حزم:

- وأنت تسبب لي هذا.

وارتسمت ابتسامة ثعلبية على شفتي (عزت)، في حين برز رجلان من رجال (صالح) وحملا (نديم) إلى الهليوكوبتر، وأجلسا جسده المتراخي على المقعد المجاور لمقعد الطيار، وثبتاه بحزام المقعد في قوة، و(صالح) يضيف مبتسمًا:

- رحلة سعيدة يا سيد (نديم).. اطمئن.. لقد أمرت طيار الهليوكوبتر بإلقائك من ارتفاع كبير، وسيتكفل ارتطامك بالأرض بالباقي.

غمغم (نديم) في غضب:

- أيها الوغد.

أطلق (صالح) ضحكة ساخرة، وهو يقول:

- وغد؟ يا له من لقب!

ثم التفت إلى شاب قوي البنية، واستطرد:

- هيا.. أريد أن ينتهي الأمر قبل أن تنطلق طائرتي إلى (باريس).

أومأ الشاب برأسه إيجابًا، وقال:

- سيحدث هذا بالتأكيد يا سيدي.

واتجه إلى الهليوكوبتر وأدار محركها، و(صالح) يكرر في سخرية:

- الوداع أيها (العقرب).

وارتفعت الهليوكوبتر بـ (نديم)، وانطلقت به إلى الصحراء....

إلى حيث ينتظره الموت...

• • •

ملك الجريمة

10- ابتسامة الموت..

أزاح العقيد (مجدي) منظاره المقرب عن عينيه، وغمغم في حنق، وهو ينفث دخان سيجارته:

- لقد أخطأنا حتمًا.. كان ينبغي أن نراقب مكتب (نديم) من الجانب الآخر، حيث باب البناية، فمن هذه الزاوية لن ننتبه أبدًا إلى مغادرته مكتبه، مادامت الأنوار مضاءة هكذا.

قال الرائد (حسن)، الذي يجلس على مقربة منه:

- أنت قلت إنه لا ينبغي أن نفعل يا سيدي ؛ لأننا لم نفلح في هذا، في المرة السابقة.

عقد (مجدي) حاجبيه، وقال في حدة:

- كنت مخطئًا.

ثم أضاف وهو يلوح بكفه في توتر:

- إنك لا تفهم (نديم) هذا كما أفهمه أنا.. لقد أطلق على نفسه اسم (العقرب)، ولكنه يستحق في الواقع لقب (الثعلب)، أو(لوح الثلج) : فهو ماكر شديد الدهاء كالأول، بارد جامد كالثاني، ولقد خدعني في مرة سابقة، عندما كشف أنني أراقبه بمنظاري المقرب، من بناية تواجه مكتبه عبر الشارع؛ لذا فلقد تصورت أن مراقبتي له من هنا، من ذلك الشارع الجانبي ستخدعه، وستمنحنا مشهدًا جانبيًا واضحًا لحجرة مكتبه، وحجرة مكتب (غادة)، وكنا سنعلم بلحظة انصرافهما حتمًا، عندما تنطفئ الأنوار ولكن....

انتزع بقايا سيجارته من بين شفتيه، وألقاها أرضًا وداسها بقدمه في عنف قبل أن يستطرد:

- ربما خدعنا الثعلب بترك الأنوار مضاءة؛ ليتسلل خارجًا، ويلعب دور (العقرب).

تمتم (حسن) في تردد:

- لا يوجد دليل واحد على كونه (العقرب).

صاح (مجدي):

- دع آراءك لنفسك.

والتقط سترته، وراح يرتديها في عصبية، وهو يستطرد:

- سأثبت لك أنه وغد مخادع.. سنذهب معًا إلى تلك البناية المقابلة، ونصعد إلى مكتب (نديم)، وأراهنك أننا لن نجد أحدًا هنالك، على الرغم من الأنوار.. هيا بنا.

التقط (حسن) سترته بدوره، وتبعه في استسلام إلى مكتب (نديم)، وما أن صعد الاثنان إلى المكتب، حتى أشار (مجدي) إلى اللافتة الأنيقة، التي تحمل اسم (نديم)، وقال وهو يدس

سيجارة جديدة بين شفتيه:

- انظر كيف يتأنق ذلك الوغد.

ورفع قداحته إلى السيجارة، واتجه إصبعه إلى زر إشعالها..

والغاز يملأ المكان..

ويتأهب للاشتعال..

والانفجار..

• • •

انطلقت الهليوكوبتر التي تحمل شعار شركات (صالح عثمان)، في طريقها إلى الصحراء، وبداخلها قائدها، و(نديم) الذي يعاني حالة، لا هي باليقظة ولا هي بالغيبوبة.. كان يشعر بكل ما حوله، ولكن عضلاته كلها كانت تعاني استرخاء عجيبًا، جعل مقاومته شبه متلاشية، وإن لم يلغ تفكيره المنظم..

كان يعلم أنه في طريقه إلى حتفه، وأن قائد الهليوكوبتر ينتظر وصولها إلى قلب الصحراء؛ ليدفعه خارجها، ويلقي به من حالق..

وحاول أن يقاوم..

بذل أقصى جهده ليفعل..

ولكن هيهات..

كانت عضلاته مرتخية بشدة..

وأنفاسه ثقيلة بطيئة..

والهليوكوبتر تنطّلق..

وبابتسامة خبيثة ساخرة شامتة، قال قائد الهليوكوبتر:

- أنت خائف.. أليس كذلك؟

لم ينبس (نديم) ببنت شفة..

لم يشعر حتى بالرغبة في ذلك..

اتسعت ابتسامة الطيار، وهو يتابع:

- كان ينبغي أن تفكر في هذا الموقف عندما قررت أن تتحدى (صالح عثمان) بنفسه.

أدار (نديم) كرتي عينيه ناحية الطيار، وود لو استعاد قدرته على التحكم في عضلاته؛

ليلكمه في أنفه، أو ليحطم أسنانه، ويخرس كلماته القميئة، ولكن الطيار تابع:

- كان ينبغي أن تعلم أن (صالح عثمان) هو أقوى رجل في البلاد، في هذه الآونة بالذات، وأن..

قاطعه أزيز الاتصال اللاسلكي، قبل أن ينبعث منه صوت عزت، مدير مكتب (صالح)، وهو يقول:

- هل أتممت المهمة؟

ابتسم الطيار، وضغط زر الإرسال، مجيباً:

- ليس بعد.

أتاه صوت (عزت) متوترًا، يقول:

- وماذا تنتظر؟

قال الطيار بثقة:

- أن نبلغ بقعة مناسبة.

قال (عزت) في حدة:

- لا تنتظر.. ستقلع طائرة الرئيس بعد قليل، وهو يريد التأكد من نجاح المهمة، قبل أن تقلع الطائرة.

قال الطيار في حزم:

- أبلغه أنها قد تمت بنجاح.

ثم أنهى الاتصال، والتفت إلى (نديم)، قائلاً:

- لقد سمعت بنفسك.. إنهم يتعجلون النتائج.. وداعًا أيها البائس.

وبضغطة زر، فتح باب الهليوكوبتر المجاور لـ (نديم)، ثم دفعه بيده قائلاً في سخرية:

- هيا.. مت.

• • •

ملك الجريمة

11- في اللحظة الأخيرة..

فجأة، قفزت يد الرائد (حسن) تمسك قداحة العقيد (مجدي)، قبيل نصف ثانية من اشتعالها، على نحو جعل (مجدي) يجفل في شدة، ويهتف في حنق غاضب:

- كيف تجرؤ أيها الرائد.

هتف به (حسن):

- الغاز يا سيدي.. ألا تشم رائحة الغاز؟

خفض (مجدي) قداحته، وعقد حاجبيه متمتمًا:

- الغاز؟! هذا صحيح.. كيف لم أنتبه إلى رائحته المميزة.

ثم هتف بغتة، وكأنما استيقظ جزء من عقله على حين غرة:

- يا إلهي! الغاز.

وأشار إلى الباب، مستطردًا في توتر:

- حطم هذا الباب يا (حسن).. أسرع.. ولا تستخدم مسدسك وإلا انفجر المكان كله.. هيا.. ادفع الباب بكتفك.

واشترك كتفاهما في ضربة قوية للباب، انكسر لها رتاجه، فاندفعا معًا إلى الداخل، ومجدي يهتف:

- سارع بفتح النوافذ.. أراهنك أنها محاولة قتل.

أسرع (حسن) يفتح النوافذ، في حين اندفع مجدي نحو المطبخ، وهو يخفي أنفه بكفه، وتجاوز جسد (غادة)، الفاقدة الوعي أرضًا، وقفز نحو صمام الغاز، وأغلقه في إحكام، ثم راح يفتح نافذة المطبخ، هاتفًا:

- إنها محاولة قتل ولا شك.

وفي نفس اللحظة اقتحم حسن المطبخ، وهو يقول في انفعال:

- لقد فتحت النوافذ كلها، ولكن لا أثر لـ (نديم)..

ولم يكد بصره يقع على (غادة)، حتى استطرد في جزع:

- يا إلهي.. هل لقيت مصرعها؟

أجابه (مجدي)، وهو يلصق أذنه بصدر (غادة):

- لا.. ليس بعد، ولكنها استنشقت كمية كبيرة من هذا الغاز القاتل.. ومن الضروري أن نسارع بنقلها إلى أقرب مركز إسعاف.

أسرع (حسن) إلى الهاتف؛ لاستدعاء سيارة إسعاف، في حين نهض (مجدي) يتأمل

المكان مرة أخرى، قبل أن يهز رأسه، مغمغمًا:

- نعم.. هي محاولة قتل..

• • •

هناك لحظة تختل فيها كل الموازين..

وكل الحقائق..

لحظة يتجاوز فيها الجسد البشري - علميًا وعمليًا- قدراته التي اجتمع عليها العلماء..

إنها لحظة الخطر..

تلك اللحظة التي تهب فيها كل خلايا الجسد للدفاع عن نفسها..

وتبرز فيها غريزة البقاء..

في تلك اللحظة، وعندما يتعرض الجسم لخطر الموت والفناء، تنشط الغدة فوق الكلوية بغتة، وتدفع في مجرى الدم كمية إضافية من مادة (الأدرينالين)..

و(الأدرينالين) هذا يرفع ضغط الدم، ويؤدي إلى انقباض الشرايين، وزيادة عدد النبضات، و..

وينشط القشرة المخية أيضًا..

ويوقظها..

وفي اللحظة التي دفع فيها قائد الهليوكوبتر يده، ليلقي جسد (نديم) من حالق، امتلأت عروق هذا الأخير بمادة (الأدرينالين)، واستيقظت فيه غريزة البقاء..

بل بلغت ذروتها..

وبحركة باغتت الطيار، تراجع (نديم) بجسده، وهو يهتف:

- لا..

اختل توازن الطيار، وارتبك، وهتف:

- أيها اللعين.

وبذل (نديم) جهدًا خارقًا ليركز أفكاره، وهو يقول في وهن:

- بل أنت الوغد اللعين.

ودفع يده إلى حيث مسدس الطيار، الذي يبرز من طرف سترته، وجذب المسدس من غمده، المثبت أسفل أبط الطيار، ودفع فوهته في وجه هذا الأخير، وهو يستعيد توازنه، فارتفع حاجبا الطيار في دهشة، وغمغم محنقًا:

- أيها الثعلب.

قال (نديم) في لهجة، حاول أن يدفع فيها كل صرامته، وهو يقاوم ذلك الوهن، الذي يسري في عروقه:

- سأطلق عليك النار، لو حاولت دفعي ثانية.

عقد الطيار حاجبيه في شدة، واعتدل جالسًا في مقعده، وأمسك عصا القيادة في قوة؛ ليعيد إلى الهليوكوبتر توازنها، وهو يقول في حدة:

- لن تجرؤ على قتلي، ونحن نحلق على هذا الارتفاع، فأنت تجهل قيادة الهليوكوبتر، وسنلقى مصرعنا معًا، لو قتلتني.

غمغم (نديم) :

- وهل يصنع هذا فارقًا بالنسبة لي؟

تمتم الطيار في لهجة أقرب إلى السخرية:

- لا.

ثم أضاف، وهو يرقب أصابع (نديم) الواهنة، وجفنيه اللذين يقاومان التهالك في صعوبة:

- ولكنك لن تقاوم طويلاً.. لن تلبث أصابعك أن تعجز عن حمل هذا المسدّس الثقيل، فيسقط من بينها.

قال (نديم) في صعوبة:

- سيكون لدي ما يكفي من الوقت لإطلاق رصاصة واحدة، على رأسك..

مط الطيار شفتيه وقال:

- ربما..

أجابه (نديم)، بكل ما أمكنه من حزم:

- اتصل بذلك الوغد (عزت).

سأله الطيار في برود:

- ولماذا أفعل؟

قال (نديم):

- لتخبره أنك تخلصت مني بالفعل.

ابتسم الطيار في استهتار، وقال:

- لا بأس.. ستكون مجرد إشارة سابقة للفعل.

وضغط زر الاتصال، وهو يقول:

- تمت المهمة بنجاح.

أتاه صوت (عزت)، يسأله في لهفة:

- هل ألقيته من الهليوكوبتر؟

أجابه الطيار في هدوء:

- لقد انتهى أمره تمامًا.

هتف صوت (عزت) في ارتياح:

- رائع.. لقد سافر الرئيس بالفعل.. عد على الفور.

أجابه الطيار، وهو ينهي الاتصال:

- أنا في طريق العودة.

ولم يكد يضغط زر إنهاء الاتصال، حتى مال بالهليوكوبتر جانبًا في حدة، وهو يهتف ساخرًا:

- وسأعود وحدي.

مالت الهليوكوبتر في عنف، واختل توازن (نديم)، وارتطم بجانب باب الهليوكوبتر، وسقط المسدس من يده، والطيار يهتف:

- أرأيت أيها الساذج.. إنك لن تحتمل طويلاً.

شعر (نديم) بجسده يترنح، وأدرك أن هذا الطيار القاتل لن يرحمه، ولن يمنحه فرصة واحدة للنجاة..

ولكن أصابع (نديم) تشبثت بسترة الطيار في قوة، وهو يقول في وهن:

- لن أسقط وحدي.

راح الطيار يدفعه في قوة، هاتفًا:

- اتركني أيها التافه.. العقار الذي تناولته لن يمنحك القدرة على المقاومة.

ثم مال يلتقط المسدس، ورفع فوهته في وجه (نديم)، مستطردا في حدة:

- وسينتهي أمرك برصاصة واحدة.

وأطلق النار..

• • •

ملك الجريمة

12- فرصـــة..

اعتدل طبيب مركز الإسعاف، بعد أن انتهى من توقيع الكشف الطبي على (غادة)، وهز رأسه قائلاً:

- لقد نجت بأعجوبة.. كانت قد استنشقت كمية كبيرة من الغاز، ولكنكما أنقذتماها في الوقت المناسب، ولقد أجرينا نحن لها تنفسًا اصطناعيًا، باستخدام الأكسجين المخلوط بخمسة في المائة من ثاني أكسيد الكربون، وتحت ضغط يعادل ضعف الضغط الجوي تقريبًا وهذا ما أنقذ حياتها، بعد عناية الله (سبحانه وتعالى) بالطبع.

سأله (مجدي) في اهتمام بالغ:

- أهي محاولة قتل؟

ابتسم الطبيب وهز رأسه قائلاً:

- وكيف لي أن أجزم بذلك؟ ربما كانت محاولة انتحار.. أو حتى مجرد حادث عرضي.

أشار (مجدي) إلى كدمة صغيرة في وجه (غادة)، وقال:

- وماذا عن هذه؟

تأمل الطبيب الكدمة، وقال:

- لست أدري.. ربما نشأت من السقوط أرضًا، عند فقدان الوعي.. على أية حال، إنها مهمة الطبيب الشرعي وحده.

مط مجدي شفتيه، وقال:

- لست أظن أننا سنبلغ هذه النقطة.

ومضت لحظة، وهو يفكر في صمت، ثم سأل الطبيب في اهتمام:

- ومتى تستعيد وعيها؟

هز الطبيب كتفيه، وقال:

- لا يمكنني التحديد بمنتهى الدقة، ولكنني أظنها ستستعيد وعيها بعد ساعتين أو ثلاث على الأكثر.

أدهشه أن ابتسم (مجدي) وهو يقول:

عظيم

[illegible] أكبر أن اندفع (مجدي) خارجًا كقذيفة مدفع، فغمغم في حيرة:

[illegible] لن أفهم رجال الشرطة هؤلاء أبدًا.

[illegible] اهتمامه لمريضته فاقدة الوعي..

أما (مجدي)، فقد أسرع إلى حيث ينتظره (حسن) خارج حجرة الكشف الطبي، ووضع يده على كتف هذا الأخير، وهو يقول في حماس:

- إنها فرصتنا.. (نديم) غير موجود، و(غادة) فاقدة الوعي، ولقد اقتحمنا المكتب لإنقاذها، ويمكنك الآن استصدار أمر عاجل بتفتيش مكتب (نديم)، بحجة الشك في كون الحادث محاولة قتل، وأريد منك، بناء على أمر التفتيش هذا، أن تفتش كل شبر في مكتب (نديم)، عسى أن تجد ما يثبت كونه (العقرب).. بطاقات تحمل رسم العقرب الذهبي، أو قناع أسود، أو أي شيء آخر.. هيا.. انطلق الآن.

والتمعت عيناه ببريق شره، وهو يردف:

- إنها فرصتنا الذهبية.



لم تكد فوهة المسدس ترتفع في وجه (نديم)، حتى عادت غريزة البقاء تدفع الغدة فوق الكلوية لإفراز مزيد من الأدرينالين، الذي جعل (نديم) يضرب عصا القيادة بقدمه، هاتفا:

- لم تنته المعركة بعد.

اختل توازن الطيار في شدة، وانطلقت رصاصة تتجاوز رأس (نديم)، وتخترق سطح الهليوكوبتر، التي مالت في عنف، واتجهت إلى أسفل في سرعة، وصرخ الطيار:

- أيها الغبي.. إنك ستقتلنا معًا.

قال (نديم)، وهو يدفع جسده في صعوبة؛ ليتشبث بجسد الطيار:

- أليس هذا أفضل من أن ألقى حتفي وحدي؟

دفعه الطيار جانبًا في قوة، وحاول استعادة سيطرته على الهليوكوبتر، وهو يهتف:

- ابتعد يا رجل.. إننا نسقط.. ألا تفهم؟

ولكن الهليوكوبتر كانت قد مالت في شدة، واقتربت من التلال المطلة على البحر الأحمر، على نحو خطر، وصرخ الطيار:

- إننا نهوي.

لم يكد يتم عبارته، حتى ارتطمت مروحة الهليوكوبتر بقمة أحد التلال، وانكسرت بدوي عنيف، وتطايرت في شدة، وهوت الهليوكوبتر كجلمود صخر، والطيار يصرخ:

- إننا نسقط.

وارتطمت الهليوكوبتر بالأرض في عنف..

واخترقت عصا القيادة صدر الطيار..

واندفع جسد (نديم) عبر الباب المفتوح..

ثم تدحرجت الهليوكوبتر على الأرض المنحدرة، وصوت الطيار ينبعث من داخلها محملا بحشرجة الموت:

- إنني أموت.. اللعنة!! إنني أموت!!

وشعر (نديم) بآلام في صدره وضلوعه، وخيل إليه أنه يفقد وعيه، وصوت الطيار يأتيه من بعيد، والهليوكوبتر تتدحرج مبتعدة في سرعة..

ثم دوى الانفجار..

انفجرت الهليوكوبتر..

ولمح (نديم) وهج الانفجار، ثم تراخى جسده..

وفقد الوعي..

وعلى ضوء النيران المشتعلة، برز عقرب أسود قاتل من شق بين الصخور، وراح يزحف مبتعدًا عن النيران..

وبلغ جسد (نديم) الفاقد الوعي..

وكانت المواجهة بينهما..

بين عقربين..

• • •

ملك الجريمة

13- صفقة الموت..

لم يكد (صالح عثمان) يغادر مطار (أورلي) في (باريس)، حتى استقبله رجل فارع الطول، متين البنيان، انحنى أمامه في احترام، وهو يقول:

- مسيو(صالح).. مرحبًا بك في (باريس).

ناوله (صالح) حقيبته، كمن اعتاد هذا الاستقبال، وقال في لهجة رجل أعمال عجول:

- هل تحدد موعد المقابلة؟

انحنى الرجل مرة أخرى، وهو يقول:

- نعم يا مسيو(صالح).

سأله (صالح)، وهو يتجه نحو سيارة فاخرة، تنتظر أمام المطار مباشرة:

- متى؟

فتح له الرجل باب السيارة الخلفي، وابتسم ابتسامة غامضة، وهو يقول:

- الآن يا مسيو (صالح).

كاد (صالح) يسأله عما يعنيه بكلمة الآن، لولا أن وقع بصره على وجه ذلك الكهل الأشيب، الذي يجلس داخل السيارة، وهو يشعل سيجارًا ضخمًا في هدوء ورصانة، فهتف:

- مستر (ماك)؟! أنت هنا؟!

قال الأشيب في برود، دون أن يدير عينيه إلى (صالح):

- ادخل وأغلق الباب.

أسرع (صالح) يدلف إلى السيارة، وهو يتطلع إلى (ماك) في مزيج من الدهشة والرهبة، في حين أشار (ماك) إلى الرجل فارع الطول، الذي انتقل ليحتل مقعد القيادة في السيارة:

- إنه اجتماع مغلق يا (فرناند).

أومأ (فرناند) برأسه إيجابًا، وهو يبتسم نفس الابتسامة الغامضة، وضغط زرًا أمامه، فانسدلت أستار سوداء على نوافذ السيارة كلها، فيما عدا الزجاج الأمامي لها، وهبط حاجز أسود مزدوج، يفصل المقعد الخلفي، حيث يجلس (صالح) و(ماك)، عن مقعد القيادة الأمامي، فازدرد (صالح) لعابه، وهو يتمتم:

- هل سنتحدث هنا؟

أجابه (ماك) في برود:

- إنه أكثر الأماكن أمنًا.

وأشعل مصباحًا في سقف السيارة، ثم فتح بابًا جانبيًا لثلاجة صغيرة، وهو يستطرد:

- هل تتناول شيئا من الخمر؟

ازدرد (صالح) لعابه مرة أخرى، وهو يجيب:

- ليس الآن.

قال (ماك):

- كما يحلو لك.

ونفث دخان سيجاره في صمت، وكأنما ينتظر من (صالح) بدء الحديث، فقال هذا الأخير في خفوت:

- لقد أتيت بشأن صفقة الحرب.

ابتسم (ماك) ابتسامة باهتة، وهو يقول:

- أظنها صفقة عمرك يا رجل.. أليس كذلك؟

تمتم (صالح):

- بلى، فلم أربح أبدًا مليارين من الدولارات دفعة واحدة.. إنها ميزانية دولة صغيرة، ولكن..

عقد (ماك) حاجبيه، قائلاً:

- ولكن ماذا؟

تردد (صالح) لحظة، وقال:

- الحرب.. أعني كل ما تجره الحرب من ويلات و..

قاطعه (ماك) في صرامة:

- الحرب لا تجر لأمثالنا إلا النقود والثراء، وكلما اشتد لهيبها ازددنا نحن ثراء.. هذا كل ما أعرفه عن الحروب..

ازدرد (صالح) لعابه، وغمغم:

- بالطبع.. فلتشتعل الحرب بين مصر وإسرائيل إذن، مادمنا سنربح منها الملايين.

ابتسم (ماك) وقال:

- بل المليارات.

ونفث دخان سيجاره مرة أخرى، وهو يضيف:

- ثم إننا لا نفعل أكثر من أن نعجل بفعل ما كان سيحدث حتمًا، فأنت لا تعرف اليهود كما أعرفهم. إنهم.. إنهم لم يحترموا معاهدة قط في تاريخهم كله، ومن المحتم أنهم كانوا

سيخرقون معاهدة السلام هذه إن عاجلاً أو آجلاً. أليس كذلك؟

غمغم (صالح):

- ربما.

ثم تنحنح ليستعيد صوته الصارم، وهو يقول:

- والآن هل نوقع العقد؟

ابتسم (ماك)، وقال:

- بالتأكيد، لأنك ستعود إلى القاهرة في الطائرة القادمة، بعد ساعة واحدة.

هتف (صالح) في دهشة:

- ماذا؟ ولكن هذا سيثير الكثير من الشكوك، و..

قاطعه (ماك) في حزم:

- لقد صرت أكبر من أن تحيط بك الشكوك يا (صالح)، ومهمتنا هذه المرة ضخمة وعاجلة، وعليك أن تبدأ في إعداد الرجال، الذين سيشعلون فتيل الحرب، باقتحام الحدود المصرية الإسرائيلية.. وعليك أيضًا أن تلتقي بمندوبنا الجديد (دارك).

قال (صالح):

- (دارك)، وماذا عن...؟

قاطعه (ماك) بنفس الحزم:

- (دارك) هو همزة الوصل الجديدة بيننا وبينك، منذ هذه اللحظة.. إننا نبدأ عهدًا جديدًا، وكل عهد جديد يحتاج إلى رجال جدد.

تمتم (صالح):

- بالتأكيد.

أطفأ (ماك) سيجاره، وهو يقول:

- حسنًا.. هيا.. اذهب؛ لتلحق بطائرة القاهرة.

غادر (صالح) السيارة، التي لم تتحرك قيد أنملة منذ دلف إليها، وقال في توتر:

- وماذا عن العقد؟

ابتسم (ماك) في سخرية، وهو يقول:

- أي عقد يا رجل؟! وهل تصلح العقود لمثل هذه الصفقات؟

امتقع وجه (صالح) إزاء هذه العبارة الأخيرة، ورأى (فرناند) يحني أمامه بنفس الابتسامة الغامضة، وهو يعيد إليه حقيبته، فالتقطها في حدة، وهو يقول في عصبية:

- إلى لقاء آخر يا مستر (ماك).

لوح (ماك) بكفه في برود، قبل أن يغلق (فرناند) الباب، ويلتفت إلى (صالح) قائلاً بنفس الابتسامة الغامضة، وهو يمد يده إليه بتذكرة طائرة:

- إلى اللقاء يا مسيو (صالح).

رمقه (صالح) بنظرة محنقة، وانتزع التذكرة من يده، وعاد أدراجه إلى المطار، في حين اتجه (فرناند) في هدوء إلى مقعد القيادة، وسأل (ماك):

- هل سننتظر يا سيدي؟

تنهد (ماك)، وقال:

- بالطبع يا عزيزي (فرناند)، فلقد انتهى عملنا مع عميلنا المصري، وبقي أن نتم العمل مع عميلنا الإسرائيلي، الذي سيصل بعد قليل.

وزفر مرة أخرى في عمق، قبل أن يضيف:

- آه يا عزيزي (فرناند).. إن لعبة إشعال الحروب هذه مرهقة بحق.

اتسعت ابتسامة (فرناند) الغامضة، وهو يقول:

- بالطبع يا سيدي.. بالطبع.

وكانت ابتسامته مقيته..

ومخيفة..

• • •

ملك الجريمة

14- النجــاة..

لم تطل غيبوبة (نديم) طويلاً..

لقد عاون ذلك المجهود الذي بذله، وهو يدافع عن حياته، على ازدياد سرعة دوران الدم في دورته الدموية، وسرعة تخلص جسده من ذلك العقار، الذي كان يسلبه قدرته على التركيز، وقدرة عضلاته على العمل..

وعندما استعاد (نديم) وعيه، لم تكن الشمس قد أشرقت بعد، وكان هو يرقد على فراش نظيف، داخل حجرة أنيقة بسيطة، جعلته يغمغم في حيرة:

- أين أنا؟

أطلت عليه عدة وجوه باسمة، تحمل الكثير من الارتياح، وقال أحدهم في اهتمام:

- حمداً لله على سلامتك.. أنت هنا في شركة التنقيب عن البترول (صالكو).

انقبضت عضلاته لدى سماعه الاسم؛ فشركة (صالكو) هي إحدى الشركات التابعة لـ (صالح عثمان)، ولكن شيئاً ما في الوجوه الباسمة جعل عضلاته ترتخي مرة أخرى، وهو يسأل:

- ماذا حدث؟

أجابه أحد الرجال:

- يبدو أنك كنت تستقل إحدى طائراتنا، فلقد دوى انفجار جعلنا نهرع إلى موضعه، فوجدنا هليوكوبتر مشتعلة، تحمل شعار شركاتنا، ووجدناك على قيد أمتار عديدة منها، فاقد الوعي.

هتف رجل آخر:

- لقد تجمدت دمائي عندما رأيتك..لقد كنت فاقد الوعي، ساكن الحركة تماماً، وكان هناك عقرب أسود قاتل فوق جسدك، حتى لقد خلت أنه قتلك.

قال (نديم) في هدوء:

- العقرب لا يقتل أو يهاجم جسداً ساكناً يا رجل.. إنه — كمعظم بني جنسه من الحشرات — لا يهاجم إلا لدى شعوره بالخطر؛ لأن هجومه هو نوع من الدفاع عن النفس فحسب.

قال أحد الرجال ضاحكاً:

- يبدو أنك تعلم الكثير عن العقارب..

ابتسم (نديم) ابتسامة غامضة، وهو يقول:

- أكثر مما تتصور.

ونهض من فراشه، على الرغم من الآلام التي تملأ جسده، وهو يقول:

- هل يمكنني العودة إلى القاهرة؟

هتف أحد الرجال في دهشة:

- الآن؟! ولكنك تحتاج إلى بعض الراحة.

قال (نديم) في حزم:

- لابد لي من العودة بأقصى سرعة، فلديَّ مهمة عاجلة في القاهرة.

ربت رجل آخر على كتفه، قائلاً:

- اطمئن.. لقد أبلغنا المقر الرئيسي لاسلكيًا بما حدث.

قال:

- هذا يجعل عودتي أكثر ضرورة.

هزوا رءوسهم في حيرة، ثم قال رئيسهم:

- كما يحلو لك.. سنرسل معك سيارة خاصة، تنقلك على الفور إلى القاهرة، وستبلغها في منتصف النهار بإذن الله..

بدا شديد الغموض، وهو يقول:

- هذا رائع.. شكرًا لكم.. أراهن أن رئيسكم (صالح عثمان) سيمنحكم مكافأة كبيرة لإنقاذكم حياتي.. مرة أخرى شكرًا لكم.

قال رجل في قلق:

- ولكن السيد (عزت) قال إنه سيرسل بعض الرجال لاصطحابك.

قال (نديم) في هدوء:

- أخبره أنني لا أحتاج إليهم، وأنني سأذهب إليه بنفسي، وسيسعده هذا.

وعلى الرغم من أنه لم يبتسم، فقد خيل للجميع أن عينيه قد أطلقتا ضحكة مجلجلة، وهو يكرر:

- سيسعده كثيرًا.

• • •

انعقد حاجبا (مجدي) في شدة، وهو يصرخ في وجه (حسن) في غضب:

- ماذا تعني بأنك لم تجد شيئًا؟ من المحتم أن يكون هناك دليل في مكان ما.. أي دليل

يدين (نديم فوزي)، ويثبت أنه (العقرب).

هز (حسن) كتفيه، وقال في ضيق:

- ولكنني لم أجد شيئًا يا سيدي.. وها هو ذا المكتب كله أمامك.. لقد فتشنا معًا كل شبر فيه، ولم نعثر على دليل واحد.. كلها أوراق قضايا عادية.

ضرب (مجدي) قبضته في راحته الأخرى، وهو يقول في حنق:

- أنا المخطئ.. لقد كان الدليل في يدي يومًا، ولكنني أضعته.

ولوح بكفه مستطردًا:

- تصور.. لقد عثرت يوما على رجال مقيدين بالحبال هنا، واعترفوا جميعا أن (العقرب) أتى بهم إلى هذا المكتب، وكان هذا يكفي لإدانة (نديم فوزي)، ولكن..

سأله (حسن) في دهشة:

- ولكن ماذا؟ لماذا لم تستغل هذا؟

قال (مجدي) في مرارة:

- لم أتخذ الإجراءات القانونية.. كان ينبغي أن أتركهم مقيدين هنا، حتى يتم إثبات الحالة قانونيًا، وبعدها أطلق سراحهم، ولكن السيد وزير الداخلية فاجأني - حينذاك - بأنهم غير مجرمين، وكنت أنا من شدة لهفتي قد أطلقت سراحهم، و..

زفر في حنق، مستطردًا:

- وتعقدت الأمور، وتاهت مع إلقاء القبض على (نعمان والي).

ارتفع صوت (غادة) الغاضب فجأة، وهي تقول:

- ومع حقدك الشديد على (نديم).

التفت الاثنان إليها في دهشة، وهتف (مجدي):

- هل استعدت وعيك؟

أجابته في غضب:

- نعم.. وما أن أخبرني الطبيب أنكما تركتماني وغادرتما المكان على عجلة، حتى أدركت ما ستفعلانه، وهرعت إلى هنا.

ولوحت بكفها مستطردة:

- لقد قلبتما المكتب رأسًا على عقب.

قال (مجدي) في حدة:

- أهذه مكافأة إنقاذنا لحياتك؟

أشارت إلى محتويات المكتب المبعثرة، هاتفة:

- وهل هذا ثمنها؟

اندفعت في غضب تعيد الملفات والأوراق إلى مواضعها، في حين أشعل (مجدي) سيجارته في عصبية، وهو يقول:

- حسنًا.. أعلم أنك من النوع الجاحد، الذى لا يعترف بالجميل لأحد، حتى ولو كان هذا الجميل هو إنقاذ حياتك، ولكن وجودنا هنا أمر رسمي، ومعنا إذن من النيابة بتفتيش المكان.

قالت في سخرية:

- أأصفق مبهورة؟ أم أسقط فاقدة الوعي مرة أخرى من شدة الإعجاب؟

عقد حاجبيه في شدة، وهو يقول:

- لا هذا ولا ذاك.. فقط أريد معرفة ما حدث.. من حاول قتلك؟

اعتدلت تحدق في وجهه صامتة، قبل أن تجيب في هدوء:

- ومن أوحى إليك بأنها محاولة قتل؟

أشار إلى وجهها، قائلاً:

- هذه الكدمة في ذقنك.

ابتسمت في سخرية، وهي تقول:

- إنها إصابة عمل.

قال في حدة:

- يمكنني اعتبارها محاولة انتحار، وأنت تعلمين أنها جريمة.

قالت ساخرة:

- المهم أن تثبت ذلك، فسأقول: إنها مجرد حادث عارض.

قال وهو يتفرس في ملامحها في حدة:

- هكذا؟

ثم أشار إلى (حسن)، وقال وهو يتجه معه إلى الخارج:

- لا بأس.. لن أهزم محامية بارعة مثلك، ولكن تذكري دومًا أنه لولاي لكنت الآن جثة هامدة.

قالت في هدوء:

- لن أنسى هذا أبدًا.

ثم سألته بغتة في اهتمام:

- ولكن لماذا لم تبلغ (نديم) بما حدث؟

أجابها في عصبية:

- وأين هو (نديم) ؟ لقد بحثنا عنه، فلم نعثر له على أثر... أراهنك أنه يلعب دور (زورو) في مكان ما.

تطلعت إلى ساعة معصمها، وهي تقول في توتر وقلق:

- ولكنها السابعة صباحًا.. أين يمكن أن يذهب الآن؟ أين؟

لم تكن تعلم أن (نديم)، في هذه اللحظة بالذات، كان يجلس في واحدة من سيارات الجيب، التي تحمل شعار شركات (صالح عثمان)، وتنطلق عائدة إلى القاهرة..

إلى حيث يتخذ الصراع وجهًا جديدًا..

وجه (العقرب)..

• • •

ملك الجريمة

15- الجولة الثانية..

ارتفع حاجبا (عزت) في دهشة، وهو يحدق في وجه (صالح عثمان)، هاتفًا:

- سيدي؟! هل أصاب طائرتك عطب؟

قال (صالح) في حدة:

- بل سافرت إلى (باريس)، وأتممت مهمتي، وعدت.

هتف (عزت):

- بهذه السرعة؟!

قال (صالح):

- لا شأن لك بهذا.. قل لي أولاً: لماذا تستخدم جهاز اللاسلكي في مكتبي؟

أجابه (عزت) في توتر:

- كنت أتحدث مع المهندس المسئول في (صالكو)، فيبدو أن لديه مشكلة.

عقد صالح حاجبيه وهو يسأله:

- أية مشكلة؟ ألم يتم القضاء على ذلك (العقرب) بعد؟

تردد (عزت) لحظة، ثم قال:

- أظن ذلك يا سيدي.

هتف (صالح) في غضب:

- تظن ذلك؟! ماذا تعني بأنك تظن ذلك؟ في مثل هذه الأمور لا تصلح الأجوبة المائعة كهذه.. الجواب المنطقي هو إما نعم أو لا.

تردد (عزت) لحظة أخرى، ثم أجاب:

- الواقع يا سيدي أن الهليوكوبتر قد سقطت في الصحراء، بالقرب من حقل (صالكو) الجديد، وانفجرت، وعثر المهندسون هناك على رجل فاقد الوعي.

سأله (صالح) في انفعال:

- ومن هذا الرجل؟

هز (عزت) كتفيه، وقال:

- أظنه طيارنا، ولقد أبلغنا قبل الانفجار أنه قد أتم المهمة، وقتل ذلك المحامي.

صاح (صالح) محنقًا:

- تظن!! تظن!! أي أسلوب هذا؟ كان ينبغي أن تتيقن من الأمر.

قال (عزت) في حيرة:

- كيف؟ لقد كان الرجل فاقد الوعي، ولقد أخبرتهم أنني سأرسل بعض رجالنا للإتيان به، ولكنه لم يكد يستعيد وعيه حتى أصر على الرحيل، ولم يكن منهم إلا أن منحوه سيارة، ستصل به هنا بعد ثلاث ساعات.

هتف (صالح)، وهو يلوح بكفه محنقًا:

- ليس هذا هو المهم.. المهم هو من هو هذا الشخص؟ الطيار أم (العقرب)؟

قال (عزت) في تردد:

- المنطق يقول إنه الطيار، فقد أبلغني أنه قتل المحامي، وربما وقع حادث طارئ للهليوكوبتر بعدها، ثم إن الشخص الذي عثر عليه المهندسون سليم معافى، ولو أنه ذلك المحامي، ما كان كذلك أبدًا، بعد سقوطه من هليوكوبتر.

عقد (صالح) حاجبيه مفكرًا في الأمر، ثم لم يلبث أن هز رأسه، قائلاً:

- لا بأس.. إنني أميل إلى هذا التفسير، ثم إننا لن نلبث أن نتيقن من الأمر كله، بعد سويعات.

ثم عاد يسأل في اهتمام:

- ماذا عن (لوسي) إذن؟ هل أتمت مهمتها بنجاح؟

ابتسم (عزت) وهو يقول:

- بالتأكيد، فهي لم تفشل قط من قبل.

هتف (صالح) في عصبية:

- أظن.. بالتأكيد.. أعتقد ذلك.. يا للردود السخيفة!! إنك لا تصلح للعمل معي أبدًا.. إنني أحتاج إلى شخص حاسم حازم.

غمغم (عزت) في ضيق:

- أنت شديد العصبية يا سيدي.. هل حدث شيء ما في (باريس)؟

ضرب (صالح) سطح مكتبه بقبضته في قوة، وهو يقول:

- عملنا كله شديد الحساسية يا (عزت)، وكل صفقاتنا بالغة الخطورة والأهمية، وهذه الصفقة بالذات أخطرها، وعلى الرغم من ذلك يتصرف الجميع في خنوع، وسخافة، ويظهر ذلك المحامي، الذي يحب لعب أدوار البطولة الأسطورية.

قال (عزت) محاولاً تهدئته:

- لقد انتهى أمره يا سيدي.

رمقه (صالح) بنظرة نارية صارمة، وهو يقول:

- من يدري؟! هل يمكنك الجزم؟

احتقن وجه (عزت)، وهو يجيب:

- إلى حد ما.

أطلق صالح ضحكة عصبية ساخرة، ولوح بذراعه كله، وهو يقول:

- أرأيت؟ إنك لم تجب حتى على نحو حازم.. أرأيت؟

ثم أطلق من أعماق صدره زفرة نارية، دون أن ينتظر جوابًا أو تعليقًا، ولوح بكفه هذه المرة، وهو يستطرد:

- فليكن.. لن نضيع الوقت في الجدل والنقاش.. هيا.. اتصل بـ (ماهر)، واطلب منه أن يحضر إلى مكتبي بأقصى سرعة، ثم أحضر لي خريطة للحدود المصرية الإسرائيلية.

وعقد حاجبيه، مضيفًا بكل ما تموج به نفسه من توتر وانفعال:

- سنبدأ في التخطيط للعبة.. لعبة الحرب.

• • •

أطلقت (غادة) تنهيدة ارتياح قوية، وتهللت أساريرها، وهتفت وهي تملأ عينيها بوجه (نديم)، الذي دلف إلى مكتبه هادئًا كعادته:

- يا إلهي!! حمدًا لله.. كدت أقضي نحبي قلقًا عليك.

جلس خلف مكتبه، وهو يقول في هدوء:

- كان ذلك سيبدو مناسبًا.

هتفت به في لهفة:

- أين كنت؟ لقد قلبت الأرض كلها بحثًا عنك دون جدوى.

تراجع بمقعده، قائلاً في بساطة:

- لن يمكنك تخمين الجواب أبدًا.

قالت في انفعال:

- ولن يمكنك أنت أيضًا تخمين ما حدث في غيابك.

قص كل منهما على الآخر ما أصابه، وما مر به من أحداث، وقال (نديم) في حزم:

- من الواضح أن (صالح عثمان) قد كشف أمرنا على نحو ما، وأنه يسعى للتخلص منا.

قالت في سخط:

- وأن هناك سيدة مجتمع فاتنة، شديدة التأنق، تلعب دور القاتل المحترف في (مصر).

تطلع إليها لحظة في هدوء، ثم قال:

- (صالح) هو رأس (الأفعى).

وتراجع بمقعده مرة أخرى، وشرد بصره قليلاً، وهو يتابع:

- هذا الرجل يخفي أمرًا أخطر مما يظن الجميع يا (غادة).. أنا واثق من هذا.

قالت في اهتمام:

- مازال يمكننا كشف سره.

رفع سبابته أمام وجهه، قائلا:

- لوأمكننا استعادة جهاز التسجيل، الذي أخفيته أسفل مكتبه.

مطت شفتيها، قائلة:

- كان الافضل أن تخفي ناقلاً صوتيًا صغيرًا، ينقل إلينا كل ما يدور في مكتبه لاسلكيًا، بدلاً من أن نحتاج إلى مخاطرة جديدة، لاستعادة التسجيلات.

هز رأسه نفيًا، وقال:

- الإرسال اللاسلكي عملية محفوفة بمخاطر شتى، لو تمت من داخل مبنى يزخر بالأجهزة الإلكترونية المتطورة، كمبنى (صالح)، فمن السهل في هذه الحالة كشف وجود الناقل الصوتي.. كان لابد من المخاطرة.

ونهض من خلف مكتبه، مستطردًا:

- ثم إن كل ما يحتاج إليه الأمر مجرد زيارة أخرى.

والتمعت في عينيه ابتسامة كبيرة، لم تنعم بها شفتاه، وهو يضغط على ذلك الزر الخفي في حائط المكتب مردفًا:

- وعلى الرغم من تفتيش صديقنا (مجدي) للمكتب، إلا أنه لم يكشف أمر هذا.

انزاح جزء من الحائط، كاشفًا تلك الفجوة السرية، حيث زي (العقرب) الأسود، وعلبة بطاقاته، ذات الرسم الذهبي الأنيق، وتابع (نديم)، وهو يلتقط القناع الأسود:

- الليلة يا عزيزتي سيعود (العقرب).. وستبدأ الجولة الثانية..

وأحاط عينيه بالقناع الأسود..

قناع (العقرب)..

• • •

ملك الجريمة

16- التحـــدي..

فرك (صالح عثمان) كفيه في عصبية، وهو يتطلع إلى (ماهر)، البالغ الطول والنحافة، قبل أن يشير إليه بالجلوس، قائلاً:

- هل تعرف الحدود المصرية الإسرائيلية جيدًا؟

- أجابه (ماهر) بالتأكيد أيها الرئيس.. لقد أجرينا عدة صفقات عند هذا الخط.

اعتدل (صالح) وهو يقول:

- لدينا صفقة ضخمة هناك هذه المرة.

سأله (ماهر) في اهتمام:

- مخدرات أيضًا؟

هتف به (صالح) في غضب:

- لا تنطق هذا المصطلح هنا أبدًا.

تمتم (ماهر):

- آه.. معذرة أيها الرئيس.

اعتدل (صالح) في مقعده، وقال:

- حسنًا.. دعنا من هذا الآن.. المهم أن هذه الصفقة ستحتاج إلى ترتيبات خاصة.

سأله (ماهر):

- مثل ماذا؟

صمت (صالح) لحظات، وهو يتطلع إليه، وبدا وكأنما يتردد عن الإفصاح بما لديه، قبل أن يحسم أمره، ويميل إلى الأمام؛ ليقترب بوجهه من (ماهر)، قائلاً:

- إننا نحتاج إلى عشرة رجال، يرتدون الأزياء العسكرية المصرية، الخاصة برجال الصاعقة، ويحملون أسلحة من نفس النوع المستخدم في الجيش المصري هذه الأيام، ونحتاج أيضًا إلى...

صمت وهلة، و(ماهر) يتطلع إليه في دهشة، ثم أضاف في حزم:

- إلى دبابة.

تحولت دهشة (ماهر) إلى ذهول، وهو يهتف:

- دبابة؟!

ثم انعقد حاجباه في شدة، مستطردًا:

- أهي صفقة مخدرات؟ أم بداية حرب؟

تراجع (صالح) في مقعده مرة أخرى، وراح يتطلع إلى (ماهر) وذهوله لحظات أخرى في صمت، قبل أن يقول:

- يمكنك أن تعتبرها مزيجًا من هذا وذاك.

تطلع إليه (ماهر) لحظات في شك، ثم قال في بطء:

- ما المطلوب بالضبط يا سيدي؟

أشعل (صالح) سيجاره، ونفث دخانه في عمق، وكأنما ينفث معه توتره وعصبيته، وهو يقول:

- مطلوب أن تقتحم دبابة، ترفع العلم المصري، الحدود المصرية الإسرائيلية، على نحو سافر، أشبه بالتحدي، ثم يشن عشرة ر... يرتدون زي قوات الصاعقة المصرية هجومًا عنيفًا، على مركز مراقبة وحراسة إسرائيلي، يقضون على كل من فيه قضاء مبرمًا.

قال (ماهر) بنفس البطء:

- هذا كفيل بإشعال الموقف على الحدود يا سيدي.

لوح (صالح) بكفه، قائلاً:

- لا شأن لك بالنتائج.

لم ينبس (ماهر) ببنت شفة للحظات، ثم لم يلبث أن اعتدل في مقعده، وأشعل سيجاره بدوره، قائلاً:

- حسنا.. لا شأن لي بالنتائج، ولكن ماذا عن أجري هذه المرة؟

نفث (صالح) دخان سيجاره، وقال:

- مائة ألف.

هز (ماهر) رأسه نفيًا، وابتسم في دهاء، قائلاً:

- بل نصف مليون جنيه يا سيدي.

عقد (صالح) حاجبيه في شدة، وهتف:

- نصف مليون؟! هل جننت؟

قال (ماهر) في خبث:

- إنه أقل مبلغ يمكن دفعه يا سيدي؛ لاستئجار عشرة من الانتحاريين، وتحويل دبابة خردة إلى واحدة صالحة للعمل، و...

قاطعه (صالح):

- حسنًا.. حسنًا.. ستحصل على ما تريد.

قال (ماهر) في سرعة:

- بالإضافة إلى عمولتي.

أجابه (صالح) في حنق:

- بالتأكيد.

بدا الارتياح على وجه (ماهر)، وسأل وهو ينفث دخان سيجارته في عمق:

- حسنًا.. هذا عظيم.. والآن، متى وأين تحتاج إلى الرجال؟

أجابه في اهتمام بالغ:

- بعد شهر بالتحديد، وسيكون الهجوم هنا، في هذه النقطة على الخريطة.. في (الكنتلة)..

• • •

لم يكد (ماهر) ينصرف، بعد أن تزود بالتعليمات اللازمة، وبمبلغ نقدي ضخم لبدء العمل، حتى عاد ذلك التوتر العنيف يملأ عروق (صالح)..

لم يكن ذلك لأنه يرتكب عملاً غير مشروع، فليست أول مرة يفعل فيها هذا..

لقد بنى إمبراطوريته المالية كلها بأعمال غير مشروعة.. وبالذات من تجارتي المخدرات والسلاح..

إنهما أكثر تجارات العالم ربحًا ماديًا..

وأحقرهما..

ولكنّ توتر (صالح) كان يعود إلى طبيعة العمل هذه المرة...

كانت أول مرة يضطر فيها إلى إشعال فتيل الحرب، من أجل المال...

وكانت النتائج تقلقه...

وفجأة انتزعه صوت (عزت) من استغراقه، عندما قال هذا الأخير في جزع، وهو يقتحم المكتب:

- سيدي.. لقد فشلت (لوسي) في مهمتها.

انتفض جسد (صالح)، وهو يهتف:

- ماذا؟!!!

اندفع (عزت) يقول كالرصاصة:

- هي نفسها لم تعلم بعد بفشلها، ولكنني علمت.. لقد أرسلت رجلين من رجالنا

للاطمئنان على مصرع المحامية الشابة، ولكنهما عادا ليبلغاني أنه قد تم إنقاذها في اللحظة الأخيرة.

ردد (صالح) في حنق:

- في اللحظة الأخيرة؟!

ثم لوح بكفه، هاتفًا:

- أي حمق هذا؟ كيف تفشلون في القضاء على مجرد فتاة؟ كيف يفشل قتلها مرتين؟

بدا وجه (عزت) شديد الامتقاع، وهو يقول:

- ليست هذه هي المشكلة الوحيدة يا سيدي.

قال (صالح) في غضب:

- ماذا لديك أيضًا؟

تردد (عزت) لحظات، قبل أن يتمتم:

- لقد وصلت سيارة (صالكو) منذ قليل.

هتف (صالح):

- لا تقل لي إنها لم تكن تقل طيارنا.

تمتم (عزت) في شحوب:

- لم يكن هو يا سيدي.. إن الرجل الذي أقلته سيارتنا قد أرسل إليك بطاقته.

ورفع أمام وجه (صالح) بطاقة بيضاء أنيقة، تحمل في منتصفها رسمًا لعقرب ذهبي..

واحتقن وجه (صالح) في شدة..

واختطف بطاقة (العقرب)، وسحقها بقبضته في غضب، وهو يهتف:

- لا أحد يتحدى (صالح عثمان) على هذا النحو.. لا أحد..

ثم استدار إلى (عزت)، مستطردًا على نحو شرس، جعله أشبه بوحش مفترس تواق للدماء:

- إنني أمنحك يومًا واحدًا يا (عزت).. ليلة واحدة، وبعدها أريد جثتي (العقرب) ورفيقته في قبو فيلتي..

وبرقت عيناه في وحشية، وهو يردف:

- مسحوقين سحقًا..

• • •

ملك الجريمة

17- في ظلام الليل..

عقدت (لوسي) حاجبيها، وضمت شفتيها الجميلتين، وهي تنفث دخان سيجارتها في قوة، قائلة:

- نجت؟! كيف؟ كان المبنى خاليًا ساكنًا تقريبًا، ولم..

قاطعها (صالح) في غضب:

- ولكنها نجت، وأنت فشلت.

أطلت ابتسامة ساخرة من عينيها، وهبطت لتستقر على شفتيها، وهي تقول في استهتار:

- (لوسي) لا تفشل أبدًا يا عزيزي.. كل ما في الامر هو أن تلك اللعينة محظوظة كثيرًا، وأن لحظة مصرعها لم تحن بعد.

قال في حدة:

- كان ينبغي أن تتيقني من مصرعها، قبل أن تنصرفي.

أجابته في استهتار ساخر:

- كيف؟ أنت أردت أن يبدو الأمر كحادث عرضي، ما كنت لأنتظر والغاز يملأ المكان، حتى يشعل أحمق عودا من الثقاب، ينفجر له المبنى كله.

قال محنقًا:

- كان يمكنك اختيار وسيلة أخرى.

مطت شفتيها قائلة:

- ربما.

ثم نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى في عمق، قبل أن تضيف في حزم:

- الشيء الوحيد المؤكد هو أنك لن تجد مثلي في مصر كلها، فأسلوبي فريد جديد، وحتى وزير الداخلية نفسه لن يتصور لحظة واحدة أن (لوسي) سيدة المجتمع، وسليلة أرقى العائلات وأعرقها، وصاحبة الباع الطويل في الجمعيات الخيرية والنوادي الاجتماعية، هي أول قاتلة محترفة في (مصر)، تستخدم أرقى وسائل وأساليب القتل.

ابتسم ابتسامة باهتة، وهو يقول:

- حتى أنا لم أكن أتخيل هذا، لولا أن احتجت إلى خدماتك.

رفعت سبابتها أمام وجهها الفاتن، قائلة:

- ولم أخذلك مرة واحدة.

وألقت سيجارتها من النافذة، وهي تنهض مستطردة:

- حتى هذه المرة.

سألها في حزم:

- ماذا ستفعلين؟

ابتسمت في سخرية، وهي تقول:

- اطمئن.. لقد نلت أجري، مقابل القضاء على الفتاة، ولم أعتد أبدًا عدم الوفاء بعهودي.

وفرقعت سبابتها وإبهامها، مستطردة في حزم:

- سأقتلها.. الليلة.

وأطلقت ضحكة مستهترة عالية، وهي تغادر الفيلا الخاصة لـ(صالح)، وتنطلق بسيارتها الأنيقة الفاخرة في سرعة..

وهز (صالح) رأسه، وهو يقول في خفوت:

- يا لها من امرأة!

برز (عزت) من حجرة مجاورة، وهو يقول:

- إنها أجمل امرأة عرفتها في حياتي.

تمتم (صالح):

- وأكثرهن شراسة.

اتجه إلى بار صغير، في ركن ردهة الفيلا، وصب لنفسه كأسًا من الخمر، ارتشف منه رشفة، وهو يقول في انفعال:

- ماذا فعلت بشأن (نديم) هذا؟

قال (عزت):

- رجالنا يراقبون مكتبه، وسيتخلصون منه فور ظهوره، و...

بتر عبارته بغتة، وأطلت نظرة عجيبة من عينيه، وهو يميل برأسه إلى الأمام نحو نافذة الفيلا، مما جعل (صالح) يلتفت في حركة حادة إلى النافذة، ويحدق فيها لحظات، قبل أن يعود فيلتفت إلى (عزت)، هاتفًا في عصبية:

- ماذا هناك؟ تبدو كما لو أنك قد رأيت شبحًا.

أشار (عزت) إلى النافذة، وهو يقول في توتر:

- لقد رأيته بالفعل.

التفت صالح مرة أخرى إلى النافذة في حدة، وهو يهتف:

- ماذا رأيت؟

وعاد بوجهه إلى (عزت)، صائحًا:

- هل جننت؟

اندفع (عزت) نحو النافذة، وهو يقول في توتر:

- أتمنى لو أنني كذلك.

أسرع (صالح) خلفه، يسأله في حدة:

- ماذا رأيت بالتحديد؟

تطلع (عزت) إلى حديقة الفيلا المظلمة في توتر، وهو يقول:

- لقد لمحت شبحا يتشح بالسواد، يعبر أمام النافذة في سرعة.

قال (صالح) في توتر:

- لا ريب أنك واهم، فحتى الأشباح لا يمكنها التسلل خلسة إلى فيلا الهرم هذه، مع وجود (مختار) و(سليم).. إنهما أفضل وأشرس حارسين خاصين في الشرق كله.

اعتدل (عزت)، وهو يقول:

- على ذكر حارسيك أين هما؟ ألم يعتادا أن يهرعا إلى هنا، كلما أطل أحدنا من النافذة؟

عقد (صالح) حاجبيه في قلق، وهو يقول:

- حقًا.. أين هما؟

تبادل الاثنان نظرة مفعمة بالقلق، ثم ارتفع صوت (صالح)، وهو يهتف:

- (مختار).. (سليم).. أين أنتما؟

جاوبه صمت تام، زاد من قلقه وتوتره، فانتزع (عزت) مسدسه، وهو يقول في حزم:

- سأذهب للبحث عنهما.

انتزع (صالح) مسدسه بدوره، وهو يقول:

- سنذهب معًا.

خرج الاثنان إلى الحديقة في حذر، واتجها إلى حيث يقف الحارسان عادة، وهتف (عزت) في جذع:

- يا إلهي!! ها هو ذا (سليم)، فاقد الوعي هناك.

أسرعا نحوه، وانحنى (عزت) يفحصه، قبل أن يقول في توتر بالغ:

- لقد تلقى لكمة عنيفة، حطمت اثنين من أسنانه.

والتقط بطاقة صغيرة من فوق صدر (سليم)، وهو يستطرد في حدة:

- انظر يا سيد (صالح).

اتسعت عينا (صالح) في مزيج من الذعر والذهو ل، وهو يحدق في العقرب الذهبي الذي يتوسط البطاقة البيضاء الأنيقة، ثم هتف بصوت مختنق متحشرج:

- (العقرب).

وتراجع في ذعر، وهو يتلفت حوله في رعب، و(عزت) يهتف:

- وها هو ذا (مختار) هناك.. لقد فقد وعيه أيضًا.

لم يلتفت إليه (صالح)، وإنما هتف في ذعر:

- سأبلغ الشرطة.. ذلك (العقرب) هنا.

اندفع عائدًا إلى الفيلا، و(عزت) يعدو خلفه هاتفًا:

- انتظر يا سيدي.. الشرطة تجهل أنك تملك هذه الفيلا.. لا تكشف ذلك السر الذي...

بتر عبارته بغتة، وابتلع ما تبقى من كلماتها في ذعر، مع شهقة قوية، انطلقت من بين شفتي (صالح)، عندما عبر الاثنان باب الفيلا، ووقع بصراهما على ذلك الشبح الأسود المقنع، الذي يجلس هادئًا على مقعد وثير، في مواجهة باب الفيلا تمامًا، ومسدسه مصوب إليهما...

لقد كانت مواجهتهما الأولى معه..

مع (العقرب)..

• • •

ملك الجريمة

18- المحترفة..

أوقفت (لوسي) سيارتها الرياضية الحمراء الأنيقة، أمام باب البناية، التي تحوي مكتب (نديم هوزي)، وهبطت منها في رشاقة، وهي تلقي نظرة سريعة على ساعة يدها الذهبية، التي أشارت عقاربها إلى الحادية عشرة مساء، وارتسمت على شفتيها الجميلتين ابتسامة شبه ساخرة، تحمل شيئًا من البرود، وهي تقول:

- طريف هو قرار إغلاق المحال التجارية مبكرًا.. إنه يمنح المرء فرصة إنهاء عمله، واللحاق بسهرة مناسبة في الوقت ذاته.

قالتها وهي تتجه إلى المصعد، وتستقله إلى الطابق الذي يضم مكتب (نديم)، وتوقفت أمام باب المكتب، تتطلع إلى الضوء المنبعث من فرجته السفلى، وهي ترتدي قفازًا أنيقًا من المطاط، وتتمتم في استهتار:

- رائع.. هذه المحامية المحظوظة هنا.. سنتم العمل في سرعة.

أخرجت من حقيبتها الصغيرة سلكًا مفلطحًا رفيعًا، دسته في ثقب الباب، وراحت تحركه في مهارة، حتى تناهى إلى مسامعها صوت لسان الرتاج يسقط، فابتسمت في ثقة، وهي تقول لنفسها في زهو:

- رائعة أنت يا (لوسي).. فريدة من نوعك.

أخرجت مسدسًا أنيقًا صغيرًا من حقيبتها، ودفعت الباب في حرص، ودلفت إلى الداخل في سرعة..

وعبر ممر طويل، رأت النور ينبعث من حجرة (غادة)، فتمتمت:

- عظيم.. ستنتهي المهمة في سرعة.

خلعت حذاءيها في حرص، ثم اتجهت على أطراف أصابعها إلى حجرة (غادة)، وقفزت داخلها، هاتفة:

- انتهيت أيتها المحظوظة.

تسمرت في مكانها بغتة، عندما بدت لها الحجرة خالية، واعتدلت في حدة، هاتفة:

- تلك الخبيثة..

التصقت فجأة فوهة مسدس (غادة) بمؤخرة رأسها، وارتفع من خلفها صوت هذه الأخيرة، تقول في لهجة تجمع ما بين الحزم والسخرية:

- هل فاجأتك؟

ارتسم مزيج من الحنق والغضب والثورة على وجه (لوسي)، إلا أنه لم يستمر أكثر من ثانية واحدة، عاد بعدها وجهها إلى بروده واستهتاره، وهي تقول:

- لم تكن مفاجأة سارة على أية حال.

قالت (غادة) ساخرة:

- كم يسعدني أنها لم تكن كذلك بالنسبة لك.. والآن هلا ألقيت ذلك المسدس الصغير، ل أن تخترق رصاصتي الكبيرة رأسك.

فتحت (لوسي) أصابع كفها، وتركت المسدس يسقط عند قدميها في هدوء، وهي تقول:

- من يدري؟

قالت (غادة)، وهي تتأمل المسدس الساقط أرضًا:

- مسدس من الذهب الخالص؟! أية قاتلة أنت؟

ابتسمت (لوسي) في سخرية، وهي تقول:

- إنه هدية من تاجر أسلحة أمريكي، لواحدة من أرقى سيدات المجتمع.

قالت (غادة) ساخرة:

- أنت من أرقى سيدات المجتمع؟

أجابتها (لوسي) في هدوء:

- بالتأكيد.

ثم أضافت في بساطة:

- وبالمناسبة.. هل يمكنني الجلوس وتدخين سيجارة؟

ترددت (غادة) لحظة، ثم أجابت في حزم:

- ناوليني حقيبتك الصغيرة، وسأعطيك أنا السيجارة.

ناولتها (لوسي) حقيبتها في هدوء، فقالت (غادة):

- الآن اتجهي إلى ذلك المقعد المجاور للكمبيوتر، واجلسي في بطء، ووجهك لي.

أطاعتها (لوسي) في بساطة مثيرة للدهشة، وجلست تتطلع إليها في سخرية عجيبة، ألتها (غادة) في حيرة، وهي تتفرس في ملامحها في اهتمام:

- ألم نلتقِ من قبل؟

أجابتها (لوسي) ساخرة:

- بالتأكيد.. لقد حاولت قتلك مرة.

عقدت (غادة) حاجبيها في ضيق، وهي تقول:

- أعني قبل ذلك.

هزت (لوسي) كتفيها في لامبالاة، وهو تقول:

- ربما في صفحة الاجتماعيات بإحدى الصحف، أو المجلات المعروفة، فأنا سيدة مجتمع، كما سبق أن أخبرتك.

غمغمت (غادة) في استنكار:

- سيدة مجتمع قاتلة؟!

أطلقت (لوسي) ضحكة عابثة، وهي تقول:

- إنها أروع تركيبة ممكنة، من يمكنه أن يشك في سيدة مجتمع فاتنة مرحة مثلي؟

مطت (غادة) شفتيها في ازدراء، قائلة:

- يا له من زمن!!

أطلقت (لوسي) ضحكة عابثة أخرى، وهي تقول:

- إنه زمن مختلف بالتأكيد.. والآن هل يمكنني تدخين سيجارة؟

فتحت (غادة) حقيبة (لوسي) الصغيرة في حذر، والتقطت منها علبة سجائر أجنبية الصنع، وقلبتها بين أصابعها في حرص، دون أن ترفع عينيها عن (لوسي)، ثم ألقت بها إلى تلك الأخيرة، قائلة:

ها هي ذي علبة سجائر كاملة، ولكن لا تنسي أن التدخين ضار بالصحة.

أطلقت (لوسي) ضحكة ساخرة، وهي تلتقط من العلبة سيجارة، وتدسها بين شفتيها الجميلتين، قائلة:

- سأذكر ذلك.

ثم استطردت في هدوء:

- هل يمكنني الحصول على القداحة أيضًا؟

مدت (غادة) يدها داخل الحقيبة، لتلتقط القداحة الذهبية، إلا أنها توقفت بغتة، وعقدت حاجبيها، وهي تقول في حزم:

- لا.. يمكنك استخدام أعواد الثقاب فقط.

والتقطت من جوارها علبة أعواد ثقاب، وألقتها إلى (لوسي)، التي التقطتها وهي تضحك قائلة:

- ولماذا لا أستخدم القداحة؟

قالت (غادة) في حزم:

- من يدري أي سلاح سري يمكن أن تحتويه قداحة قاتلة محترفة؟

ابتسمت (لوسي) في سخرية، وقالت وهي تشعل سيجارتها بعود من الثقاب في بساطة:

- أنت شديدة الحرص إذن.

قالت (غادة):

- أظن هذا حتميًا، مع الأفاعي أمثالك.

هزت (لوسي) كتفيها، وهي تطفئ عود الثقاب، وتلقيه أرضًا، وتنفث دخان السيجارة في عمق، ثم تقول:

- الحذر لا يمنع القدر.. وأي شيء يمكنه أن يحوي سلاحًا سريًا.

التقطت نفسًا عميقًا من سيجارتها، قبل أن تضيف:

- هذه السيجارة مثلاً، قد لا تكون مجرد سيجارة عادية، على الرغم من أنها تشتعل، وتنفث الدخان، فربما لو ضغطت بأسناني على مبسمها هكذا..

قالتها وهي تضغط المبسم بأسنانها بالفعل..

وفجأة تناثر التبغ المشتعل خارج السيجارة، ومن قلب اللفافة تمامًا، وإثر ضغطة أسنان (لوسي)، انطلق سهم دقيق رفيع، يحوي نوعًا رهيبًا من السم الزعاف..

وكان ينطلق نحو (غادة)..

نحو قلبها تمامًا..

• • •

ملك الجريمة

19- وجها لوجه..

تجمد الموقف لحظة، في ردهة فيلا (صالح) الخاصة، و(العقرب) يصوب مسدسه إلى الرجلين، على الرغم من أن كليهما يحمل سلاحه..

ثم هتف (صالح) فجأة بصوت مختنق متوتر:

- من أنت؟

أجابه (العقرب) في هدوء:

- أنت تحمل بطاقتي يا رجل.

اندفع (عزت) يقول بغتة في انفعال:

- وأنا أحمل مسدسي.

هتف (صالح)، وكأنما انتبه فجأة إلى هذه الحقيقة:

- أنا أيضًا أحمل مسدسي.

بدا وجه (نديم) جامدًا باردًا، وبدا صوته قاسيًا صارمًا، وهو يقول:

- هذا يجعلنا نتساوى جميعًا في هذه النقطة.. ما رأيكما لو نجري اختبارًا صغيرًا؟ فليطلق كل منا النار، ولنرَ من الخاسر.

قالها وهو يجذب إبرة مسدسه في هدوء مخيف، بعث رجفة قوية في جسد(صالح)، دفعته إلى إلقاء مسدسه أرضًا، ورفع يديه عاليًا، وهو يهتف:

- لا.. لست أصلح لهذا الاختبار.

أما (عزت) فقال في عصبية:

- ومن أدراك أنك لن تكون الخاسر؟

هز (نديم) كتفيه في لامبالاة، وهو يصوب مسدسه إلى رأس (عزت)، قائلاً:

- إطلاق النار وحده يحسم الأمر.

تردد (عزت) لحظة، ثم لم يلبث أن ألقى مسدسه أرضًا في حنق، هاتفًا:

- اللعنة!

وقال (صالح)، وهو يزدرد لعابه في صعوبة:

- اسمع يا سيد (نديم) .. إنني..

قاطعه (العقرب) في صرامة :

- أخطأت أيها الوغد.. إنني لست (نديم فوزي) كما تتصور.

ازدرد (صالح) لعابه بمزيد من الصعوبة هذه المرة، وغمغم بصوت متحشرج:

- لا بأس أيها (العقرب).. إنني مستعد لشراء حياتي بأي ثمن.

مط (العقرب) شفتيه، قائلاً:

- ومن قال إنني إنوي قتلك؟

هتف (عزت) في دهشة:

- ماذا تستهدف من هذا الاقتحام الإجرامي إذن؟

اعتدل (العقرب) وهو يقول في حزم:

- فقط أريد من السيد (صالح) أن يجري اتصالاً هاتفيًا صغيرًا.

ارتبك (صالح) وهو يغمغم:

- أي اتصال هاتفي هذا؟

التقط (العقرب) سماعة الهاتف، وهو يقول:

- أريد منك أن تتصل بمكتبك الخاص، وتخبرهم أن لديك عطلاً في جهاز اتصال خاص بمكتبك، وأنك سترسل شخصًا لإصلاحه.

حدق (صالح) في وجهه لحظة في دهشة، في حين قال (عزت):

- لن يفيدك هذا كثيرًا.. لقد نقلنا كل الوثائق والأوراق، من خزانة المكتب السرية، التي كشفت أنت أمرها في المرة السابقة.

قال (العقرب) في برود:

- ليس هذا من شأنك.

ثم التفت إلى (صالح)، مستطردًا في حزم:

- هيا يا سيد (صالح).. أجرِ الاتصال.

تبادل (صالح) نظرة قلقة مع (عزت)، ثم تناول سماعة الهاتف بيد مرتجفة، وهو يتمتم:

- (عزت) على حق.. إنك لن تجد شيئًا في المكتب.

أجابه في برود:

- هذا شأني.

تردد (صالح) لحظة، ثم تجمد بصره لحظة، وهو يتطلع في دهشة إلى نقطة ما خلف (العقرب)، وشاركه (عزت) النظرة نفسها، على نحو جعل (العقرب) يدير رأسه إلى حيث ينظران في حدة..

ولكن استدارته لم تكتمل..

لقد التصقت فوهة مسدس باردة بصدغه، وارتفع من خلفه صوت بارد صارم، يقول بالعربية الركيكة:

- انتهت اللعبة أيها المقنع.. هيا.. انزع قناعك الطريف هذا، ودعنا نلقِ نظرة على ملامحك.

هتف (صالح):

- ولكن من أنت؟

أجابه صاحب الصوت الصارم البارد:

- اسمي (دارك) يا مستر (صالح).. (جون دارك).

• • •

فجأة..

وبلا مقدمات..

وعلى نحو مباغت مباشر عنيف، تحرك (العقرب)..

كانت فوهة المسدس القاتلة تلتصق بصدغه، ولكنه مال جانبًا، وانحنى في سرعة، ودار على عقبيه، ثم دفع ساعده ليرفع يد (دارك) الممسكة بالمسدس، وأطلق قبضته الأخرى في وجه هذا الأخير كالقنبلة..

وانطلقت رصاصة من مسدس (دارك)، أصابت سقف الردهة، وهو يسقط أرضًا، في حين قفز (عزت) نحو مسدسه، هاتفًا:

- ابتعد يا سيد (صالح).. إنها فرصتنا.

ولكن (العقرب) دار على عقبيه مرة أخرى في سرعة، وأطلق النار على مسدس (عزت)، فقذف به بعيدًا، وعاد يلتفت إلى (دارك)، ويطلق النار على مسدسه ليطيح به بدوره، ولكن (عزت) انقض عليه من الخلف، هاتفًا:

- إليَّ بسرعة.. لقد أمسكت به.

ولكن التدريبات القتالية، التي تلقاها (نديم) في كلية الشرطة، لم تكن بالهينة..

لقد صنعت منه – بالإضافة إلى موهبته وحماسه – مقاتلاً فذًا..

ولم يكد (عزت) يتعلق بعنقه من الخلف، حتى انحنى هو إلى الأمام، وأدار يده اليسرى خلف ظهره، وقبض على ياقة (عزت)، وجذبها في عنف ومهارة إلى الأمام..

ووجد (عزت) نفسه يقفز مرغمًا في الهواء، ويندفع نحو (دارك)، الذي اتسعت عيناه في ذعر، (عزت) وحاول أن يقفز مبتعدًا، لولا أن ارتطم به جسد (عزت) في قوة، وتدحرج الاثنان أرضًا في عنف..

واستدار (صالح) ؛ ليعدو مبتعدًا، ولكن (العقرب) قفز نحوه بزيه الأسود المخيف، وجذبه من ياقة سترته، قائلاً:

- إلى أين؟

اختل توازن (صالح)، وسقط على ظهره أرضًا، وهو يهتف في حنق وألم وغيظ:

- اتركني.. اتركني.

قفز (نديم) إلى موقع يمنحه السيطرة الكاملة على المكان، وصوب سلاحه مرة أخرى إلى الرجال الثلاثة، قائلاً:

- هيا أيها الأوغاد.. انتهت اللعبة بحق هذه المرة.

نهض الثلاثة في حنق وغيظ، وغمغم (دارك) بالإنجليزية:

- يا لك من محظوظ.

تجاهله (نديم) تمامًا، وأشار إلى الهاتف الملقى أرضًا، وهو يقول في حزم صارم:

- هيا يا سيد (صالح).. أجر الاتصال.

قال (صالح) في عصبية:

- ليس قبل أن أعلم ما الذي تريده من مكتبي؟

أجاب (نديم) في صرامة:

- ستعلم فيما بعد.

وفجأة اقتحم الباب رجلان مسلحان، هتف أحدهما، وهو يصوب سلاحه إلى الجميع:

- شرطة.. لا يتحرك أحد.

أما الثاني، فقد صوب مسدسه إلى (العقرب)، والتمعت عيناه ببريق شامت ظافر، وهو يقول:

- كنت أعلم أننا سنلتقي أخيرًا.

وكان هذا الأخير هو (مجدي)..

العقيد (مجدي)..

• • •

ملك الجريمة

20- القتال..

في هذه المرة كانت (غادة) حذرة..

بل شديدة الحذر..

وربما يمكننا أن نضيف إلى هذا الحذر شيئًا من غريزة النساء، وشعورهن المسبق بالخطر..

المهم أنها قد تحركت في سرعة، فور أن ضغطت (لوسي) مبسم السيجارة بأسنانها..

وانطلق السهم القاتل..

ولكنه لم يصب قلب (غادة)..

لقد أصاب باب الحجرة خلفها..

وهتفت (غادة) في حنق:

- أيتها القاتلة!

ولكن (لوسي) تحركت أيضًا في سرعة مدهشة، وقفزت تركل المسدس من يد (غادة)، وتطيح به بعيدًا، وهي تقول:

- الآن أصبحنا متعادلتين.

وطوحت راحتها نحو رقبة (غادة)، التي مالت جانبًا، وهي تهتف:

- إذن فأنت تجيدين رياضة الكراتيه.

اعتدلت (لوسي)، وقالت في سخرية:

- بل أنا أستاذة في هذا المجال.

وأطلقت فجأة صرخة قتالية رهيبة، وقفزت لتحطم ضلوع (غادة) بقدمها، إلا أن (غادة) قفزت جانبًا في مهارة، فأصابت قدم (لوسي) شاشة الكمبيوتر، واخترقتها في دوي شديد، جعل (غادة) تهتف في حنق:

- لا.. ليس ثانية.. هل تصرون على منعنا من الدخول إلى عصر الكمبيوتر؟

انحنت (لوسي) أمامها، قائلة في سخرية:

- معذرة يا سيدتي الجميلة، ولكن الشيء الوحيد الذي سأسمح لك بدخوله هو القبر.

هزت (غادة) كتفيها، قائلة:

- يمكنك المحاولة على الأقل.

تطلعت إليها (لوسي) بنظرة ساخرة مستهترة، وهي تقول:

- ما رأيك في قتال أنيق؟

اتخذت (غادة) وضعًا قتاليا، وهي تقول:

- لا بأس.

اتخذت (لوسي) وضعًا مشابهًا، قائلة:

- والموت للمهزوم.

ثم قفزت نحو (غادة)، ورفعت قدمها لتركلها، هاتفة:

- ولن تكون الهزيمة من نصيبي أنا.

أمسكت (غادة) قدم (لوسي) بغتة، فاختل توازن هذه الأخيرة، وسقطت على ظهرها أرضا، و(غادة) تقول في سخرية:

- ماذا كنت تقولين عن الهزيمة؟

ولكن سقطة (لوسي) ألقتها إلى جوار مسدسها الصغير تمامًا، فالتقطته بحركة سريعة، وهي تهتف:

- كنت أقول إنها ليست من نصيبي.

وأطلقت النار..

• • •

أول شئ تعلمه (نديم)، عندما قرر أن يقتحم عالم محاربة الجريمة، حاملاً اسم وقناع (العقرب)، هو أن (نابليون بونابارت) كان محقًا تمامًا، عندما قال: «إن الهجوم خير وسيلة للدفاع»..

والواقع أن (نديم) رجل يتعلم في سرعة..

ويطبق ما يتعلمه في إحكام..

وعندما اقتحم (مجدي) و(حسن) الفيلا، كان الأول يتصور أنه باغت (نديم)، وهو في شخصية (العقرب)، وأمكنه أخيرًا إثبات كون الاثنين رجلاً واحدًا..

ولم يكن يفصله عن تحقيق هذا النصر سوى نزع قناع (العقرب)..

وكان (نديم) يعلم هذا..

ولم يكن مستعدًا للهزيمة..

أو لإضاعة الوقت..

وعندما واجه (مجدي) (العقرب) متشفيًا، ظافرًا، كان هذا الأخير يبتلع أثر المفاجأة في سرعة..

ثم يبدأ هجمته المرتدة..

ولم يكد (مجدي) يتم عبارته، حتى تحرك (العقرب) في سرعة، وكأنما لم يفاجئه هذا الهجوم المباغت قط، وقفزت قدمه تركل مسدس (مجدي)، وتلقي به بعيدًا، ثم ارتفع مسدسه يطلق رصاصة محكمة على مسدس (حسن)، ويطيح به بعيدًا..

وصرخ (مجدي) في حنق:

- لن تفلت.

وقفز نحو (العقرب)، ولكن هذا الأخير انحنى على نحو مباغت، وأفلت من انقضاضة (مجدي) في رشاقة، ثم دفع (مجدي) في ظهره دفعة ألقته على وجهه أرضًا، في حين قفز (العقرب) نحو النافذة المطلة على حديقة الفيلا، وعبرها بوثبة مرنة إلى الحديقة المظلمة.

واندفع (حسن) نحو النافذة، وهتف (مجدي) في حنق، وهو ينهض من سقطته:

- الحقوا به.. أوقفوه قبل أن يفر.

ارتفع في اللحظة ذاتها صوت محرك سيارة تنطلق، مختلطًا بصوت (حسن)، الذي هتف في مرارة:

- لقد هرب بالفعل.

صاح (مجدي):

- فلنلحق به بسيارتنا..أسرع.

تردد (حسن) جزءًا من الثانية، ثم قال في توتر:

- ولكنه هرب في سيارتنا يا سيدي.

اتسعت عينا (مجدي)، وهتف في ذهول:

- في سيارتنا؟!

ثم صرخ في عصبية:

- هل تركت المفاتيح بداخلها مرة أخرى.

ارتبك (حسن)، وهو يقول:

- لقد سمعنا صوت الرصاصة، وهرعنا إلى هنا، ولم...

قاطعه صارخًا:

- لا ينبغي أن تترك مفاتيح السيارة داخلها أبدًا.

تدخل (صالح عثمان)، قائلاً في حدة:

- لقد حدث ما حدث، لن نجلس لنتشاجر هنا، تاركين الفرصة أمام ذلك (العقرب) للفرار.

التفت إليه (مجدي) في دهشة، وكأنما يراه لأول مرة، وقال:

- السيد (صالح عثمان)؟!.. أأنت صاحب هذا المكان؟

ارتبك (صالح) وقال في توتر:

- لا.. لست صاحبه.. إنه ملك (عزت)، مدير مكتبي، وكنت في زيارته مع عميلنا الأوروبي مستر (جون دارك)، عندما هاجمنا ذلك المقنع.

ثم لوح بكفه، مردفًا:

- ولكن هذه ليست المشكلة.. المهم الآن أن نتصل برجال الشرطة، ونبلغهم برقم وأوصاف سيارتكما؛ ليتمكنوا من اعتقال ذلك (العقرب) متلبسًا.

اندفع (مجدي) نحو الهاتف وهو يقول:

- صدقت يا سيدي.. هذا هو الإجراء الصحيح.

وطلب رقم إدارة الشرطة، وهو يستطرد في حنق:

- لقد وقع (العقرب) هذه المرة.. إنه لن يذهب بعيدا بهذه السيارة.. هذا وعد..

وكان على حق..

إن (العقرب) لن يذهب بعيدًا هذه المرة..

• • •

ملك الجريمة

21- الهجوم..

أطلقت (لوسي) رصاصتها، وهي تهدف إلى رأس (غادة)، ولكن (غادة) مالت جانبًا برد فعل غريزي، وسمعت الرصاصة تمرق على قيد سنتيمترات من رأسها، ورأت مسدسها الملقى على بعد متر واحد، فقفزت نحوه، في نفس اللحظة التي أطلقت فيها (لوسي) رصاصة ثانية، شعرت بها (غادة) كخيط من نار يخترق ذراعها اليسرى، قبل أن تلتقط مسدسها، وتدير جسدها إلى (لوسي)، هاتفة:

- أيتها اللعينة.

وانطلقت من مسدسها رصاصة، أطاحت بمسدس (لوسي)، التي هتفت في دهشة: إنك تجيدين إصابة الهدف!

ثم قفزت واقفة على قدميها، وتفادت رصاصة أخرى من مسدس (غادة)، وهي تندفع نحو الباب مستطردة:

- هذا يدفعني إلى تأجيل هذا اللقاء الممتع.

صاحت بها (غادة):

- انتظري أيتها الحقيرة.

جاوبتها ضحكة (لوسي) العابثة الساخرة، وهي تهبط درجات سلم البناية، قفزًا في رشاقة، ثم تناهى إلى مسامعها صوت سيارتها الرياضية الحمراء تنطلق مبتعدة..

وهتفت (غادة) في مرارة:

- تلك الأفعى.

ثم وضعت مسدسها أمام شاشة الكمبيوتر المحطمة، وأمسكت ذلك الجرح النازف في ذراعها اليسرى، وتمتمت:

- أظنني بحاجة إلى إسعافات أولية.

كانت الدماء تنزف من جرحها في غزارة..

وكان جسدها منهكًا بسبب الصراع..

وانتابها شعور بضعف شديد..

وتهالك..

وفجأة مادت بها الأرض..

وتمتمت في إعياء:

يبدو أنني فقدت الكثير من الدماء..

حاولت أن تستند إلى مكتب الكمبيوتر..

أو تبلغ الهاتف..

ولكن بغتة أظلمت الدنيا أمامها..

وسقطت فاقدة الوعي..

وراح جرحها ينزف بغزارة أكثر..

وسالت روحها مع نهر الدم المنسكب..

• • •

لم يكد (نديم) يبتعد قليلاً عن الفيلا، حتى أوقف سيارة الشرطة على جانب الطريق، وانتزع قناعه وقفازيه، ودسهما في جيبي سرواله، ثم غادر السيارة، وراح يسير في هدوء نحو سيارته، مرتديًا قميصه وسرواله الأسود اللون، حتى بلغ سيارته، فانطلق بها هادئًا..

وعبرت إلى جواره سيارتا شرطة، تطلقان بوقهما المميز، فغمغم وكأنما الأمر لا يعنيه:

- أراهن أنهما في طريقهما لضبط مقنع متهم بسرقة سيارة من سيارات الشرطة.

واصل طريقه في هدوء وبساطة، وهو يطلق من بين شفتيه لحنًا شعبيًا شهيرًا، حتى بلغ مكتبه، فتوقف متسائلاً:

- ترى أعادت (غادة) إلى منزلها؟ أم أنها لاتزال تصر على تسجيل كل ما لدينا من بيانات في الكمبيوتر؟

صعد إلى مكتبه في بساطة ولم يكد يبلغه، حتى عقد حاجبيه، وقال في قلق:

- لماذا تركت الباب مفتوحًا؟

اندفع داخل المكتب، ولم يكد بصره يقع على (غادة)، الفاقدة الوعي، وسط بركة من الدماء، حتى هتف في جزع:

- يا إلهي! (غادة).

وانحنى بسرعة يلصق أذنه بصدرها، ويقيس نبضها، ثم استطرد:

- نبضها ضعيف للغاية.. لقد فقدت الكثير من دمائها.

ودون أن يضيع لحظة واحدة في التفكير، حمل جسد (غادة)، وأسرع يهبط درجات السلم كالصاروخ، وانطلق إلى أقرب مركز إسعاف..

ومع انطلاقه، كان قلبه ينتفض كطير ذبيح..

ولم يكد يبلغ المركز، حتى حمل (غادة) إلى الداخل، وهتف بالطبيب (النوبتجي):

- أسرع أيها الطبيب.. أسرع.

أسرع إليه الطبيب المعالج، وهتف وهو ينظر إلى وجه (غادة):

- يا إلهي! هي مرة أخرى.

هتف به (نديم):

- أسرع يا رجل.

انحنى الطبيب يفحص (غادة) في اهتمام، ثم لم يلبث أن اعتدل، وهز رأسه في أسف، قبل أن يلتفت إلى (نديم)، قائلاً:

- لقد تأخرت أيها الشاب.. تأخرت كثيرًا.

وارتجف قلب (نديم) في لوعة..

• • •

لم يكد (مجدي) و(حسن) ينصرفان حتى التفت (جون دارك) إلى (صالح عثمان)، وقال في حدة:

- لم أكن أعلم أن لديكم هذا الطراز من المجرمين المقنعين هنا.

قال (صالح) في حنق:

- إنه ليس مجرمًا.. إنه شخص أحمق، يتصور نفسه حاميًا للعدالة، مثل (زورو) و(الرجل الوطواط).

عقد (جون دارك) حاجبيه، وقال في قلق:

- وما الذي يدفعه إلى مهاجمتك؟

هز (صالح) رأسه، وقال وهو يشعل سيجاره في عصبية:

- لست أدري.

تدخل (عزت) قائلاً:

- إنه يسعى لإثبات براءة مهندس قاتل، كان يعمل لحساب السيد (صالح)، ثم ارتكب جريمة قتل.

بدا الاهتمام على وجه (دارك)، وهو يسأل:

- أكل هذا من أجل إثبات براءة شاب؟

قال (صالح) في حزم:

- لا يوجد سبب آخر، فما من مخلوق سوانا يعلم بأمر صفقاتنا وأسرارنا.

سأله (دارك) في هدوء:

- أأنت واثق؟

أجابه في صراحة:

- تمام الثقة.

اتجه (دارك) نحو البار الصغير، وصب لنفسه كأسًا من الخمر، وهو يقول:

- وما الذي فعلته للتخلص من مضايقات هذا المقنع؟

قال (صالح) في حدة:

- سأقتله.

التفت إليه (دارك) في حدة، قائلاً:

- خطأ.

وردد (صالح) في دهشة:

- خطأ؟! ماذا تعني؟!

أجابه في حسم، وهو يرتشف كأس الخمر:

- مواجهة العنف بالعنف أمر مطلوب، في مثل مهنتنا، ولكن ليس في مثل هذه الظروف، فالمهمة التي نحن بصددها الآن تحتاج إلى الكثير من التكتم والسرية، واشتعال حرب جانبية كفيل بإحاطتها بالخطر.

سأله (صالح) في حيرة:

- ماذا نفعل إذن؟

أجابه في هدوء:

- نفاوضه.

هتف (عزت) مستنكرًا:

- ماذا؟ مستحيل!

التفت إليه (دارك) بنظرة صارمة قاسية، جعلته يتمتم في خفوت:

- إنه لن يقبل المفاوضات.

ابتسم (دارك) في دهاء، وقال:

- سيقبل.

سأله (صالح) في عصبية:

- كيف يمكنك الجزم بهذا؟

أجابه في هدوء:

- لأننا سنمنحه ما يسعى إليه.

تطلع إليه (صالح) في حيرة، في حين عقد (عزت) حاجبيه، وهو يسأله في صوت يحمل انفعالات الدنيا كلها:

- ماذا تعني؟

التمعت ضحكة مزهوة في عيني (دارك)، وارتشف رشفة كبيرة من كأسه، وهو يتطلع إلى وجهي (صالح) و(عزت) في جذل، وكأنما يروق له رؤية حيرتهما ولهفتهما، قبل أن يقول في بطء:

- سنمنحه براءة المهندس.

حدقا في وجهه في ذهول، قبل أن يهتف (عزت):

- أي هراء هذا؟

عقد (دارك) حاجبيه، قائلاً:

- لا شأن لك أنت بهذا.

احتقن وجه (عزت) وأشاح بوجهه في حنق، في حين قال (صالح) في عصبية:

- ولماذا نمنحه هذه الهدية؟

أجابه (دارك) في ضجر:

- لأننا لا نرغب في إشعال حروب جانبية.

تدخل (عزت)، قائلاً في حدة:

- أظن أن الوقت لتفادي ذلك قد انتهى.

التفت إليه (دارك)، يسأله في حدة:

- ماذا تعني؟

أجابه فيما يشبه الشماتة:

- أعني أن رجالنا يراقبون مكتب المحامي، الذي اعتاد ارتداء القناع، وإطلاق اسم (العقرب) على نفسه، ولديهم أوامر بقتله فور رؤيته، و...

قبل أن يتم عبارته ارتفع رنين الهاتف المجاور له فالتقط سماعته في حركة غريزية، وقال:

- من المتحدث؟

احتقن وجهه، وهو يستمع إلى محدثه في اهتمام، ثم قال في حدة:

- لا بأس.. المهمة ألغيت.. راقبوا المحامي، وأبلغونا بأمره فحسب.

وأعاد السماعة في عنف وهو يقول:

- لقد وصل المحامي إلى مكتبه، ولكنه غادره في سرعة، قبل أن يقدم رجالنا على اتخاذ خطوة واحدة للقضاء عليه.

سأله (صالح) في دهشة:

- ولماذا فعل؟

أجابه في صوت خافت:

- كان يحمل زميلته، والدماء تنزف من ذراعها.

التمعت عينا (صالح)، وهو يقول في ابتهاج:

- إذن فقد نجحت (لوسي) في مهمتها هذه المرة.

ثم اتجه نحو البار، وصب كأسًا من الخمر، رفعها بيده عاليًا، وهو يقول:

- نخب نجاح مهمة (لوسي)..

ابتسم (دارك)، وهو يقول:

- ونخب بدء مهمتنا الكبرى.

قال (عزت) في حدة:

- الواقع أن صفقتكم الجديدة هذه تبدو لي خاسرة.

التفت إليه (دارك) في حدة، في حين قال (صالح) في دهشة:

- أي قول هذا؟

أجاب (عزت) في عصبية:

- إن خطتكم كلها تعتمد على اختراق الحدود، وليس من السهل أن تنشب حرب بين دولتين؛ بسبب حادثة يمكن تفسيرها والاعتذار عنها دبلوماسيًا.

بدا القلق على وجه (صالح)، وأدار عينيه إلى (دارك) في شك، وهو يغمغم:

- هذا صحيح إلى حد ما.

ابتسم (دارك) في سخرية، وجرع ما تبقى في كأسه دفعة واحدة، ثم قال:

- هذا لأنكما تجهلان الجزء الإسرائيلي من الخطة.

سأله (عزت) بنفس العصبية:

- وهل سنبقى على جهلنا هذا طويلاً؟

قال (دارك) في زهو:

- وما فائدتي إذن؟

وجلس على مقعد وثير، واضعًا ساقًا فوق ساق، وأشعل سيجارته في هدوء، ونفث دخانها في عمق، وكأنما يروق له دومًا إشعال لهفة الآخرين، قبل أن يستطرد:

- إن إشعال حرب بين دولتين أمر يحتاج إلى خبرة ومهارة، وإلى خطط كثيرة شديدة التعقيد، وخاصة في عصرنا الحالي.. ونحن خبراء في هذا المجال، وخبرتنا تقول إن الوسيلة المثلى لإشعال فتيل الدمار هي أن يكون حادث البداية متوقعًا.

سأله (صالح) في حيرة:

- ماذا تعني؟

نفث (دارك) دخان سيجارته مرة أخرى في عمق، وأجاب:

- إن مندوبنا في إسرائيل هو أحد رجال (الموساد)، وبواسطته وصلت لـ (الموساد) معلومات تقول: إن (مصر) تستعد للهجوم على إسرائيل، وشن حرب شعواء مفاجئة ضدها، وإنها ستبدأ هذه الحرب بهجوم من قوات الصاعقة، على إحدى نقاط المراقبة، على الحدود المصرية الإسرائيلية، وستنتظر (إسرائيل) هذا الهجوم في تحفز.

واتسعت ابتسامته، وهو يستطرد في زهو:

- ويمكنكما القول إن (إسرائيل) قد أعدت خطة هجومية بالفعل، ستبدأ فور حدوث الهجوم على نقطة مراقبة الحدود.

تمتم (عزت) في رهبة:

- يا للداهية.

لم يكد ينهي آخر حروف كلمته، حتى ارتفع رنين الهاتف مرة أخرى، فالتقط (عزت) سماعته أيضًا، وقال:

- أنا (عزت).. ماذا لديكم هذه المرة؟

صمت لحظات، يستمع في اهتمام، ثم ابتسم قائلاً:

- عظيم.. واصلوا مراقبته حتى صدور أوامر أخرى.

أعاد السماعة وعيناه تتألقان في شدة، مما جعل (صالح) يسأله في اهتمام:

- ماذا حدث؟

أجابه (عزت) في نشوة:

- لقد حمل المحامي زميلته المصابة إلى مركز الإسعاف، ولكنها كانت قد فقدت الكثير من الدماء.

هتف (صالح):

- وماذا حدث؟ هل تم إسعافها؟

اتسعت ابتسامة (عزت)، وهو يقول في سخرية:

- إسعافها؟!

سأله في لهفة:

- ماذا حدث إذن؟

ازدادت عينا (عزت) تألقًا، وبدا أشبه بوحش مفترس، وهو يقول في ارتياح:

- لقد ماتت.

• • •

ملك الجريمة

22- الدليل..

قفز اللواء (حلمي) من فراشه في توتر، عندما ارتفع رنين جرس باب منزله ليختلط بدقات الساعة، وهي تعلن منتصف الليل تمامًا، واستيقظت زوجته بدورها، وهي تسأله في فزع:

- ماذا هناك؟ من يزورنا في مثل هذه الساعة؟

التقط (حلمي) مسدسه، وهو يقول في حزم:

- لا داعي للقلق.. ربما هو استدعاء عمل.

رددت في دهشة، لم تلغ شيئًا من ذعرها:

- استدعاء عمل؟! ولكنهم يستدعونك – عادة – بواسطة الهاتف.

قال في صرامة:

- ربما كانوا بالقرب من هنا.. هيا.. عودي إلى فراشك.

كانت قد اعتادت دائمًا، بحكم المنشأ، طاعة زوجها بلا مناقشة، إلا أنها عجزت هذه المرة عن العودة إلى فراشها، وإن اكتفت باختلاس النظر إلى باب الشقة، الذي يتجه إليها زوجها ممسكًا مسدسه، وهي تدعو الله أن يكون هذا مجرد استدعاء بالفعل..

وارتفع صوت اللواء (حلمي)، وهو يقول في حزم:

- من الطارق؟

هتف العقيد (مجدي) من خلف الباب:

- إنه أنا يا سيدي.. (مجدي).

هبط الجواب على قلب زوجة (حلمي) كالبلسم الشافي، فتنهدت في ارتياح، وقد اطمأنت نفسها إلى أن القادم صديق، ورددت بصوت يحمل سكينتها:

- (مجدي)!!

أسرع اللواء (حلمي) يفتح الباب، ويسأل (مجدي) في دهشة:

- ماذا حدث؟! لماذا تطرق الباب بهذا العنف والتوتر؟

اندفع (مجدي) إلى الداخل، وألقى جسده فوق أول مقعد صادفه، وراح يلهث في شدة وهو يقول في انفعال:

- لقد عثرت عليه أخيرًا يا سيدي.

سأله (حلمي) في دهشة، وهو يعيد مسدسه إلى جيبه، ويغلق باب منزله:

- ما هذا الذي وجدته؟

لوح (مجدي) بكفه، وهو يقول في حماس:

- الدليل يا سيدي.. الدليل.

اقترب منه (حلمي)، وهو يسأله في حيرة (حلمي):

- أي دليل؟

اعتدل (مجدي)، وملأ الانفعال كل خلية من خلاياه، وهو يجيب:

- الدليل على أن (نديم) هو (العقرب).

امتقع وجه (حلمي)، وردد في خفوت:

- (العقرب).

بذل أقصى جهده؛ للسيطرة على مشاعره، وهو يدير عينيه إلى زوجته، قائلاً:

- أعدي لنا فنجاني قهوة مركزين.

أسرعت زوجته تعد القهوة، في حين جلس هو إلى جوار (مجدي)، وسأله في اهتمام:

- ما الدليل الذي لديك؟

اندفع (مجدي) يقول في انفعال:

- كنت أراقب (نديم)، منذ عثر (صالح عثمان) على بطاقة (العقرب) في مكتبه، وكنت أعلم أنه سينتحل شخصية المقنع، إن عاجلاً أو آجلاً، والليلة تحقق لي ما كنت أصبو إليه.

سأله (حلمي) في لهفة:

- ماذا حدث الليلة؟

ازدرد (مجدي) لعابه، قبل أن يتابع في انفعال:

- الليلة رأيته يغادر مكتبه، ويستقل سيارته، فتسللت خلفه أنا والرائد (حسن)، ورأيناه يوقف سيارته، ثم يتجه في حذر إلى فيلا الهرم، وكان يرتدي قميصًا وسروالاً أسودي اللون، ولقد اختفى خلف الفيلا، وبعدها بنصف الساعة تقريبًا، تناهى إلى مسامعنا صوت إطلاق نيران، فأسرعنا نقتحم الفيلا، ووجدته أمامي.

هتف (حلمي):

- وجدت (نديم)؟!

لوح (مجدي) بذراعيه في حماس ملتهب، وهو يقول:

- بل وجدت (العقرب).. (العقرب) بزيه الأسود، وقناعه، وقفازيه.. وجدته في صراع مع (صالح عثمان)، ومدير مكتبه (عزت)، ورجل أجنبي.

هوى قلب اللواء (حلمي) بين قدميه، وهو يسأله:

- وهل نزعت عنه قناعه؟

بدا الغضب والسخط على وجه (مجدي)، وهو يقول:

- لم أجد الوقت لذلك.. لقد هاجمني ذلك الأخير ونجح في الفرار.

سرت رجفة خافتة في جسد (حلمي)، وتمتم في ارتياح:

- نجح في الفرار؟!

وعلى الرغم منه، ارتسمت على شفتيه ابتسامة واسعة، وهو يسترخي في مقعده، قائلاً:

- أين الدليل إذن؟

حدق (مجدي) في وجهه في دهشة، ثم هتف مستنكرًا:

- الدليل واضح يا سيدي.. لقد تتبعنا (نديم) إلى الفيلا، وعندما اقتحمناها كان (العقرب) داخلها، و....

قاطعه (حلمي) في حزم:

- هل رأيته أنت و(حسن) يبدل ثيابه؟

قال (مجدي) في توتر:

- لا.. ولكن...

قاطعه مرة أخرى في صرامة:

- ولكن ماذا؟ إن كل ما لديك مجرد قرائن وشبهات، لن تكفي حتى لاحتجاز محامٍ مثل (نديم) لأربع وعشرين ساعة.. إنكما لم ترياه يبدل ثيابه، ولم تنزعا قناعه، فماذا لديكما ضده؟

زاغت عينا (مجدي)، وهو يقول معترضًا:

- ولكن يا سيدي.. من الواضح أن...

قاطعه (حلمي) مرة ثالثة، بمزيد من الصرامة:

- الواضح بالنسبة لمن؟! أنسيت أن القانون لا يعترف بوجهات النظر، وإنما بالأدلة والثوابت والاعترافات؟ ألم تلحظ أنك ترتكب نفس ما هاجمت (نديم) من أجله، عندما كان يعمل في صفوف الشرطة؟ إنك تطلب إدانة رجل بلا سند قانوني واحد.

احتقن وجه (مجدي) في شدة، ونهض في حركة حادة، وهو يقول:

- يبدو أنك تعاطفت معه كثيرًا يا سيدي.

أجابه (حلمي) في قسوة:

- كلانا رجل قانون أيها العقيد، وليس من حقنا أن نتعاطف أو نضطهد.. جئني بدليل إدانة واحد ضد (نديم)، وسأكون أول من يضع القيود في معصميه.. هيا.

وقف (مجدي) صامتًا، يتطلع إلى رئيسه محتقن الوجه، ثم لم يلبث أن قال في حنق:

- فليكن يا سيدي.. سأعود يومًا وبيدي الدليل.. أقسم لك.

واندفع يغادر المنزل كالقذيفة، فهتفت زوجة اللواء (حلمي) وهي تحمل فنجاني القهوة:

- وماذا عن القهوة؟

ابتسم اللواء (حلمي)، وهو يقول:

- لا عليك.. سأتناول أنا الفنجانين، فأظنني أحتاج إليهما كثيرًا.

وتلاشت ابتسامته في بطء، وهو يستطرد:

- وأظن (نديم) يحتاج إلى ما هو أكثر منهما.. أكثر كثيرًا.

ولم يدرك لحظتها كم كان صادقًا..

ففي تلك اللحظة بالذات، كانت دماء (نديم) تسيل..

تسيل حقًا..

• • •

ملك الجريمة

23- المــأزق..

تنهد طبيب مركز الإسعاف في ارتياح، وهو يستمع إلى دقات قلب (غادة) هذه المرة واعتدل وهو يبتسم، قائلاً لـ(نديم):

- أظنها قد نجت.

أغلق (نديم) عينيه، وهو يتمتم:

- حمدًا لله.

كان يرقد على منضدة طبية، إلى جوار أخرى ترقد فوقها (غادة)، وكانت هناك أنابيب دقيقة تربط أوردتهما بعضها ببعض..

وكان دمه يسيل عبر تلك الأنابيب الشفافة الدقيقة..

وينتقل إلى عروقها..

وتابع الطبيب وهو يمسك معصم (غادة)، ويقيس نبضها:

- إنها معجزة بحق، لقد تصورنا جميعًا أنها انتهت، ولكن التدليك القلبي الخارجي أنعش قلبها المحتضر مرة أخرى، والدماء التي تنقلها أنت إليها ستضمن لها النجاة بإذن الله.

تمتم (نديم):

- هذا أفضل.

ابتسم الطبيب في حنان، وهو ينقل بصره بين وجهي (نديم) و(غادة)، قبل أن يقول:

- من حسن الحظ أيضا أن فصيلتي دمكما متشابهة.

قال (نديم) في هدوء:

- إننا نتشابه في أمور عدة.

بقيت ابتسامة الطبيب على شفتيه لحظات، ثم لم تلبث أن تلاشت، وهو يقول:

- بقيت النقاط القانونية.

صمت الطبيب، منتظرًا تعقيبًا من (نديم)، إلا أن هذا الأخير بقى صامتًا؛ مما حمل الطبيب على أن يتابع:

- لقد أصيبت الفتاة برصاصة، والقانون يقتضي إبلاغ الشرطة في هذه الحالة.

سأله (نديم) في هدوء:

- هل استخرجتم الرصاصة؟

هز الطبيب رأسه نفيًا، وأجاب:

- لا.. لقد اخترقت الذراع من الأمام إلى الخلف، ومزقت جانب الوريد العضدي، وهذا

ـسبب النزيف الشديد، ولقد خرجت الرصاصة بالطبع.

ران الصمت لحظة، ثم قال (نديم) في هدوء أثار دهشة الطبيب:

- اتخذ الإجراءات القانونية إذن.. أبلغ رجال الشرطة.

مط الطبيب شفتيه، وقال:

- لقد أبلغتهم بالفعل.

ارتفع صوت حانق صارم يقول:

- من سوء حظك يا (نديم).

أدار (نديم) عينيه إلى مدخل حجرة جراحات الطوارئ، وقال في هدوء:

- كيف حالك يا (مجدي)؟

اندفع (مجدي) داخل الحجرة، وهو يقول في شماتة:

- لقد تلقيت أنا البلاغ مصادفة، وأسرعت إلى هنا، فور قراءتي اسم زميلتك، وأنا أعلم أنها فرصة مثالية للإيقاع بك أيها الوغد.

عقد الطبيب حاجبيه، وهو يقول في دهشة:

- الإيقاع به؟! أهو مجرم هارب؟

قال (نديم) في هدوء، لا يخلو من حزم وصرامة:

- حذار مما تنطق به يا (مجدي)، فبشهادة هذا الطبيب، يمكنني أن أدينك بتهمتي السب العلني والتشهير.

هتف (مجدي):

- هراء.. أراهن أنني سأوقع بك هذه المرة.. إنني أتخيل ما حدث بالضبط.. لقد سرقت سيارة الشرطة، وانتقلت بها إلى حيث تركت سيارتك، وفيها نزعت قناعك وقفازيك، وعدت إلى مكتبك، ولكنك فوجئت هناك بزميلتك المصابة، فهرعت بها إلى هنا، دون أن تتخلص من القناع والقفازين على الأرجح، وسأعثر عليهما حتمًا بتفتيشك.

سأله (نديم) في برود:

- هل تحمل إذنًا بالتفتيش؟

ابتسم (مجدي) في سخرية عصبية، وهو يقول:

- لا حاجة لي به هذه المرة، فأنا هنا استجابة لبلاغ عن فتاة مصابة بطلق ناري، يصحبها رجل، ومن الطبيعي والقانوني في هذه الحالة أن أقوم بتفتيش هذا الرجل، بحثًا عن السلاح

الذي ارتكب به الحادث.

ومال نحو (نديم) في عنف، قائلاً في شماتة:

- إجراء قانوني.. أليس كذلك؟

اعترضه الطبيب بغتة، قائلاً في صرامة:

- خطأ.

التفت إليه (مجدي) في دهشة، وهتف في حدة عصبية:

- ماذا تعني؟ كيف تعترض على جزء يخص عملي؟

أجابه الطبيب في قوة:

- أنت الذي يعتدي على عملي.. إننا نجري عملية نقل دم الآن، وأي تدخل منك قد يفسد الأمر، والقانون يمنحني حق منعك من استجواب أي متهم، في مثل هذه الظروف.

عقد (مجدي) حاجبيه في شدة، وبدا من احتقان وجهه وانفراجة شفتيه أنه سينفجر بغتة في وجه الطبيب، إلا أنه لم يلبث أن تراجع، واستند إلى الحائط، وعقد ساعديه أمام صدره، وهو يقول في عصبية:

- فليكن.. سنحافظ على قانونية الأمر تمامًا هذه المرة، حتى لا تفسد العملية.. سأنتظر، ولن أبارح هذه الحجرة لحظة واحدة، حتى تنتهي عملية نقل الدم.

وفرد أصابع كفه أمام وجهه في حركة حادة عنيفة وهو يضيف:

- عندئذ ينتهي أمرك أيها (العقرب).

وأطبق اصابعه في قوة.

• • •

بدت العصبية واضحة في أصابع (صالح عثمان)، وهو يشعل سيجاره الكوبي، وينفث دخانه بعيدًا، ثم يلتفت إلى (جون دارك) وقائلاً:

- خطة شيطانية بالفعل يا مستر (دارك) ولكنني مازلت أشعر بالتوتر بشأنها.

هز (دارك) كتفيه، وقال:

- ألأنك مصري؟

صمت (صالح) طويلاً، وبدت نظراته شاردة، قبل أن يقول:

- لست أدري.. إن ما يقلقني بالفعل هو أن هذه أول عملية من عملياتي تتعرض للأمن

القومي على نحو صريح، ولن يرحمني أحد في حال كشف أمرها، فهي تندرج تحت صفة (الخيانة العظمى).

ابتسم (دارك) في سخرية، وهو يقول:

- إذن فأنت لم تعتبر المخدرات إضرارًا بأمن دولتك القومي أبدًا.. أليس كذلك؟

عقد (صالح) حاجبيه في غضب، وقال:

- الأمران مختلفان.

أطلق (دارك) ضحكة ساخرة، وقال:

- هكذا؟!

ثم أضاف في سرعة، قبل أن تنشأ في نفس (صالح) أية انفعالات جديدة:

- ولكن مليارين من الدولارات يكفيان لإخماد صوت الضمير هذا بالطبع.

مط (صالح) شفتيه، وتمتم:

- إلى حد ما.

ثم أضاف في عصبية:

- ولكن هذا لا يمنع شعوري بالتوتر.

والتفت بغتة إلى (عزت)، قائلاً في حدة:

- اسمع.. لقد كان مستر (دارك) على حق.. من الضروري أن ننهي عملية المحامي الشاب هذه على وجه السرعة، فلن أحتمل القتال على جبهتين، في الوقت الحالي.

قال (عزت) في حنق:

- ولماذا لا نقتله؟

أجابه (دارك) في حزم:

- لأننا لا نعلم ما الذي يختفي خلفه، ولا من يسانده .

شحب وجه (عزت)، وهو يتمتم:

- يسانده؟!

أجابه (دارك) في لهجة قاسية:

- بالطبع.. أتتصور أن شابًا وحيدًا، يمكنه أن يجرؤ على إتيان تلك الأفعال، في بلد يمر بمرحلة طوارئ أمنية مثل (مصر)، دون أن تكون هناك قوة تسانده؟

تمتم (صالح) في خفوت:

- إنني لم أدرس هذا الاحتمال قط.

التفت إليه (دارك)، وقال في حزم:

- اسمع يا مستر (صالح).. أنت على حق في أننا ينبغي أن نتفادى المعارك الجانبية في الوقت الحالي ؛ لذا فمن الضروري أن نتفاوض مع هذا المحامي الشاب، وأن نزيحه عن طريقنا في سرعة.

قال (صالح) في حسم:

- صدقت.

ثم قال لـ(عزت):

- اسمع يا (عزت).. مر الرجال بإحضار ذلك المحامي إلى مكتبي غدًا، مهما كانت الظروف..

وأضاف في حزم:

- ومرهم بإحضاره سليمًا معافى.

وشرد ببصره مرة أخرى، وهو يضيف:

- أريد أن أتفرغ للعبة الكبرى.

وبرقت عيناه في شبق، مع استطراده:

- لعبة الحرب والمال..

• • •

ملك الجريمة

24- الاستدعاء..

لم تكد عملية نقل الدم تنتهي، حتى اعتدل (مجدي) في وقفته، وحل ساعديه من أمام صدره، وقال في لهفة وظفر:

- من يمنعك عني الآن؟

عقد الطبيب حاجبيه في ضيق، وهو يقول:

- أنا.. فمن المحتم أن يحصل ذلك الفتى على قدر من الراحة، قبل أن تبدأ في استجوابه وتفتيشه، خاصة وقد فقد لترًا من دمه من لحظات.

مط (مجدي) شفتيه، وهو يقول:

- وماذا في هذا؟ لقد كان دمه ثقيلاً.

قال (نديم) في برود:

- دعابة سمجة.

بدا الغضب على وجه (مجدي)، وهتف وهو يندفع نحو (نديم):

- لديَّ ما هو أكثر سخافة منها.

هتف الطبيب في غضب:

- قلت لك إنه لم يستعد بعد للاستجواب أو التفتيش.

صاح (مجدي):

- فليذهب قولك هذا للجحيم، ما إن أنتزع القناع والقفازين من جيبه، حتى ينسى الجميع كل التجاوزات.

ارتفع صوت (غادة) بغتة، وهي تقول:

- فيما عداي.

التفت إليها الجميع في دهشة، ومنحها (نديم) واحدة من ابتساماته النادرة، وهو يقول في حنان أثار نشوتها:

- حمدًا لله على نجاتك يا عزيزتي.. هل استعدت وعيك الآن؟

تمنت لحظتها لو أنه يضمها إلى صدره، و...

نفضت الفكرة من رأسها قبل أن تكتمل، وقالت:

- لقد استعدت وعيي منذ دقائق، واقتضى مني الأمر هذه الدقائق، حتى استوعبت الموقف.

قال (مجدي) في حدة:

- هذا لا يمنع من تفتيش المشتبه فيه.

ابتسمت (غادة) في وهن، وهي تقول:

- لا يوجد مشتبه فيه.. إنه حادث عرضي.

هتف (مجدي) مستنكرًا:

- حادث عرضي؟! أي هراء هذا؟

أجابته في حزم:

- إنني أملك مسدسًا مرخصًا كما تعلم، ولقد كنت أعمل على تنظيفه، عندما انطلقت منه رصاصة، أصابت ذراعي.

ران الصمت تمامًا على المكان، بعد أن نطقت عبارتها، ثم لم يلبث (مجدي) أن قطعه في حدة:

- فلنؤجل ذلك حتى يتم تفتيش الـ...

قاطعه (نديم) في صرامة:

- حذارِ أن تمتد أصابعك إلى ملابسي.. لقد أعلنت (غادة) أمام الطبيب أن إصابتها مجرد حادث عرضي، وهذا يلغي أحقيتك في تفتيشي دون إذن من النيابة، ويمكنني مقاضاتك لو فعلت، بالإضافة إلى أن كل ما ستجده مع التفتيش لن يعد دليلاً؛ لأن العثور عليه لم يتم على نحو قانوني.

أضاف الطبيب في حزم:

- وأنا شاهد على هذا.

احتقن وجه (مجدي)، وهو يدير عينيه المحمرتين في وجوه الجميع، ثم لم يلبث أن قال في حدة:

- هناك مرة قادمة.. هناك فرصة أخرى حتمًا.

واتجه نحو باب الحجرة في حنق، وصرخ قبل أن يغادرها:

- ولكنني أراهن بعمري أن القناع والقفازين معك.

أجاب (نديم) في برود:

- ربما.

أغلق (مجدي) خلفه الباب في غضب، فهز الطبيب رأسه في أسف، وقال:

- يا له من رجل.

- ما الذي تفكر فيه بالضبط؟

أجابها في اهتمام شديد:

- يبدو لي أن (صالح عثمان) هذا متورط في لعبة جاسوسية.

هتفت في مزيج من الدهشة والاستنكار:

- لعبة جاسوسية ؟! ولكن كيف؟ ولماذا؟ إنه رجل ثري وشهير، و...!!

قاطعها:

- ربما يبحث عن مزيد من الثراء.. أو القوة.. إنه يلعب لعبة تضر حتمًا بمصلحة (مصر).

وتنهد في قوة، قبل أن يضيف في حزم:

- من الضروري أن نستعيد جهاز التسجيل الصغير؛ فبدونه ستبدو لنا العملية كلها مبهمة.

لم يكد يتم عبارته، حتى انفتح باب الحجرة بغتة، ودلف منه رجلان ضخما الحجم، تبدو الشراسة وكأنها محفورة في ملامحهما، فهب (نديم) متحفزًا للقتال، على الرغم مما فقده من دمه منذ قليل، ولكن أحد الرجلين أشار إليه قائلاً:

- مهلاً.. لسنا هنا لنتقاتل.. إننا ننقل إليك رسالة السيد (صالح) فحسب.

كان هذا أفضل، بالنسبة لـ (نديم)، في الوقت الحالي؛ لذا فقد استرخت عضلاته، وهو يعاود الجلوس على طرف المنضدة الطبية، وهو يقول في هدوء:

- وماذا يريد (صالح عثمان) مني؟

أجابه الرجل:

- يريد أن يلقاك في مكتبه، في العاشرة من صباح الغد.

ران الصمت لحظات، وإن بدت ملامح (نديم) جامدة، كما لو أنه تمثال من الصلب، على عكس ملامح (غادة) التي حملت الكثير من القلق والترقب، إلى أن أجاب (نديم) بذلك الهدوء الخرافي، الذي يتسم به:

- فليكن.. سأذهب إلى مكتبه في الموعد تمامًا.

لم تكد تنتهي عبارته، حتى تحرك الرجلان، كما لو أنهما مجرد رسالة مسجلة، وغادرا المكان دون كلمة إضافية، ومضت لحظة أخرى من الصمت، قبل أن تهتف (غادة):

- هل جننت؟ إنه كمين ولا شك.

هز رأسه نفيًا في هدوء، وقال:

- لست أظن هذا، فـ(صالح عثمان) أذكى من أن يقتلني في مكتبه.. الأرجح أنه يتخذ سياسة جديدة.

هتفت:

- أية سياسة؟

أجاب في بساطة:

- ربما قرر أن يلجأ إلى التفاوض؛ لإزاحتي عن طريقه دون مشاكل، وهذا يؤكد نظريتي، في كونه متورطًا في أمر أضخم من عملية قتل مدير مكتبه.

صمت لحظة، ثم أضاف:

- إنها أيضًا فرصة مثالية للذهاب إلى مكتبه، ومحاولة استعادة جهاز التسجيل الصغير، دون أن يتورط المرء في معركة بالرصاصات.

قالت في حسم:

- سنذهب معًا إذن.

أجابها في هدوء، يحمل نبرة آمرة قوية:

- لقد قرر الطبيب ضرورة بقائك هنا تحت الملاحظة، لأربع وعشرين ساعة قادمة، وهذا يحتم أن أذهب وحدي.

فتحت فمها؛ لتعترض، إلا أنها لم تلبث أن أطبقت عليه شفتيها، وقد تذكرت أن (نديم) ليس من ذلك النوع الذي يتراجع عن قرار اتخذه، وتنهدت متمتمة:

- كن على حذر.

ربت على كتفها في رفق، وهو يقول:

- سأحاول.

وعندما غادر انتفض قلبها في قلق، وقد بدا لها (نديم) يسير إلى هدف مخيف.. إلى حتفه..

• • •

ملك الجريمة

25- المواجهة..

هب (جابر جبريل)، أكبر وأشهر تاجر خردة في (مصر)، واقفًا، وتحول وجهه كله إلى ابتسامة واسعة عريضة، يعلوها شاربه الكث، وهو يفتح ذراعيه عن آخرهما، هاتفًا:

- يا صديقي (ماهر).. كم مضى منذ آخر لقاء لنا؟

تعانقا في حرارة تحمل رائحة نفاق فجة، وجلسا إلى جوار بعضهما البعض، كما لو أنهما صديقان حميمان، وقال (ماهر):

- كيف حال تجارتك مع مخلفات الجيش؟

لوح جابر بذراعه، وهو يقول في أسف مصطنع:

- لم تعد مربحة كثيرًا هذه الأيام.. إننا نبتاع منهم أسلحة تالفة، لم تعد تصلح للعمل، وندفع فيها أثمانًا خرافية، ثم نبيعها بعدئذ كقطع من الحديد.

أكمل (ماهر) ساخرًا:

- مقابل ملايين الجنيهات.

رمقه (جابر) بنظرة جانبية، قبل أن يتنهد قائلاً:

- الضرائب والمصروفات تمتص كل الربح تقريبًا.

كان مظهرهما يدعو للضحك، وهما يجلسان إلى جوار بعضهما البعض، بذلك التناقض الرهيب بين (ماهر) بنحوله وطوله الفارع، و(جابر) بقامته القصيرة، وجسده المكتنز ذي الكرش البارزة، ولكن الناظر إليهما كان يتبين على الفور أن (ماهر) هو الأكثر خبثًا ودهاء وهو يسأل (جابر):

- وهل من الضروري أن تتحول تلك الأسلحة القديمة إلى قطع حديد؟

رمقه جابر بتلك النظرة الجانبية مرة أخرى، ثم سأله:

- ماذا تقصد؟

مال (ماهر) نحوه، وقال في حزم:

- أقصد أنني أحتاج إلى قطعة سليمة.

سأله (جابر) في هدوء:

- وما نوع تلك القطعة؟

أجاب (ماهر) على الفور:

- دبابة.

عقد (جابر) حاجبيه في شدة، وهو يتمتم في خفوت:

- لماذا؟

أجاب (ماهر) في حزم:

- لا شأن لك بهذا.. فقط أحضر لي دبابة صالحة للسير.

تطلع إليه (جابر) طويلاً، في حيرة واهتمام ثم مال نحوه بدوره، يسأله:

- هل تعلم كم يتكلف هذا؟

ظل (ماهر) صامتًا، يتطلع إليه في برود، فأضاف:

- لكي تحصل على دبابة سليمة، من أطنان الخردة التي يبيعنا إياها الجيش، ينبغي أن تستعين بكل جزء سليم في عشر دبابات على الأقل، وهذا يعني..

قاطعه (ماهر) في برود:

- كم تطلب؟

تراجع (جابر) معتدلاً، وقال:

- ربع مليون.

عقد (ماهر) حاجبيه، وقال في حدة:

- أنت مجنون.

ابتسم (جابر) في خبث، وقال:

- المجنون هو من يسعى لشراء دبابة، لا من يبيعها.

تبادلا نظرة باردة قاسية، ثم قال (ماهر):

- سأدفع مائة وخمسين ألفًا.

هز (جابر) كتفيه المكتظين بالشحم، وهو يقول:

- لن أقبل أقل من مائتي ألف، و...

قاطعه (ماهر) في حزم:

- اتفقنا.

ثم دفع إليه حقيبة مكتظة بأوراق النقد، مستطردًا:

- هاهو ذا العربون.. متى أستلم البضاعة؟

فتح (جابر) الحقيبة، وسال لعابه على مرأى أوراق النقد المكدسة داخلها، وبرقت عيناه وهو يجيب:

- أسبوع.. أسبوع على الأكثر وتتسلمها صالحة للعمل.

ابتسم (ماهر) في ارتياح، وقال:

- هذا يعني أنه من الممكن أن نبدأ مبكرًا.

وتداعى في ذهنه طيف وجه (صالح عثمان)، وصورة خريطة الحدود المصرية الإسرائيلية، وهو يضيف كالحالم:

- وأن يقفز رصيدنا إلى مصاف الأرقام الستة.. مبكرًا أيضًا.

• • •

ضاقت عينا (لوسي) الجميلتين، وهي تستمع إلى (صالح عثمان) في مكتبه، قبل أن تقول في غضب:

- نجت من الموت؟! يا لها من محظوظة!

شاركها (صالح) غضبها، وهو يقول:

- لقد أخبرني (عزت) أمس أنها قد لقيت مصرعها، ولكن الرجلين اللذين نقلا رسالتي إلى زميلها أخبراني أنها قد نجت من الموت بأعجوبة، وأنها سليمة معافاة.

أشعلت (لوسي) سيجارة بين شفتيها، ونفثت دخانها في ضيق واضح، وهي تسأله:

- وأين هي الآن؟

أجاب ملوحًا بكفه:

- في مركز الإسعاف.. ستبقى هناك تحت الملاحظة حتى مساء اليوم.

برقت عيناها ببريق لم يخف عنه مغزاه، وهي تكرر:

- حتى المساء، هه!!

عقد حاجبيه، وهو يقول في صرامة:

- لا تقدمي على ما تفكرين فيه يا (لوسي)، لا أريد المزيد من المشاكل.

أجابته في شراسة:

- لقد رأت تلك اللعينة وجهي، وكشفت سري، الذي حافظت عليه طيلة عمري.

قال في حدة:

- أنت المسئولة عن هذا الخطأ.

ابتسمت في سخرية، ونفثت دخان سيجارتها عاليًا، وهي تقول:

- هكذا؟!

ثم حملت حقيبتها الصغيرة، واتجهت إلى الباب، قائلة في لهجة ظاهرها الاستهتار واللامبالاة:

- إلى اللقاء فيما بعد يا صغيري.

زمجر وهو يقول:

- (لوسي).. إنني أحذرك.

أطلقت ضحكة عابثة، وأغلقت الباب خلفها، ثم انقلبت ملامحها على نحو مخيف وهي تقول في شراسة:

- لا يا عزيزي (صالح)، لن يبقى على وجه الأرض مخلوق واحد، يكشف سر (لوسي).

وعربد شيطان الإثم داخلها حتى الأعماق..

• • •

بدا (نديم) بسيطًا هادئًا، وهو يغادر مكتبه، في التاسعة والنصف صباحًا، في طريقه للقاء (صالح عثمان)، وبينما كان يستقل سيارته، ظهرت أمامه بغتة السيدة (نوال)، وهي تتطلع إليه في قلق وتساؤل، دفعاه إلى أن يسألها في هدوء:

- صباح الخير يا سيدة (نوال).. ما الذي يقلقك هكذا في الصباح؟

قالت في صوت يحمل انفعالها كله:

- ابني يا أستاذ (نديم).. هل نسيته؟

بدا لها صوت (نديم) واثقًا حازمًا، وهو يقول:

- اطمئني يا سيدة (نوال).. سيحصل ابنك على البراءة.

لم تدر لماذا تسلل الارتياح إلى قلبها، مع صوته الهادئ الواثق، ونظراته القوية، على الرغم من ذلك الجمود التقليدي، الذي يشمل ملامحه كلها، فاكتفت بأن تمتمت:

- حقًا؟!

أدار محرك سيارته، وهو يقول:

- حقًا يا سيدتي.. حقًا..

وانطلق بالسيارة إلى موعده..

وفي العاشرة تمامًا، كان المصعد يتوقف به في الطابق الثلاثين، حيث مكتب (صالح) الخاص..

واستقبله (منـدور) رئيس الحراس بنظرة قاسية، جاوبه (نديم) بعبارة باردة يقول فيها:

- لديّ موعد مع السيد (صالح).

أجابه (مندور) في غلظة:

- أعلم ذلك.

ثم أضاف وهو يوجه فوهة مسدسه إليه:

- ارفع ذراعيك.

رفع (نديم) ذراعيه إلى أعلى في هدوء، فراح (مندور) يفتشه في دقة واهتمام، قبل أن ينهض، ويقول في لهجة تحمل نبرة ضيق:

- إنك لا تحمل أسلحة.

قال (نديم) في هدوء:

- هل أصابك هذا بخيبة أمل؟

حدجه (مندور) بنظرة قاسية، قبل أن يقول في حدة:

- تقدم أمامي.

أزاحه (نديم) جانبًا، وهو يقول:

- إنني أعرف طريقي.

اتجه في هدوء إلى حجرة مكتب (صالح)، وأسرع (مندور) يفتح الباب أمامه، فاستقبله الثلاثة.. (صالح) و(عزت) و(دارك)..

(صالح) بدا شديد العصبية، ينفث دخان سيجاره في توتر..

و(عزت) كان غاضبًا محنقًا، ألقى نظرة ساخطة على (نديم)، ثم أشاح بوجهه في حدة..

أما (دارك) فقد بدا هادئًا، ولقد ابتسم وهو يستقبل (نديم)، قائلاً بعربية ركيكة:

- مستر (نديم).. مرحبًا بك هنا.

وقال (صالح) في عصبية:

- اجلس يا سيد (نديم).

جلس (نديم) على أقرب مقعد لمكتب (صالح)، وهو يقول في بساطة:

- هل سينفجر المقعد؟ أم تنطلق من المكتب رصاصة إلى صدري؟

قال (صالح) في توتر:

- لا هذا ولا ذاك.. أنت اخترت مقعدك.

ثم مال إلى الأمام، وسأل (نديم) في حدة، وكأنه يرفض إضاعة لحظة واحدة:

- كم تطلب يا سيد (نديم)؟

لم يجب (نديم) بحرف واحد، فتابع (صالح):

- كم تقاضيت في قضية المهندس (أحمد) هذه؟

قال (نديم) في هدوء شديد:

- كم تتصور؟

لوح (صالح) بكفه، وقال:

- لا يهمني ذلك، فلن يبلغ أبدا ما سأعرضه عليك.

ومال نحوه أكثر، وهو يقول في توتر:

- ما رأيك في مليون جنيه؟

قال (نديم) في برود:

- مليون دفعة واحدة؟

قال (صالح) بنفاد صبر:

- مليونان.. ثلاثة.. قل لي كم تطلب.

أجابه (نديم) في حزم:

- أطلب براءة المهندس (أحمد).

تراجع (صالح) في مقعده بحركة حادة، في حين تدخل (دارك)، قائلاً:

- فليكن يا سيد (نديم).. أهذا كل ما تطلبه لتبتعد عن طريق السيد (صالح)؟

ران صمت تام على الحجرة لمدة نصف دقيقة، قبل أن يقول (نديم) في حزم:

- نعم.

أجابه (دارك) في حزم:

- ستحصل على براءة المهندس إذن.

سأله (نديم):

- متى؟

أجاب (دارك) في ثقة:

- ليوم.

اعتدل (نديم)، وهو يسأله:

- كيف يا سيد (دارك)؟ لقد شهد أربعة رجال أنهم قد رأوا (أحمد) يرتكب الجريمة.

قال (صالح) بعصبيته المفرطة:

- لقد سافر هؤلاء الشهود الأربعة إلى (أوربا) هذا الصباح، وسيختفي أثرهم هناك تمامًا، ولقد وصل خطاب إلى النائب العام هذا الصباح، يتهم الأربعة بشهادة الزور، ويعلن اسم القاتل الحقيقي.

بدا الاهتمام على وجه (نديم)، وهو يسأل:

- ومن القاتل الحقيقي؟

نفث (صالح) دخان سيجاره في حدة، وهو يقول:

- إنه أحد رجالي، ويدعى (طومان).

استرخى (نديم) في مقعده لحظة، وقال:

- وما الذي يدعوك إلى التضحية بأحد رجالك.

قال (عزت) في سخط:

- هذا شأننا.

تطلع (نديم) إليهم لحظة في صمت، ثم قال:

- هذا أيضًا لا يكفي لتبرئة موكلي.

قال (دارك) في هدوء:

- سيدلي (طومان) باعتراف تفصيلي، وسيدعي أنه قد قتل مدير المكتب السابق في ثورة غضب، وأنه خشي أن يعترف في البداية، وأنت تعلم أنه سيدان - في هذه الحالة - بتهمة ضرب أدى إلى موت، وهذا يعتبر أقل كثيرًا من القتل العمد، مع سبق الإصرار والترصد، ومع وساطة (صالح) بك، وتخفيف الحكم لاعتراف المتهم، لن تزيد العقوبة على خمس أو عشر سنوات، مع احتمال الافراج عنه مبكرًا، لحسن السير والسلوك، و...

قاطعه (نديم):

- من أين لك بكل هذه المعلومات القانونية يا مستر (دارك)؟

ابتسم (دارك) وهو يقول:

- من المستشار القانوني للشركة يا مستر (نديم).

قال (نديم):

- ولا ريب أن (طومان) هذا قد حصل على مليون أو مليونين مقابل هذه السنوات الخمس.

قال (عزت) في حنق:

- بل خمسة ملايين.

رفع (نديم) حاجبيه في دهشة، ثم لم تلبث ملامحه أن استعادت برودها التقليدي، وهو يشبك أصابع كفيه أمام وجهه، وبدا وكأنه يركز بصره وانتباهه على نقطة محدودة، في مكتب (صالح)، قبل أن يقول في هدوء:

- في هذه الحالة نتفق.

ولكنه هب واقفًا بغتة، واستند بكفيه إلى سطح مكتب (صالح)، الذي تراجع في حركة حادة، وذعر حقيقي، قبل أن يقول (نديم) في صرامة:

- ولكن لو خالفتم هذا الاتفاق..

شحب وجه (صالح)، وهو يهتف مقاطعًا:

- لن نخالفه.

ظل (نديم) مستندًا إلى حافة المكتب لحظات، ثم تراجع في هدوء،ودس كفيه في جيبي سرواله، وهو يقول:

- اتفقنا إذن.

ثم اتجه إلى الباب، قائلاً:

- إلى اللقاء.

استوقفه (دارك)، وهو يقول في حزم:

- هذا ينهي الصراع يا سيد (نديم).. أليس كذلك؟

التفت إليه (نديم)، وحدجه بنظرة باردة، ثم أكمل طريقه، وغادر المكتب في هدوء، وأغلق الباب خلفه، فلوح (عزت) بذراعه، وصاح محنقًا:

- كان الأفضل أن نقتله.

أجابه (صالح) في صرامة:

- اخرس.

ثم أضاف وهو ينهض من مقعده، وينفث دخان سيجارته في زجاج النافذة في عنف:

- لقد انتهت اللعبة بأسلوبنا.

ولكنه لم يكن مصيبًا..

لقد بدأت اللعبة..

وبدأت الجولة الأخيرة..

• • •

ملك الجريمة



26- وبدأت النهاية..

ابتسم طبيب مركز الإسعاف، وهو يتطلع إلى وجه (لوسي) الفاتنة، قائلاً في انبهار:

- نعم يا سيدتي.. الآنسة (غادة) هنا.. إنها نائمة الآن، فقد أعطيناها عقارًا مهدئًا.

ابتسمت (لوسي) ابتسامة جذابة، وهي تقول:

- ألا يمكنني رؤيتها إذن؟

هتف الطبيب:

- بالطبع يا سيدتي.. بالطبع.

أسرع يقودها إلى حجرة (غادة)، التي استغرقت في نوم عميق، ثم اعتذر، بانشغاله في العمل، وانصرف تاركًا الذئب وحده في بيت الحمل.

وابتسمت (لوسي) ابتسامة ظافرة، وهي تقول:

- أخيرًا أيتها المحظوظة.

وفتحت حقيبتها الصغيرة، والتقطت منها محقنا يحوي مادة ما، وهي تستطرد:

- هكذا ستنتقلين إلى العالم الآخر في هدوء، ودون حتى أن تستيقظي.

كشفت ذراع (غادة) في هدوء، وأدنت منه إبرة المحقن، وهي تتمتم:

- الوداع يا فقيدة المحاماة.

وفجأة أحاطت قبضة فولاذية بمعصمها، مع صوت (نديم)، يقول في صرامة:

- لم يحن وقت وداعها بعد.

التفتت إليه (لوسي) في حركة حادة، وهتفت:

- ابتعد.

ولكن (نديم) لوى ذراعها خلف ظهرها، في حركة سريعة عنيفة، جعلها تتأوه في قوة، وتهتف:

- أيها الوغد.

دفعها أمامه في عنف، وهو يقول في صرامة:

- اسمعي يا سيدة المجتمع القاتلة.. إنني أحذرك من الاقتراب من زميلتي مرة أخرى، وإلا فسأجعلك تندمين على اللحظة التي سمعت فيها اسمها.

قالت في ثورة:

- لن يمكنك أن تقتلني.. إنني سيدة مجتمع.

أجابها في برود:

- سأضيف إلى ذلك كلمة (سابقة)، إذا ما التقينا مرة أخرى، في ظروف مماثلة.

وفتح باب الحجرة، ودفعها خارجها في عنف، فصرخت:

- أيها الحقير.. ما من رجل يفعل هذا بـ (لوسي).

وفجأة.. وأمام كل العاملين في قسم الطوارئ تقريبًا، انتزعت (لوسي) مسدسًا صغيرًا من حقيبتها، في ثورة غضبها، وصرخت:

- ما من رجل يجرؤ.

وأطلقت النار نحو (نديم)..

• • •

لم يكن هناك مجال لصراع غير متكافئ في هذه اللحظة بالذات..

إن (لوسي) قاتلة محترفة..

و(نديم) يعلم أنها كذلك..

وكانت تحمل سلاحًا..

وهو أعزل..

وعندما أطلقت (لوسي) النار، لم يكن أمام (نديم) إلا أن يقفز داخل حجرة (غادة)، ويغلق الباب، الذي اخترقته رصاصة (لوسي)، وعبرت على قيد سنتيمترين من أذن (نديم)..

وفتحت (غادة) عينيها، وتبخر أثر العقار المهدئ من رأسها، مع دوي الرصاصة، وهتفت:

- ماذا حدث؟

أجابها (نديم)، وهو يغلق الباب في إحكام:

- إنها (لوسي).

هتفت في دهشة:

- (لوسي)؟!

وفي نفس اللحظة اخترقت الباب رصاصة أخرى، مع صرخة (لوسي) من الخارج:

- لن تنجو مني..

هتفت (غادة)، وهي تنهض في توتر:

- لقد أصيبت بالجنون حتمًا، حتى تطلق النار علنًا هكذا!!

قفزت الفكرة إلى رأس (لوسي) في نفس اللحظة، حينما تلاشت ثورتها وعصبيتها بغتة، مع دوي الرصاصة الثانية..

واتسعت عيناها في ذعر، وهي تتطلع إلى مسدسها الصغير، ثم تنقل بصرها في ارتياع إلى طاقم التمريض والأطباء والعاملين في المركز الإسعافي، الذين راحوا يحدقون فيها في فزع وذهول، حين اقترب منها طبيب المركز في حذر، ومد يده إليها، قائلاً:

- رويدك يا سيدتي.. رويدك.. أعطني هذا المسدس، وسننسى جميعًا ما حدث.

تواترت الأفكار في رأسها في سرعة مخيفة..

إنها تحمل مسدسًا غير مرخص..

ولقد أطلقت النار على محامٍ..

إنها جريمة حمل سلاح بدون ترخيص..

وشروع في قتل..

أضف إلى هذا أن فحص الطب الشرعي سيثبت أن رصاصات هذا المسدس بالذات قد أودت بحياة البعض، ممن قيدت حوادث مصرعهم ضد مجهول.

حتى فرارها لن يفيد..

إنها شخصية شبه عامة..

واحدة من سيدات المجتمع الشهيرات..

لقد انفضح السر، الذي حافظت عليه طيلة عمرها..

لقد انكشف أمرها..

وارتفع صوت الطبيب مرة أخرى:

- المسدس يا سيدتي.

وعندما أدارت عينيها إليه، وقع بصرها على رجلي شرطة يندفعان إلى المكان، وقد جذبهما دوي الرصاصتين..

لقد انتهى كل شيء..

إنهم سيلقونها في السجن..

وراء القضبان..

وسط مجتمع الأفاقين واللصوص والمحتالين..

وسيذوي جمالها..

سألته في لهفة، وقد أنساها الأمر مصرع (لوسي)، وذلك الهرج الذي يملأ المكان:

- هل استعدت التسجيل؟

أومأ برأسه إيجابًا، وقال:

- لقد استندت إلى حافة مكتب (صالح)، وانتزعت التسجيل بأطراف أصابعي، من أسفل الحافة، حيث أخفيته في المرة السابقة، ثم وضعته في جيبي، أمام عيون الجميع.

هتفت في جذل:

- أنت رائع.. أنت..

قاطعها صوت طبيب المركز يتنحنح، ويقول:

- معذرة، ولكن أظن أن رجال الشرطة سيطلبون رؤيتك، فلقد كانت المنتحرة تطلق النار عليك، قبل أن..

قاطعه (نديم) في هدوء، وهو يناوله بطاقة أنيقة، طبع عليها اسمه:

- سيهرع العقيد (مجدي) إلى هنا حتمًا، وسيدرك كل شيء، عندما تعطيه بطاقتي.

والتمعت في عينه ابتسامة، وهو يضيف:

- لقد اعتادوا ذلك.

وقبل أن يستوعب الطبيب الأمر، كان (نديم) و(غادة) قد انصرفا..

وكانت المعركة الفاصلة قد بدأت..

• • •

ملك الجريمة

27- زيارة ليليـة..

امتقع وجه (غادة) في شدة بعد أن انتهت من سماع ما سجله الجهاز الصغير، من حديث (صالح) و(سوريال)، وحديث (صالح) و(ماهر)، والتفتت إلى (نديم)، الذي بدا صامتاً، وإن لم تخل ملامحه من غضب مكتوم صارم، وهتفت في ذعر:

- حرب مصرية إسرائيلية؟! الأمر أخطر مما كنا نتصور بكثير يا (نديم).

قال في صرامة:

- بل هو أخطر أمر في الدنيا يا (غادة).. هذا التسجيل يقول إن (صالح عثمان) تاجر أسلحة بالغ الخطورة، وإنه يتعامل في هذا الشأن مع منظمة عالمية، دفعته إلى التخلي عن مصريته ووطنيته.. بل عن آدميته وبشريته، إلى الدرجة التي تسمح له بإشعال نيران حرب ضروس، قد تلتهم نصف شباب هذا الجيل، لمجرد الربح المادي.

ضربت (غادة) كفًا بكف، وهي تقول:

- من يتصور أن كل هذا قد بدأ بمحاولة تبرئة متهم شاب من جناية قتل؟!

أجابها وهو ينهض في حسم:

- لقد تبدلت الأمور يا (غادة)، أظننا نحتاج إلى تحرك حاسم وسريع، و...

قاطعه صوت العقيد (مجدي)، وهو يقول في حدة:

- وارتداء زي (العقرب).. أليس كذلك؟

التفت إليه (نديم) و(غادة)، وقال الأول في برود:

- لماذا لم تقرع الباب قبل دخولك يا (مجدي)؟

صاح (مجدي) في حنق:

- كيف تجد القدرة على مثل هذا القول بعد ما فعلته في مركز الإسعاف؟

قال (نديم) في هدوء:

- وما الذي فعلته؟

أجابه (مجدي) في حدة:

- لقد تركت خلفك جثة سيدة من أكثر سيدات المجتمع شهرة.

عقد (نديم) ساعديه أمام صدره، وقال:

- لقد أصيبت سيدة المجتمع الشهيرة هذه بحالة من الجنون المفاجئ، جعلتها تطلق النار عليّ، أمام أعين كل العاملين في مركز الإسعاف، من أطباء وممرضات وعمال، وحتى مرضى، وعندما هرع رجال الأمن إلى المكان، أطلقت سيدة المجتمع الشهيرة النار على رأسها،

وهتف النائب العام:

- من أنت؟ وكيف دخلت إلى هنا؟

أجابه المقنع في هدوء:

- يمكنك أن تدعوني (العقرب) يا سيدي..

هتف النائب العام:

- أنت؟! أهو أنت ذلك المقنع الذي منعت أنا نفسي نشر أية أخبار عنه؟

أجاب (العقرب) في بساطة:

- نعم.. أنا هو.

كرر النائب العام سؤاله:

- وكيف دخلت إلى هنا؟

أشار (نديم) إلى النافذة، قائلاً:

- من هنا.. الجو شديد الحرارة، وأنت ترفض استخدام أجهزة تكييف الهواء، وتفضل ترك النافذة مفتوحة، و...

قاطعه في دهشة:

- وماذا عن طاقم الحراسة؟

أجابه في بساطة، وكأنما يتحدث عن أمر طبيعي:

- إنني لم ألتقِ بهم، لقد هبطت من السطح.

حدق النائب العام في وجهه بحيرة بالغة، قبل أن يقول:

- وماذا تريد؟ إنهم يؤكدون أنك لست لصًا.

وضع (نديم) أمامه جهازًا صوتيًا صغيرًا، وهو يقول:

- أريد منك أن تسمع هذا التسجيل.

وأدار الشريط..

وبذهول تام، راح النائب العام يستمع إلى حديثي (صالح عثمان) المسجلين، مع (سوريال) و(ماهر)، حتى انتهى التسجيل، فهتف النائب العام:

- مستحيل!. (صالح عثمان) تاجر أسلحة وخائن؟! من يصدق هذا؟ مستحيل!!

خفض (العقرب) مسدسه، وهو يقول:

- الدليل بين يديك يا سيدي.. (صالح عثمان) لا يبالي بإشعال حرب مصرية إسرائيلية، تسيل فيها دماء شبابنا، بهدف مضاعفة ثروته مرات ومرات.

انتفض النائب العام في غضب، وهو يقول:

- لابد من إلقاء القبض على هذا المجرم الآثم.

قال (العقرب) في هدوء:

- على الرغم من صداقته للوزراء والمسئولين؟

عقد النائب العام حاجبيه، وهو يقول في حزم:

- القانون لا يعترف بالصداقات والعواطف.. ولن يسمح السيد رئيس الجمهورية أبدًا بتجاوز ما فعله (صالح عثمان)، حتى ولو كان صديقًا شخصيًا له...

بتر عبارته بغتة، وهز رأسه، قبل أن يضيف في سخط:

- ولكن هناك عقبة أخرى.

سأله (العقرب) في اهتمام:

- ما هي؟

أجابه النائب العام في ضيق:

- لابد من دليل قاطع.. التسجيل الذي أحضرته أنت ليس دليلاً قانونيًا؛ لأنه لم يتم بإذن النيابة.. صحيح أنه قد يكفي لبث الشبهات حول (صالح عثمان)، أو إضعاف موقفه وسط الوزراء والمسئولين، ولكنه لن يكفي أبدًا لإدانته، والسيد رئيس الجمهورية يصر دائمًا على الالتزام بالقانون.

ران عليهما الصمت لحظات، قبل أن يقول (نديم):

- وماذا لو أحضرت دليلاً؟

أجابه النائب العام في حزم:

- في هذه الحالة لن أتردد في استصدار أمر بإلقاء القبض على (صالح عثمان)، وسيحمل هذا الأمر توقيع السيد رئيس الجمهورية نفسه.

نهض (نديم) واقفًا، وهو يقول:

- سأحضر الدليل إذن.

سأله في اهتمام:

- كيف؟ ومتى؟

أجابه (نديم) في هدوء واثق:

- دع لي هذا الأمر يا سيدي.

وتعلق بحاجز النافذة، فهتف به النائب العام:

- لم لا تغادر المنزل من بابه؟ إنني لا أتهمك بشيء.

أجابه (نديم) في بساطة:

- لم يحن الوقت بعد.

ابتسم النائب العام، وقال:

- ليكن.. سأترك لك تحديد الوقت المناسب، ولكن ينبغي أن تلتزم ولو قليلاً بالقانون المدني، فمن الخطأ أن يبدأ لقاؤك معي بتصويب مسدسك إلى رأسي.

هز (نديم) كتفيه، وقال في هدوء:

- وماذا في ذلك؟

ثم ألقى مسدسه فوق فراش النائب العام، مستطردًا:

- إنه مجرد مسدس صوتي.

حدق النائب العام في وجهه لحظة في دهشة، ثم لم يلبث أن انفجر ضاحكًا، وهو يربت على كتف (نديم) في حرارة، ويعيد إليه مسدسه:

- رائع يا ولدي!! رائع!!

تمتم (نديم):

- إلى اللقاء يا سيدي.

تركه النائب العام يتعلق بحبل مدلى من سطح البناية، ويستخدمه في الصعود، ثم هز رأسه، متمتمًا في دهشة لم تفارقه بعد:

- (صالح عثمان)؟! من كان يتصور هذا؟

• • •

عندما عاد (عزت) إلى منزله، كانت عقارب ساعته تشير إلى الثانية وعشر دقائق صباحًا، ولم يكن حنقه قد فارقه بعد، منذ ذلك اللقاء مع (نديم) في الصباح، حتى إنه لم يكد يغلق الباب خلفه، حتى ألقى سلسلة مفاتيحه فوق منضدة قريبة في سخطه وهو يقول:

- اللعنة ! كل الأمور تسير على نحو سخيف.

ارتجف جسده ارتجافة قوية عنيفة، عندما انبعث من خلفه صوت صارم يقول:

- لأول مرة نتفق على أمر ما.

استدار (عزت) إلى مصدر الصوت في سرعة، وأسرعت يده إلى مسدسه، المختفي في جيب سترته، ولكن ملامحه وعضلاته كلها تجمدت بغتة، عندما وقع بصره على (العقرب)، بقناعه الأسود ونظراته الثاقبة الصارمة..

وفي هدوء مثير مخيف، قال (نديم):

- التقط مسدسك يا سيد (عزت)، مادمت ترغب في هذا، ولكن في بطء شديد، وباستخدام سبابتك وإبهامك فحسب، وألقِ المسدس أسفل قدميك.

أطاعه (عزت) في ذعر بالغ، وهو يتطلع إلى فوهة مسدس (العقرب)، الذي أضاف بنفس الهدوء:

- رائع، والآن اجلس على ذلك المقعد.

جلس (عزت) وهو يرتجف ارتجافة واضحة، وقال في توتر:

- ماذا تريد مني ؟ ألم ينته الأمر كله؟ لقد ألقت الشرطة القبض على (طومان)، الذي أدلى باعتراف تفصيلي كالمتفقَ عليه، وستصدر النيابة أمرها غدًا بالإفراج عن المهندس (أحمد).

قال (العقرب) في هدوء:

- لا شأن لي بقضية (أحمد) هذا.. إن أمرها يخص (نديم فوزي) المحامي.

حدق (عزت) في وجهه في ذهول، قبل أن يقول:

- ماذا تعني؟ ألست أنت (نديم فوزي)؟

أجابه (العقرب):

- لو أنكم تتصورون هذا فأنتم على خطأ.. إنني لست (نديم فوزي)، وكل منا يسعى لهدف يختلف عن الآخر، ولقد نال بغيته، أما أنا فلا.

سأله في عصبية :

- وماذا تريد أنت؟

أجاب (العقرب) في صرامة:

- (صالح عثمان).

عقد (عزت) حاجبيه في شدة، وهو يقول في توتر:

- ماذا تريد منه؟

أجابه:

- أريد تحطيمه.

حدق (عزت) في وجهه مرة أخرى في ذهول، وهو يقول:

- تحطيمه؟! تحطيم (صالح عثمان)؟!

ثم لوح بذراعيه، مستطردًا في حدة:

- وما شأني أنا بذلك؟

أجاب (نديم) في برود:

- أريد كل ما لديك من مستندات تدينه.

هتف (عزت) في دهشة:

- مستندات؟!

أجاب (نديم):

- نعم.. المستندات التي أمرك بنسخها على أسطوانة كمبيوتر، ثم تدميرها. لقد قمت أنت بنسخها، ولكنك احتفظت بالمستندات والوثائق الأصلية.

كان ذهول (عزت) عارمًا هذه المرة، وهو يهتف:

- كيف علمت كل هذا؟

رفع (نديم) أمام عينيه جهاز التسجيل الصغير، وهو يقول:

- كنت قد زرعت هذا أسفل حافة مكتب (صالح)، ولقد نقل إليَّ حديثكم كله عن المستندات.

قال في ذهول:

- وكيف علمت أنني احتفظت بالمستندات والوثائق بدلاً من تدميرها؟

أجابه بنفس البرود:

- لأن الذئاب والثعالب تحتفظ دومًا بجحر احتياطي، وكان من الطبيعي أن تحتفظ بما يدين (صالح عثمان)؛ حتى يمكنك المساومة به وقت اللزوم.

عقد (عزت) حاجبيه في صرامة، وهو يقول:

- ومن قال إنني سأمنحك هذه الوثائق؟

أجابه (نديم) في هدوء:

- لن يكون أمامك سوى أن تفعل.

هتف (عزت) في حدة وعناد:

- أراهنك.

اتجه (نديم) في هدوء إلى الهاتف، ورفع سماعته، ووضعها جانبًا، ثم ضغط أزراره في تتابع مألوف، جعل (عزت) يقول في توتر:

- إنه رقم (صالح) الخاص.

أجابه (نديم) في برود:

- أعلم هذا.

هتف في عصبية:

- ماذا تريد منه؟

قال (نديم) في صرامة:

- ستعلم بنفسك.

انتظر لحظات، ثم قال:

- (صالح عثمان).. جميل أن وجدتك.. ألا تعرف من أنا؟ إنني (العقرب).

انكمش (عزت) في مقعده، وهو يتطلع في مزيج من الذعر والدهشة إلى (العقرب)، الذي تابع:

- لا.. لا شأن لي بقضية المهندس (أحمد).. إنني أتحدث إليك لأبلغك أنني قد علمت بأمر مشروع إشعال الحرب المصرية الإسرائيلية.

اتسعت عينا (عزت) في رعب، عندما أكمل (نديم):

- نعم.. (عزت) أخبرني بها.. لقد اعترف بكل شيء.

وأنهى الاتصال على الفور، ورفع عينيه إلى (عزت)، الذي بدا أشبه بصورة مجسمة للرعب، واستطرد في هدوء:

- ما رأيك؟ من منا ربح الرهان؟

• • •

ملك الجريمة

28- انهيــــار..

انكمش (عزت) في مقعده في شدة، حتى كاد يمتزج بنسيجه، وساد الرعب في وجهه كله من حاجبيه إلى ذقنه، وهو يقول في صوت شاحب مرتعد:

- ماذا فعلت أيها التعس؟

قال (نديم) في برود:

- من منا التعس؟ إن (صالح عثمان) يعلم الآن أنك قد كشفت سره الكبير، وفضحت أمره، وهو رجل لا يغفر لمن يفعل به هذا، ولا ريب أنه سيقتلك بلا رحمة.

ترقرقت عينا (عزت) بدموع الرعب، وهو يهمس:

- ماذا فعلت بي؟

جلس (العقرب) على طرف مقعد قريب، وهو يتابع:

- ورجل مثل (صالح عثمان)، بكل نفوذه واتصالاته، لن يعدم وسيلة للقضاء عليك وتحطيمك، وقتلك شر قتلة.

سالت الدموع من عيني (عزت) بالفعل، و(نديم) يردف:

- إلا إذا..

اعتدل (عزت) بحركة حادة، وقال:

- إلا إذا ماذا؟

هز (نديم) كتفيه، وقال:

- إلا إذا فقد (صالح عثمان) نفوذه واتصالاته وقوته.

عاد (عزت) ينكمش في مقعده، قائلاً:

- كيف؟

لوح (العقرب) بمسدسه، قائلاً في هدوء:

- بما لديك من وثائق ومستندات.

ازداد انكماش (عزت) في مقعده مرة أخرى، وبدا من ملامحه أنه شديد الحيرة، وأنه يدرس الأمر في عمق..

ولكن فجأة اعتدل (عزت)، وتألقت في عينيه نظرة عجيبة، وهو يقول في حزم:

- لا.. لن أفعل.. لن تحصل على شيء.

وفي نفس اللحظة، برز (جون دارك) من باب جانبي، وهو يصوب مسدسه إلى (نديم)، قائلاً:

- يبدو أن هناك تجاذبًا قويًا بيننا أيها (العقرب).

وبسرعة لا يتصورها عقل، مال (نديم)، وقذف مسدسه الصوتي نحو (جون دارك)، قائلاً في حزم:

- بالتأكيد.

ارتطم المسدس بوجه (دارك)في عنف، وألقى هذا الأخير سبابًا ساخطًا، في نفس اللحظة التي قفز فيها (العقرب) نحوه، وقبض على معصم اليد الممسكة بالمسدس، ولواه في قسوة، أجبرت (دارك) على ترك مسدسه، وهو يتأوه في شدة، فهوى (العقرب) على فكه بقبضة كالفولاذ، وهو يقول:

- إنك تفسد الأمور دومًا أيها الأجنبي.

وأعقب لكمته بأخرى كالقنبلة، حطمت أنف (دارك) تمامًا، و(العقرب) يضيف:

- وأنا أكره تدخل الأجانب في شئوننا.

قفز (عزت) من مقعده، في محاولة لاستعادة مسدسه، وإطلاق النار على (العقرب)، ولكن هذا الأخير استدار يركل المسدس بعيدًا، هاتفًا:

- ليس الآن أيها المجرم.

ثم ارتفعت قبضته تركل وجه (عزت)، وهو يضيف:

- ليس بعد أن بلغت هذه النقطة.

سقط (عزت) على ظهره أرضًا، وأمسك ذقنه، وهو يتأوه في ألم، في حين اتجه (العقرب) نحو مسدس (دارك)، وحمله في هدوء، وقال:

- والآن يا سيد (عزت)، ماذا عن الرهان؟

انهار (عزت) تمامًا، وقال:

- سأسلم كل شيء.. كل الوثائق.. كل المستندات.

قال (العقرب) في احترام:

- ألم أقل لك إنه لن يكون أمامك سوى هذا؟

نهض (عزت) في انهيار، واتجه وخلفه (نديم) إلى حجرة نومه، وأزاح مرتبة السرير، وجزءًا من قائمه، وانتزع الأوراق كلها من مخبأ خاص، وناولها إلى (العقرب) في استسلام..

وفحص (العقرب) الأوراق في سرعة، وغمغم:

- رائع.. هنا ما يكفي لإدانة (صالح عثمان)، وتسليمه إلى حبل المشنقة رأسًا.

سأله (عزت)، وقد اقشعر بدنه لسماع الجملة الأخيرة:

- وماذا عني؟

قال (نديم) في برود:

- ماذا عنك؟

قال في توتر زائد:

- لابد من حمايتي، حتى يتم إلقاء القبض على (صالح)، وإلا فسيقتلني قبلها.

أجابه (نديم) في هدوء:

- اطمئن.. إنه حتى لن يحاول.

هتف (عزت):

- مستحيل! إنني أعرفه أكثر مما تعرفه كثيرًا.. إنه لن يرحمني، بعد أن أخبرته هاتفيًا أنني..

قاطعه (نديم):

- اطمئن.. إنه لم يسمع شيئًا.. لقد قطعت أسلاك الهاتف قبل أن تصل أنت.

حدق (عزت) في وجهه بذهول، ثم هتف وهو ينقض عليه في جنون:

- أيها الوغد المخادع.

استقبله (نديم) بلكمة كالقنبلة، ألقته فوق فراشه، ثم اعتدل، ودس الأوراق كلها في حزامه، وهو يقول في ارتياح:

- انتهت العبة يا رجل.. انتهت لصالح (العقرب)..

وبدت على شفتيه ابتسامة باهتة، وهو يضيف:

- كالمعتاد.

• • •

ابتسم النائب العام في هدوء، عندما رأى (العقرب) يدلف إلى حجرته، عبر النافذة المفتوحة، ويقف أمامه هادئًا، فقال:

- كنت أعلم أنك ستعود الليلة.. وكنت أنتظرك.

ثم سأله في اهتمام:

- هل أحضرت الدليل؟

ناوله (نديم) الأوراق كلها، وهو يقول:

- بالطبع.

اختطف النائب العام الأوراق في لهفة، وجلس على طرف فراشه، يتفحصها في اهتمام زائد للغاية، وهتف في ذهول:

- يا إلهي!! يا لها من وثائق بالغة الخطورة.. إنها ستطيح بـ(صالح) كالقنبلة.

ورفع عينيه إلى (العقرب)، يسأله في انفعال:

- كيف حصلت على هذه الوثائق؟

أجابه (نديم) في هدوء:

- إن لديّ أسلوبي الخاص.

ردد النائب العام في جزل:

- أسلوبك الخاص؟! يا للطرافة!!

ثم اعتدل يستطرد في صدق:

- إننا نحتاج إلى رجال مثلك أيها (العقرب).. صدقني.. لو أن لدينا عشرة مثلك لقضينا على نصف الفساد في مجتمعنا.

ووضع كفيه على كتفي (نديم)، مستطردًا في حماس:

- ما رأيك في العمل لحسابنا ؟ انزع قناعك هذا، واعمل بوجه مكشوف، وسأبذل قصارى جهدي لمنحك كل السلطات القانونية، و...

قاطعه (نديم) في هدوء:

- معذرة يا سيدي، ولكن هذا يخالف أسلوبي، فأنا أعمل فقط، عندما يقف القانون عاجزًا.

مط النائب العام شفتيه في أسف، وهو يقول:

- يا للخسارة!

ابتسم (نديم) ابتسامة باهتة، لم تلبث أن تلاشت بأسرع مما ولدت، وهو يقول:

- هناك نقطة أخرى يا سيدي.. لو أنك أرسلت رجال الشرطة إلى منزل (عزت)، مدير مكتب (صالح عثمان) الحالي، فسيجدون هذا الوغد هناك، فاقد الوعي، وموثق اليدين والقدمين، وإلى جواره جاسوس أجنبي، يدعى (جون دارك)، هو مندوب الاتصال بين (صالح) ومنظمة تجار الأسلحة.

ابتسم النائب العام، وهو يقول في حماسة:

- رائع.

سأله في اهتمام:

- والآن يا سيدي، وبعد أن حصلت على كل الأوراق، التي تدين (صالح عثمان)، ماذا سيكون مصير ذلك المجرم.

- أجابه النائب العام في حزم: (نديم).. لقد وعدتك.. لن تشرق شمس الغد حتى يكون الأمر قد انتهى.

تنهد (العقرب) في ارتياح وقال:

- لا يا سيدي.. لن يكون قد انتهى تمامًا.

تطلع إليه النائب العام في حيرة..

ولكنه لم يفهم ما الذي يعنيه (العقرب) بهذا...

لم يفهمه أبدًا..

• • •

29- النهايــة..

عم الذهول ثلاثة أرباع (مصر) على الأقل، عندما أذيع نبأ إلقاء القبض على (صالح عثمان) بتهمة الخيانة، في النشرات الإخبارية المبكرة، وتهافت الناس على باعة الصحف؛ لمعرفة التفاصيل، وزاد من حيرتهم ودهشتهم أن الصحف قد خلت تمامًا من أية إشارة إلى الأمر؛ لأن إلقاء القبض على (صالح عثمان) تم بعد أن طرحت الصحف للبيع بالفعل..

ولم يصدق الناس آذانهم في البداية؛ إذ كان (صالح عثمان) يبدو دومًا وكأنه أقوى رجل في الدولة، على الرغم من أنه لم يحتل أبدًا أية مناصب رسمية أو سياسية..

ووسط كل هذا الخضم، كانت (غادة) تجلس في حجرة مأمور السجن، وأمامها (طومان)، الذي بدا شديد التوتر والعصبية، وهو يقول:

- لا.. لست أوافق على الاستمرار في هذه اللعبة، وخاصة بعد أن سقط الرئيس.. سأخبرهم أنني لم أقتل مدير المكتب السابق.. لن أنقذ عنق ذلك المهندس.

قالت (غادة) في سخرية:

- إنك لن تنقذ عنقه.. إنك تنقذ عنقك أنت.

تطلع إليها في شك، وهو يقول:

- عنقي أنا؟!

أجابته في تهكم:

- بالتأكيد.. إنك تواجه أمرين، لا ثالث لهما، فإما أن تصر على اعترافك، الذي يمنح البراءة للمهندس (أحمد)، أو نقدم نحن من الأدلة ما يدينك بالتورط في تهمة الخيانة العظمى، تضامنًا مع رئيسك.. ماذا تختار؟

راح (طومان) يفرك أصابعه في عصبية، قبل أن يقول:

- وهل هناك مجال للاختيار؟

قالت في سخرية:

- هل رأيت؟

ثم نهضت مستطردة في حزم:

- صدقني.. كنت أتمنى أن أقدمك بنفسي إلى حبل المشنقة، ولكن حياتك القذرة لن تساوي لحظة من حياة رجل بريء.

انهار (طومان)، مغمغمًا:

- أعلم هذا.. صدقيني.. أعلم هذا.

كان (نديم) ينتظرها في سيارته خارج السجن، ولم تكد تستقر إلى جواره، حتى سألها في هدوء:

- ماذا فعلت؟

قالت في ارتياح:

- إنه لن يتراجع عن اعترافه.. سيحصل (أحمد) على البراءة.

انطلق بالسيارة مغمغمًا:

- عظيم.

سألته مبتسمة، وهما يبعدان عن السجن:

- وماذا عن الكمبيوتر.

قال في هدوء:

- سنبتاع واحدًا جديدًا.

ضحكت قائلة:

- إنه الثالث.. أليس كذلك؟

أجاب:

- بلى، ولكنه هذه المرة من نوع جديد، له شاشة غير قابلة للكسر.

تطلعت إليه في حنان، وهي تقول:

- إذن فهو مصفح مثلك.

لم يجب، ولكن عينيها قالتا الكثير، وهو يتطلع إليها..

الكثير جدًا..

• • •

اتسعت عينا (ماك)، زعيم منظمة تجار الأسلحة العالمية، وهو يتطلع إلى معاونه (فرناند) في دهشة بالغة، هاتفًا:

- ألقوا القبض على (صالح)؟! مستحيل!

انحنى (فرناند) يشعل له سيجاره، وهو يقول في حنق:

- لقد كشفوا أمره، وأمر اتصالاته بنا، وخطة إشعال الحرب المصرية الإسرائيلية، وأذاعوا كل هذا.. لقد ألقوا القبض على (دارك) أيضًا.

نفث (ماك) دخان سيجارته في حدة، وهو يقول:

- يا للمصريين!! إنهم يبدون كطيور نائمة، حتى ليخيل إليك أنهم مجرد عصافير رقيقة، ثم إذا بهم ينقلبون إلى نسور جارحة، بمجرد أن تمتد يداك إليهم.

ثم هز رأسه في أسف، مستطردًا:

- لقد خسرنا صفقة رهيبة يا (فرناند).

قال (فرناند):

- وخسرنا رجلنا في (مصر) أيها الزعيم.

هز (ماك) رأسه نفيًا، وقال:

- لست أهتم كثيرًا بخسارة البشر يا (فرناند)، فمن الممكن أن تجد بديلاً لـ(صالح عثمان)، ما دامت شهوة البشر للمال موجودة، ولكن خسارة المال هي الخسارة الحقة.

ونفث دخان سيجاره مرة أخرى، قبل أن يضيف في قلق:

- ولكن (صالح) و(دارك) يعلمان الكثير عن منظمتنا، وهذه مشكلة أخرى.

صمت طويلاً، وهو ينفث الدخان، ويفكر في عمق، ثم لم يلبث أن قال في حنق:

- لو أنهما في (أمريكا) لأرسلت من يقتلهما في سجنهما، ولكن (مصر) هذه تكتظ بالقوانين السخيفة.

ونهض مستطردًا:

- فليذهب (صالح) و(دارك) إلى الجحيم.. لقد أغضبني هذا الأمر بشدة، وأظنني أحتاج إلى إجازة في جزيرتي الخاصة يا (فرناند)، على الأقل حتى يمكنني تدبير صفقة ضخمة أخرى، تعوض الصفقة التي خسرناها.

وتنهد في عمق، ثم التفت إلى (فرناند)، يسأله في بساطة:

- قل لي يا (فرناند)!! أيهما تفضل؟ حرب بين (الهند) و(باكستان)؟ أم احتلال سوفييتي لـ(تركيا)؟

• • •

اتسعت ابتسامة اللواء (حلمي)، وهو يتطلع إلى (مجدي)، الذي راح يلوح بكفيه في حنق، هاتفًا:

- أقسم لك يا سيدي أن (نديم فوزي) هو (العقرب).. صحيح أنني أفتقر إلى الدليل حتى الآن، ولكنني سأعثر عليه يومًا.

سأله (حلمي) وهو يبتسم:

- لماذا تسعى إلى إثبات هذا بكل العناد والعنف يا (مجدي)؟

صاح (مجدي):

إنني رجل قانون يا سيدي، و(العقرب) هذا مجرد مجرم عادي

رفع (حلمي) حاجبيه في دهشة مصطنعة، وهو يقول:

- مجرم أفاق؟! عجبًا!! إنه لم يرتكب منذ ظهوره جرائمه رهيبة إلى هذا الحد.. لقد تسبب في الإيقاع بعملاقين من عمالقة الجريمة، ما كنا لنوقع بهما دون تدخله.

قال (مجدي) في حدة:

- ومن أدراك أنه لا يخلي الساحة لنفسه يا سيدي، وأنه يسعى لاحتلال عرش الجريمة وحده؟

ضحك (حلمي) وهو يقول:

- ربما.. من يدري؟

أخرج (مجدي) منديله من جيبه، وجفف به عرقه في عصبية، وهو يقول:

- سأثبت هذا يومًا.. سأثبت أن (العقرب) مجرد..

بتر عبارته بغتة، عندما سقطت من منديله بطاقة أنيقة استقرت بين قدميه، فانحنى يحدق فيها بذهول، وسأله اللواء (حلمي)، وهو يدور حول مكتبه لرؤيتها:

- ما هذه البطاقة؟

عقد (مجدي) حاجبيه في غضب، وهو يهتف:

- ذلك اللعين.

ولم يكد بصر اللواء (حلمي) يقع على البطاقة التي يتوسطها رسم لعقرب ذهبي، حتى انفجر ضاحكًا، على نحو أثار حنق (مجدي) وغضبه، فصرخ:

- سأوقع به يومًا.

واندفع يغادر مكتب اللواء (حلمي) قذيفة من الغضب، في حين انحنى هذا الأخير يلتقط البطاقة، ويتطلع إليها في ارتياح، قبل أن يبتسم في حنان ويقول:

- اطمئن أيها (العقرب).. إن الله (سبحانه وتعالى) يرعاك.

وعندما دس البطاقة في جيبه، كان يشعر بارتياح..

ارتياح عميق.

• • •

تمت بحمد الله

الرواية الثالثة

الإمبراطورة

الإمبراطـــورة

1- صـــــورة..

أطلقت (غادة) زفرة ارتياح قوية، وهي توقف سيارتها الصغيرة إلى جانب الإفريز المواجه للبناية الشاهقة، التي اتخذ (نديم فوزي) من إحدى شققها مكتبًا للمحاماة، وغادرت السيارة وهي تقول في سخرية:

- من الطريف أن يحسدك الكثيرون على حصولك على مكتب في وسط المدينة، وأنت تلعن هذا كل صباح في أثناء بحثك عن مكان توقف فيه سيارتك.

اتجهت في نشاط إلى البناية، واستقلت مصعدها إلى الطابق الذي يحوي المكتب ودلفت إلى المكان في سرعة كعادتها، وهي تهتف:

- صباح الخير يا عم (أحمد).. هل وصل الأستاذ (نديم)؟

ابتسم عم (أحمد)، عامل المكتب العجوز، وهو يقول:

- في الثامنة تمامًا كالمعتاد.

أطلقت ضحكة مرحة، وهي تتجه إلى حجرة مكتب (نديم)، قائلة:

- ماذا سيفعل عندما يمتلئ المكتب بالعملاء؟

قالتها وهي تفتح باب حجرة (نديم)، الذي رفع عينيه إليها في هدوء، وأطلت منهما ابتسامة ترحيب كبيرة، لم تنتقل إلى شفتيه أبدًا، و(غادة) تقول:

- صباح الخير يا محامي الضعفاء.. ألم تأتك بعد قضية مثيرة؟

هز كتفيه في هدوء، وهو يقول:

- كلها مجرد قضايا عادية.

جلست على المقعد المقابل لمكتبه، وهي تقول مبتسمة:

- هذا أمر طبيعي، فلن تواجه دائمًا رجالاً مثل (نعمان والي) و(صالح عثمان).

قال في هدوء:

- هذا صحيح.

التقطت من حقيبتها عددًا من الصحف والمجلات، دفعتها أمامه، وهي تقول:

- ها هي ذي كل صحف ومجلات اليوم كالمعتاد، مادمت تصر على قراءة كل حرف مطبوع في (مصر) كلها.

التقط صحيفة يومية شهيرة، وهو يقول:

- من الضروري أن يتابع المرء ما يدور حوله أولاً بأول.

غمغمت مبتسمة:

- ربما.

والتقطت واحدة من المجلات الفنية المعروفة، وراحت تتصفحها في صمت، في حين راح هو يلتهم أسطر الصحيفة بعينيه في سرعة واهتمام، حتى سمعها تقول:

- طريفة هي أخبار الفن.. أتصدق أن تلك النجمة السينمائية، التي صارت رمزًا للجمال هذه الأيام، تقيم حفلاً للاحتفال بعيد ميلادها، للمرة الثانية خلال ستة أشهر؟

تمتم في ضجر:

- إنها تبدو لي أخبارًا سخيفة.

ضحكت قائلة:

- الأسخف من هذا أنها قد أقامت الحفل في الصحراء المتاخمة للهرم، داخل خيمة كبيرة، أشبه بليالي ألف ليلة وليلة، وحضر الحفل لفيف من رجال المجتمع وسيدات الـ...

بترت عبارتها بغتة، مع شهقة قصيرة، جعلت (نديم) ينحي صحيفته جانبًا، ويتطلع إليها في حيرة، لم تلبث أن تحولت إلى مزيج من الدهشة والقلق، عندما رآها تحدق في واحدة من الصور الملونة الأنيقة، التي نشرتها المجلة لحفل النجمة السينمائية الجميلة، وقد اتسعت عيناها في شدة، فمال نحوها، يسألها:

- ماذا هناك يا (غادة)؟

أدهشه ارتجافة أصابعها، ونبرة البغض الشديدة في صوتها، وهي تشير إلى إحدى الصور، قائلة:

- هذه السيدة.

مال أكثر يتطلع إلى السيدة التي تشير إليها (غادة)، ورأى أمامه وجهًا مألوفًا، لسيدة في الأربعينيات من عمرها، ولكنها تحتفظ بجمال واضح، وحيوية تنقص من عمرها عشر سنوات على الأقل، وقد بدت في الصورة مبتسمة، يتألق شعرها الأشقر فوق رأسها كتاج من الذهب الناعم، وينسدل بعضه على كتفيها، اللذين يحيط بهما معطف من الفـ الثمين، ويتدلى من أذنيها قرطان كبيران، يشف تألقهما على أنهما من الماس الخالص..

كان كل شيء في الصورة يؤكد ثراء تلك السيدة الفاحش، وموقعها المتميز في المجتمع..

وعلى نحو غريزي انخفض بصر (نديم) إلى التعليق أسفل الصورة، وقرأ ما يشير إلى أن اسم هذه السيدة هو (جيلان شوكت)، وأنها واحدة من أكثر سيدات المجتمع القاهري شهرة وثراء، وأنها صاحبة عدة متاجر شهيرة في (مصر)، تختص كلها بأزياء السيدات والمجوهرات وأدوات الزينة..

وفي مزيد من الحيرة، عاد (نديم) يرفع عينيه إلى (غادة)، ويسألها:

- ماذا عن هذه السيدة؟

تقاطر البغض من حروف كلماتها، وهي تغمغم:

- لعنة الله عليها.

ودفعت المجلة جانبًا، ونهضت في حدة، واتجهت نحو نافذة الحجرة، وهي تقول في مرارة وكراهية:

- لا تجعل جمال تلك المرأة واسمها يخدعانك، فهذا الشعر الأشقر مصبوغ، وتلك العيون الزرقاء مجرد عدسات ملونة، واسمها ليس (جيلان شوكت)، ولم يكن أبدًا كذلك.

سألها في اهتمام مشوب بالحيرة والفضول:

- وما الذي يدفعك إلى بغضها على هذا النحو؟

قالت في غضب وحزن شديدين:

- لقد قتلت أحب مخلوقات الدنيا إلى قلبي.

وخفضت عينيها، وسال الدمع من كلماتها، وهي تستطرد:

- قتلت أمي.

وجاء دور (نديم)، لتتسع عيناه عن آخرهما..

• • •

مضت فترة طويلة من الصمت الثقيل، و(نديم) يحدق في (غادة)، التي توليه ظهرها، متطلعة عبر نافذة الحجرة إلى الخارج، ثم تجاوز (نديم) مكتبه، واتجه إليها في هدوء وصمت، ووضع يده على كتفها، وهو يقول في حنان:

- (غادة).

استدارت إليه في بطء، وهاله مرأى فيض الدموع، الذي يسيل من عينيها الجميلتين، ويغرق وجهها الصبوح، فهتف مرة أخرى:

- (غادة)!؟

تمنت هي – في تلك اللحظة – لو أنه احتواها بين ذراعيه، وضمها إلى صدره في حنان، ولكنها كانت واثقة من أن طبيعته الرصينة ستمنعه من فعل هذا؛ لذا فقد أزاحت كفه عن كتفها في رفق، ومسحت دموعها بأناملها، مغمغمة في شيء من الخشونة:

- ماذا تريد؟

أجابها في هدوء، يحمل الكثير من حزمه التقليدي:

- أريد معرفة كل شيء.

غمغمت:

- عن ماذا؟

أجاب في حزم:

- عن القصة كلها.. قصة (أمك) و(جيلان).

تنهدت في حزن، واتجهت مرة أخرى نحو المقعد المجاور لمكتبه، وألقت جسدها فوقه، وهي تقول في انفعال:

- كان هذا منذ عشر سنوات، عندما كانت أمي أشهر صحفية في (مصر)، وكانت تشتهر بحزمها الشديد في معالجة الأمور، وكراهيتها الشديدة للجريمة والمجرمين.. ولقد بدأت أمي - حينذاك - سلسلة من المقالات، تتحدث فيها عن جريمة بشعة، في حق الاقتصاد المصري، وصفتها أيامها بأنها خيانة عظمى للوطن وأمنه الاقتصادي، وجريمة تفوق الاتجار في المخدرات، إلا وهي تزوير النقد المصري والأجنبي، وغمر الأسواق الاقتصادية في مصر بملايين الجنيهات والدولارات المزيفة، التي تضعف قيمة النقد وتؤدي إلى حدوث تضخم مالي، وانهيار اقتصادي و...

بترت عبارتها، والتقطت أنفاسها اللاهثة في فرط الانفعال، ولوحت بذراعها مستطردة:

- أنت تفهم هذا بالطبع.

أومأ برأسه في هدوء، وقال:

- نعم.. أفهم.

التقطت نفسًا عميقًا، ملأت به صدرها، ثم تابعت:

- كشفت أمي كل ما يحدث، في عالم التزوير والتزييف، وأعلنت في مقالاتها أنها ستكشف اسم الزعيمة الغامضة الشرسة، التي تختفي خلف كل هذا؛ مما ألهب حماس القراء، فراحت أسئلتهم ورسائلهم تنهال على أمي هاتفيًا وبرقيًا وبريديًا، والجميع يناشدونها كشف الاسم وإزاحة الستار، ولكنها أصرت على أن تحتفظ بالاسم سرًا، حتى المقال الأخير، ورفضت الجهر به، حتى لرئيس التحرير ورئيس قسم مكافحة التزييف والتزوير في مديرية الأمن نفسها.

ازدردت لعابها مرة أخرى، ثم أضافت في مزيد من الانفعال:

- وفي الوقت نفسه تلقت أمي عدة تهديدات بالقتل، لو أنها أصرت على المضي في نشر مقالاتها هذه، ولكنها استقبلتها في عناد، وبعثت فيها التهديدات مزيدًا من الإصرار على

مكافحة زعيمة هذه العصابة المدمرة للاقتصاد.

صمتت لحظة، ازدردت خلالها لعابها، واغرورقت فيها عيناها بالدموع مرة أخرى، قبل أن تستطرد:

- وذات يوم، كانت أمي توصلني بسيارتها إلى مدرستي الثانوية، قبل أن تنطلق إلى جريدتها، عندما اعترضت طريقنا سيارة فارهة، قفز منها أربعة رجال، صوبوا إلينا أسلحتهم، وأجبرونا على التوقف، قبل أن تغادر السيارة سيدة أنيقة، سوداء الشعر والعينين، وتطلعت إلى أمي بنظرة ساخرة شامتة، وهي تقول: « لقد حذرتك ».. ووجدت أمي تهتف في وجهها: « لن يمنعني شيء من فضح كل جرائمك يا (فوقية).. لقد كشفت كل أوراقك و... ».

صمتت (غادة) بغتة، وراحت تمسح دموعها في عصبية، وهي تعض شفتها السفلى حتى تكاد تدميها، فربت (نديم) على كتفها مهدئًا، وهو يقول:

- وماذا؟

هزت رأسها، وكأنها تنفي شيئًا ما، ثم قالت:

- لم تزد أمي حرفًا واحدًا.. لقد أخرجت تلك اللعينة (فوقية) من معطفها مسدسًا صغيرًا، وأطلقت ضحكة ساخرة شامتة، ثم أطلقت منه رصاصة غادرة، اخترقت رأس أمي مباشرة..

انخرطت فجأة في بكاء حار، وراحت تنتحب في شدة، وهي تدفن وجهها في راحتيها، وكأنما تحاول منع عقلها من استعادة الذكريات الحزينة المؤلمة، فتنهد (نديم)، وعاد يلتقط المجلة، ويتطلع إلى صورة (جيلان شوكت) في اهتمام، قبل أن يقول:

- إذن فأنت تعنين أن (جيلان) هذه هي نفسها (فوقية)، التي قتلت أمك.

أومأت برأسها إيجابًا، فقال في اهتمام:

- آأنت واثقة تمامًا؟

قالت في حدة:

- لن أنسى أبدًا وجه المرأة، التي قتلت أمي أمام عيني.

تطلع إليها لحظات في إشفاق، ثم ألقى المجلة على سطح مكتبه، وهو يسألها:

- ولكن كيف لم تنتبهي إلى هذا من قبل؟ إن أخبار (جيلان شوكت) تملأ صفحات الاجتماعيات، منذ خمس سنوات على الأقل.

هزت رأسها، قائلة:

- لست أتابع تلك الصفحات.

والتفتت إليه مستطردة في حدة:

- ثم إنه من المفروض أن (فوقية رضوان) هذه قد لقيت مصرعها بعد أشهر قليلة من قتل أمي.

رفع حاجبيه هاتفًا:

- لقيت مصرعها؟!

أومأت برأسها إيجابًا، وقالت:

- هذا ما تم إعلانه رسميًا، فلقد أصابتني حالة من الانهيار العصبي الشديد، عندما رأيت أمي تلقى مصرعها أمام عيني، ورحت أصرخ في رعب وهلع؛ مما دفع المجرمين إلى الفرار، ولست أدري كيف لم تقتلني تلك الأفعى الوحشية - آنذاك - تخلصًا من دليل إدانتها، ولكنني لم أكد أستعيد وعيي في المستشفى، حتى أبلغت رجال الشرطة بكل ما حدث، وكل ما أمكنني وصفه من ملامح المرأة واسمها.. وبذلت الشرطة مساعيها كلها للبحث عنها، حتى أعلنت الصحف خبر وفاتها.

ازدردت لعابها مرة أخرى، وأضافت في انفعال:

- طالعني وجهها في صفحة الوفيات، وأسفله اسمها بالكامل، وبعض البيانات عنها، فأسرعت أبلغ رجال الشرطة، الذين تحروا الأمر، وعلموا أنها لقيت مصرعها في حادث سيارة، ولكنني أعربت عن شكوكي في موتها، فاستخرج رجال الشرطة إذنًا من النيابة باستخراج جثتها وفحصها.

سألها في اهتمام:

- وهل فعلوا؟

تنهدت قائلة:

- نعم، ولكن هذا لم يسفر عن الكثير، فلقد كانت الجثة مشوهة الوجه، محطمة الأطراف، بفعل الحادث، إلا أن الطبيب الشرعي قد استند إلى تطابق المقاييس والعمر، وأعلن أن الاحتمال الأرجح هو أن الجثة لـ (فوقية).. وهكذا أغلقت الشرطة ملف القضية كلها.

تردد لحظة، قبل أن يقول في خفوت:

- أليس من المحتمل أنها قد لقيت مصرعها بالفعل؟

التفتت إليه بنظرة غاضبة، واندفعت نحو المجلة، والتقطتها في حدة وصاحت مشيرة إلى الصورة:

- هذا ما استكنت إليه أنا أيضًا، طيلة السنوات العشر الماضية، إلا أنني لم أكد أرى صورتها حتى فهمت اللعبة كلها.. صدق أو لا تصدق أيها المحامي العنيد، ولكن هذه الشقراء الفاتنة هي نفسها زعيمة أكبر شبكة تزوير وتزييف نقد في مصر سابقًا، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم أي عمل قذر تتزعمه هذه الأيام!

تطلع إلى وجه (غادة) لحظات في صمت، ثم تنهد في عمق، وقال:

- لا بأس.. معرفة الحقيقة هذه المرة تحتاج إلى أساليب قد لا يقرها القانون المكتوب.

واتجه في هدوء نحو جانب من الحائط، وضغط زرًا خفيًا فيه، فانزاح جزء منه، كاشفًا فجوة خاصة استقر داخلها زي العقرب، وقناعه الأسود المخيف، و(تديم) يضيف في حزم:

- إنه يحتاج إلى هذا الزي.. إلى (العقرب).

• • •

2- المناورة الأولى..

«(نديم فوزي)؟!».

رددت (جيلان شوكت) هذا الاسم في حيرة، وهي تلقي نظرة طويلة على بطاقة (نديم) الأنيقة، التي حملها إليها سكرتيرها الخاص (هاني)، قبل أن تستطرد في تساؤل، وهي ترفع عينيها إلى (هاني):

- وماذا يريد (نديم) هذا؟

أجابها (هاني) في هدوء:

- يقول إنه يطلب مقابلتك لأمر عاجل وخاص للغاية.

رددت مرة أخرى:

- عاجل وخاص؟!

ثم سألت (هاني) في اهتمام:

- هل أخبرته بضرورة تحديد موعد سابق للمقابلة؟

أومأ (هاني) برأسه إيجابًا، وقال:

- نعم، ولكنه قال إن ما لديه أخطر من أن يحتمل الانتظار.

عقدت حاجبيها في توتر، وهي تستمع إلى العبارة الأخيرة، وراحت أظافرها المصبوغة تنقر سطح مكتبها في عصبية، ولم تلبث أن التقطت من علبة سجائرها سيجارة إنجليزية الصنع، أشعلتها بقداحة تحمل الحرف الأول من اسمها، ونفثت دخانها في قوة، قبل أن تقول:

- فليكن.. سألتقي به.

قال (هاني) في روتينية:

- كما تأمرين يا سيدتي.

استدار ليغادر حجرة مكتبها، ولكنها استوقفته؛ لتسأله في اهتمام:

- قل لي: كيف يبدو (نديم فوزي) هذا؟

هز كتفيه في هدوء، وقال:

- إنه نحيل بعض الشيء، وسيم، حازم القسمات، يبدو صلبًا، قوي الشكيمة، على الرغم من هدوئه الشديد.

ابتسمت ابتسامة عصبية، وهي تقول:

- هل لاحظت كل هذا من النظرة الأولى؟

أجابها في بساطة:

- إنه عملي.

أومأت برأسها متفهمة، وقالت:

- لا بأس.. دعه يدخل؛ فأنا في غاية الشوق لسماع ما لديه.

غادر (هاني) المكتب، ونفثت هي دخان سيجارتها مرات أخرى في قلق، حتى رأت (نديم) يعبر باب مكتبها بقامته الممشوقة، ووسامته الواضحة، فتركز بصرها عليه، وكأنما تحاول سبر غوره بنظراتها، ثم لم تلبث أن رسمت على شفتيها ابتسامة جذابة، وهي تمد يدها إليه، قائلة:

- صباح الخير يا أستاذ (نديم).. هل لي أن أفهم سر هذه الزيارة المفاجئة، ومعنى وصفك ما لديك بأنه بالغ الخطورة؟

صافحها (نديم) في هدوء، وهو يقول:

- سأخبرك بكل شيء يا سيدتي.

ثم جلس على المقعد المقابل لمكتبها، وهو يضيف:

- الواقع أن مهمتي محرجة بعض الشيء.

جلست على المقعد الفاخر، خلف مكتبها، وهي تسأله في قلق:

- ماذا تعني بقولك هذا؟

سألها بغتة:

- أخبريني أولاً: هل (جيلان شوكت) هو اسمك الحقيقي؟

كان من الواضح أن السؤال قد جاء مباغتًا إلى أقصى حد، وأنها لم تكن تتوقع حرفًا واحدًا منه، فقد فغرت فاها، وازدادت عيناها اتساعًا في ذهول، وتجمدت أطرافها كلها دفعة واحدة، واحتبس دخان سيجارتها في حلقها لحظات، حتى إنها سعلت بعدها في قوة، وحاولت أن تبتسم في عصبية، وهي تقول:

- أي سؤال هذا يا سيد (نديم)؟

أجابها في هدوء:

- يمكنك أن تقولي إنه السؤال الرئيسي في لقائنا يا سيدتي.

سحبت أنفاس سيجارتها في قوة، ولفظتها كنافورة من الدخان، قبل أن تقول في عصبية واضحة:

- لاحظ أنني لم أعرف بعد سبب هذا اللقاء، وأن وقتي أضيق من أن أضيعه دون أن..

قاطعها في هدوء أقرب إلى البرود:

- الواقع أنني هنا لرفع قضية ضدك.

مرة أخرى جاءت عبارته مفاجئة لها، فاتسعت عيناها كثيرًا، ثم أطفأت سيجارتها في عنف، وقالت في حدة:

- اسمع يا أستاذ (نديم).. إنني أبغض تلك الأساليب الملتوية السخيفة، وأكره أكثر ألاعيب المحامين الصغار أمثالك؛ ولهذا وذاك سأمنحك دقيقة واحدة، تشرح لي خلالها ما لديك في كلمات موجزة، وإلا فسآمر رجالي بإلقائك خارجًا، حتى ولو كنت قاضي القضاة نفسه.

لم يبد عليه أدنى اهتمام بتهديدها، وهو يقول في هدوئه التقليدي:

- الأمر لا يحتاج إلى كل هذا التوتر يا سيدة (جيلان)، كان يمكنك أن تصبري لحظات، وكنت سأشرح لك كل شيء، فلقد أخبرتك أنني هنا لمقاضاتك لحساب واحدة من عميلاتي، تؤكد أن لديها من الوثائق ما يثبت أنك..

صمت لحظة، وراقب تلك اللهفة الشديدة، التي ارتسمت على وجهها، قبل أن يضيف في حزم:

- أنك لست في الواقع (جيلان شوكت).

بدا التوتر على وجه (جيلان)، وإن حاولت أن تخفيه بضحكة عصبية، وهي تقول بصوت أجش منفعل:

- ما أطرف هذا!!! من أنا إذن؟

أتاها الجواب من بين شفتيه كالرصاصة، وهو يقول:

- فوقية.. (فوقية رضوان).

كان من الواضح أن المفاجأة أقوى مما تحتمل هذه المرة، فقد انتفض جسدها كله في قوة، واتسعت عيناها في شدة، وهي تحدق في وجه (نديم) بعينين كادتا تجحظان أو تقفزان من محجريهما، وتصرخ:

- من؟!

وبسرعة لم يكن يتوقعها (نديم)، تلاشى كل هذا، واستعادت (جيلان) هدوءها كله دفعة واحدة، وقالت:

- أي سخف هذا؟! إنني لم أسمع هذا الاسم قط في حياتي كلها.

قال (نديم) في هدوء:

- موكلتي تؤكد أن..

قاطعته في حدة:

- قل لها أن تلقي بنفسها في البحر.

رفع عينيه إليها، وهو يقول في صرامة:

- كنت أظننا سنتوصل إلى اتفاق.

لوحت بذراعها هاتفة:

- بشأن ماذا؟

هز كتفيه، قائلاً:

- بخصوص هذه الوثائق.

صرخت غاضبة:

- إنها لا تعنيني في شيء.. قل لها أن تشعل بها النيران، وتستخدمها لعمل قدح من الشاي.. ربما كان هذا أجدى.

نهض في هدوء، وقال:

- في هذه الحالة أجد نفسي مضطرًا للانصراف.

قالت في غضب:

- هذا أفضل من أن ألقي بك خارجًا.

حملت عيناه إليها ابتسامة ساخرة، لم تفصح عنها شفتاه، وهو يقول:

- إنه أفضل بالتأكيد.

انصرف في هدوء، ولم يكد يغلق الباب خلفه، حتى التقطت هي سماعة الهاتف، وضغطت أزراره في عصبية، ولم تكد تسمع صوت محدثها حتى قالت:

- إنه أنا يا (أكرم).. اسمعني جيدًا.. لقد ارتفع صوت من الماضي، يهدد بهدم الحاضر، ومن الضروري أن نخرسه، إذا أردنا أن يكون لنا مستقبل.. وأنا أنتظرك لنتباحث في هذا الشأن، ولنحسم أمر صوت الماضي هذا الليلة..

• • •

استمعت (غادة) إلى (نديم) في اهتمام، وهتفت في حدة:

- إنها تناور ولا شك.. من المؤكد أنها تشعر بقلق شديد لما أخبرتها به، ولكنها تتظاهر بعدم الاهتمام؛ حتى تقتل الشكوك داخلك.

قال (نديم) في هدوء:

- أعلم هذا.

حدقت في وجهه لحظة، وهتفت في ارتياح:

- إذن فأنت تصدق قصتي.

أومأ برأسه إيجابًا، وقال:

- إنني لم أشك في قصتك لحظة واحدة يا (غادة) ولكنني أضع دائمًا كل الاحتمالات أمامي، ومنها احتمال الخطأ البشري، والتشابه بين امرأة وأخرى، وهما احتمالان يعنيان أننا سنواجه امرأة بريئة، ونقاتلها بلا رحمة؛ لمجرد أنها تشبه قاتلة قديمة، ولهذا السبب بالذات ذهبت لمقابلة (جيلان شوكت)، وواجهتها بذلك الأسلوب المفاجئ الهجومي حتى أرى رد أفعالها، وأتيقن مما نحن بصدده، ولقد كان من الواضح أنها تخفي أمرًا ما، وانفعالها العنيف عند ذكر اسم (فوقية رضوان) يكفيني لتحديد موقفي منها.

ابتسمت في ارتياح وقالت:

- إنه لا يكفي كدليل قانوني.

أجاب في حزم:

- إننا هنا بصدد العدالة لا القانون.

تطلعت إليه لحظات في هدوء، ثم قالت:

- وما الذي يمكن أن يفعله (العقرب) مع (جيلان شوكت)؟

قال في هدوء:

- الكثير.

قبل أن يستطرد في حديثه، سمع الاثنان دقات عم (أحمد) على باب حجرة مكتب (نديم) فرفع هذا الأخير عينيه إلى الباب وقال:

- ادخل يا عم (أحمد).

دخل العامل العجوز، وارتسمت على شفتيه ابتسامة حانية، وهو يقول:

- زميل لك يطلب مقابلتك يا أستاذ (نديم).

سأله (نديم) في هدوء:

- زميل لي أنا؟ من هو؟

فجأة اقتحم رجل ممتلئ الحجرة، وبدا شعره الأشيب متناقضًا تمامًا مع حاجبيه السوداوين الكثين، وهو يهتف:

- (أكرم منصور) يا أستاذ (نديم).. المحامي الخاص لمجموعة شركات السيدة (جيلان شوكت).

بدا الضيق على وجه عم (أحمد)؛ لاقتحام الرجل الحجرة على هذا النحو، وعقدت (غادة) حاجبيها في توتر، وهي تتطلع إلى وجه (أكرم)، في حين بدا (نديم) شديد الهدوء، إلى حد مثير للأعصاب، وهو يقول لعم (أحمد):

- شكرًا يا عم (أحمد).. لقد أصبح الزميل في الحجرة بالفعل، ويمكنك أن تعد له قدحًا من الشاي حتى ننتهي من حديثنا.

تراجع عم (أحمد)، وأغلق الباب خلفه في هدوء، في حين عقد (أكرم) حاجبيه، وهو يتطلع إلى (غادة) في اهتمام بالغ، حتى سأله (نديم):

- في أي شأن أرسلتك السيدة (جيلان) يا أستاذ (أكرم).

أدار (أكرم) عينيه بسرعة عن وجه (غادة)، وابتسم ابتسامة مدروسة منمقة، وهو يقول:

- إنه أمر يحتاج إلى حديث خاص يا أستاذ (نديم).

أشار (نديم) إلى (غادة) وقال:

- الآنسة (غادة) هي شريكتي، وزميلتي في العمل.

التفت (أكرم) مرة أخرى إلى (غادة)، وسألها:

- (غادة).ماذا؟

أجابته في صرامة:

- (غادة) فقط.. لست تحتاج إلى معرفة الباقي.

ابتسم (أكرم) ابتسامة غامضة، وقال:

- بالتأكيد.

ثم أعاد بصره إلى (نديم)، مستطردًا:

- هل يمكننا أن نتحدث أمامها؟

قال (نديم):

- وبكل الوضوح والصراحة.

اتسعت ابتسامة (أكرم) الغامضة، وهو يقول:

- هذا أفضل.

وجلس على المقعد المقابل لمكتب (نديم)، متابعًا:

- قل لي يا أستاذ (نديم): كم تطلب مقابل الإفصاح عن شخصية عميلتك التي تزعم انتحال موكلتي لاسم وشخصية مختلفين؟

قال (نديم) في هدوء:

- إنني أفضل الاحتفاظ باسم عميلتي سرًا.

قال (أكرم) في خبث:

- أيًا كانت قيمة المبلغ؟

أجاب (نديم) في برود:

- أيا كانت؟!

كان هو و(غادة) يتوقعان مساومة طويلة فعالة، تكشف عن مدى اهتمام (جيلان) بمعرفة شخصية من تحمل دلائل إدانتها، إلا أنهما فوجئا بـ(أكرم) ينهض على الفور، ويقول في لهجة غامضة:

- لا فائدة من المساومة إذن.

قال (نديم) في بساطة:

- أظن هذا.

حمل (أكرم) حقيبته، واتجه على الفور إلى باب الحجرة، قائلاً:

- إلى اللقاء إذن.

ولم يكد يفتح الباب حتى توقف، والتفت إلى (غادة)، وابتسم ابتسامة أكثر غموضًا، وهو يستطرد:

- وأنا واثق من أننا سنلتقي قريبًا جدًا يا آنسة (غادة).. أقرب مما تتصورين.

وأغلق الباب خلفه في ضجيج..

والتفتت (غادة) إلى (نديم) تقول في توتر:

- هذا الرجل يثير في نفسي خوفًا مبهمًا.

أجابها (نديم) في حزم:

- وشيئًا من الاشمئزاز.

ثم نهض إلى حيث يخفي زي (العقرب)، مستطرداً:

- وأظن أنه من الضروري أن يبدأ (العقرب) عمله، قبل أن تنفتح الأبواب.

وأضاف وهو يضغط زر الخزانة الخفية:

- أبواب الجحيم..

• • •

الإمبراطورة

3- شبح الماضي..

احتقن وجه (جيلان)، وشملها انفعال شديد، وهي تهتف في وجه (أكرم):

- هل أنت واثق؟ هل تأكدت من هذا؟

ابتسم (أكرم) في ثقة، وهو ينفث دخان سيجارته، قائلاً:

- تمام الثقة، ثم إنني لم أكن بحاجة للتأكد. فالابنة صورة طبق الأصل من أمها، حتى إنني لم أكد أراها حتى خيل إلي أن الصحفية العنيدة قد عادت من قبرها.

شردت ببصرها قائلة:

- ومن أدراك أنها لم تعد؟

وزفرت في قوة، مستطردة:

- إذن فتلك العميلة الغامضة هي (غادة)، ابنة تلك الصحفية المغرورة، التي تصورت يومًا قدرتها على تحطيم الإمبراطورة.

قال (أكرم) في هدوء:

- لقد نالت جزاءها.

لوحت بكفها، قائلة:

- والابنة الآن تنبش تاريخ أمها، وتسعى لانتقام أسطوري أنيق، يشفي غليلها.

اعتدل (أكرم) يسألها في اهتمام:

- أتظنين أنها تملك وثائق بالفعل؟

هزت رأسها نفيًا، وقالت:

- لا.. لست أظن هذا.. لقد كانت محاولة من ذلك المحامي الشاب لمعرفة رد فعلي، عندما يخبرني بما لديه.

وأشعلت سيجارتها بدورها، ونفثت دخانها في قوة، وهي تستطرد:

- كانت لعبة ذكية، أتقن (نديم) هذا لعبها، ولكنني لن أسمح له بالمضي قدمًا فيها إلى النهاية.

سألها في اهتمام اشد:

- ماذا ستفعلين؟

ابتسمت ابتسامة شرسة، وقالت في لهجة حادة:

- ماذا تتوقع أن أفعل؟ لقد دس هذا المحامي أنفه في شئوني، ويسعى هو ورفيقته لتدمير الإمبراطورية التي أقمتها في عشر سنوات كاملة، ومن الطبيعي أن أسعى للدفاع عن

إمبراطوريتي، و...

صمتت لحظة، ثم أضافت في وحشية مخيفة، ارتجفت لها الدماء في عروق (أكرم) في شدة:

- وسحق أعدائي سحقًا.

وكان هذا إعلانًا لبدء الحرب..

وفتح أبواب الجحيم..

• • •

فتح (هاني)، سكرتير (جيلان) الخاص باب شقته، وهو يحمل على شفتيه ابتسامة حالمة، بعد أن قضى سهرة جميلة مع خطيبته الحسناء، وتمتم في هيام، وهو يغلق باب الشقة خلفه:

- كم هو جميل هذا الحب!!

لم يكد يضغط زر الإنارة، حتى انتفض جسده انتفاضة عنيفة، وانطلقت من حلقه شهقة قوية، واتسعت عيناه في شدة، وقفز جسده كله إلى الخلف، وارتطم بباب الشقة، وقفزت يده نحو جيب سترته الداخلي في سرعة..

لقد رأى أمامه شبحًا يتشح بالسواد، ويخفي عينيه بقناع أسود سميك..

وقبل أن تبلغ يد (هاني) جيب سترته الداخلي، حيث يرقد مسدسه الخاص، أحاطت أصابع الشبح الأسود، داخل قفاز جلدي رقيق، بمعصم (هاني)، الذي سمع صوتًا صارمًا قاسيًا، يقول:

- اهدأ يا رجل.. إننا سنتحدث قليلاً فحسب.

ولكن (هاني) دفع (العقرب) الأسود في صدره، وصاح:

- ابتعد عني.

ومرة أخرى قفزت يده نحو جيب سترته، في محاولة لالتقاط مسدسه الخاص، ولكن..

هذه المرة هوت قبضة (العقرب) على ذقنه، في لكمة عنيفة، ألقته أرضًا، وامتدت أصابع (العقرب) تنتزع منه مسدسه في هدوء، والصوت الصارم يقول:

- قلت لك اهدأ يا سيد (هاني)، ولن يصيبك أدنى ضرر.

نهض (هاني) في توتر، وهو يتحسس موضع اللكمة في ذقنه، وجلس على أول مقعد صادفه، وهو يقول في عصبية:

- ماذا تريد مني بالضبط؟ لست أحتفظ بنقود كافية هنا، ولست أمتلك...

قاطعه (العقرب) في صرامة:

- لقد أخطأت تفسير الموقف، فلست لصًا..

أشار إليه (هاني)، وهو يقول:

- ما معنى الزي والقناع إذن؟

أجابه (العقرب):

- دعك منهما، وانتبه إلى أسئلتي.

قال (هاني) في عصبية:

- ما الذي تريد معرفته بالضبط؟

مال (العقرب) نحوه، وقال في صرامة:

- كل شيء عن (جيلان شوكت).. كل ما يمكنك إخباري عنها.

مط (هاني) شفتيه، وقال:

- إنه تجسس مهني إذن.

هز (العقرب) رأسه نفيًا، وقال:

- بل هو أكثر خطورة.. هيا.. هات ما لديك.

ارتسمت الصرامة على وجه (هاني)، وقال في حدة:

- من قال لك إنني أستطيع كشف أسرار المرأة التي أعمل لحسابها؟

رفع (العقرب) مسدس (هاني) في وجه هذا الأخير، وجذب إبرته في بساطة، وهو يقول في صرامة مخيفة:

- ومن قال إنك تملك الخيار؟

ازدرد (هاني) لعابه في صعوبة، وحاول أن يبدو شجاعًا متماسكًا، إلا أن شحوبه وصوته المختنق قد خدعاه وكشفا أمره، وهو يقول:

- لن يفيدك ما سأخبرك به كثيرًا، فلست أعرف أكثر مما نشرته الصحف عنها عدة مرات.. لقد بدأت عملي معها منذ عامين فحسب، ووجدت أنها سيدة أعمال من الطراز الأول، تجيد اختيار المشاريع الناجحة، وتربح منها الكثير، ثم إنها سيدة مجتمع أيضًا، ولها العديد من المعارف والأصدقاء، من ذوي النفوذ في مختلف المجالات.

سأله (العقرب):

- كم تبلغ ثروتها في رأيك؟

هز (هاني) رأسه، وقال:

- لست أدري بالتحديد، ولكنني أظنها بالغة الثراء، فهي تمتلك خمس شركات للأزياء وأدوات الزينة، وفيلا فاخرة في (القاهرة)، وأخرى في شاطئ (المعمورة) بـ (الإسكندرية)، وثالثة في أرقى أحياء (باريس)، وطائرة خاصة في (روما)، ومصنع لأدوات التجميل والزينة في (تركيا).

قال (العقرب) في اهتمام:

- إنها تملك إمبراطورية اقتصادية إذن.

أجابه (هاني):

- إنها تستخدم المصطلح نفسه لوصف ممتلكاتها، ويروق لها أحيانًا أن تطلق على نفسها اسم (الإمبراطورة).

ردد (العقرب) في خفوت:

- الإمبراطورة؟!

ثم ارتفع صوته الحازم، وهو يستطرد:

- كيف كونت هذه الثروة الهائلة في رأيك؟

ازدرد (هاني) لعابه مرة أخرى، وأجاب:

- يردد البعض أنها كانت متزوجة من مليونير تركي، أورثها كل ثروته، التي استغلت بعضها لبدء نشاطها.

غمغم (العقرب):

- تغطية جيدة.

ثم سأله مرة أخرى في حزم:

- أهذا كل ما تعلمه عنها؟

أجابه (هاني) في حدة:

- الباقي مجرد أمور تتعلق بالعمل، ولن أكشفها لك.

مال (العقرب) نحوه، وتطلع إلى عينيه مباشرة، وهو يقول:

- أتعني أنك لا تعلم حقيقة المرأة التي تعمل لديها؟

عقد (هاني) حاجبيه، وقال في عصبية:

- ماذا تعني بالضبط؟

اعتدل (العقرب)، والتقط من جيبه بطاقة بيضاء أنيقة، يتوسطها رسم لعقرب ذهبي، وناولها لـ (هاني) مجيبًا:

- ستعرف ما الذي أعنيه يومًا ما يا رجل.. المهم أن تسلم هذه البطاقة لرئيستك، وتخبرها أنني الآن خلفها.

حدق (هاني) في البطاقة في دهشة، وقال:

- ما الذي تعنيه هذه البطاقة؟ وما معنى رسم العقرب الذهبي في منتصفها و...

شعر فجأة أنه يتحدث إلى نفسه، فرفع عينيه إلى حيث يقف (العقرب)، وقال:

- إنك لا تجيبني على..

بتر عبارته بغتة، واتسعت عيناه في ذهول : فقد كانت الردهة خالية تمامًا، وباب الشقة مازال مغلقًا، فهتف (هاني) ذاهلاً:

- رباه!! أهو شبح؟

انتبه إلى أن باب حجرته مفتوح، فقفز من مقعده، واندفع نحو الحجرة، ولكنها كانت خالية بدورها، إلا من مسدسه الموضوع في منتصف فراشه والنافذة مفتوحة على مصراعيها..

وعندما تطلع (هاني) عبر النافذة، كان الظلام يسود في الخارج تمامًا، فغمغم في حنق:

- يا للثعلب!

وتوقف لحظات يتطلع إلى بطاقة (العقرب)، ثم قال في حزم:

- ولكنه لن يصمد أمام القانون.

وبحركة حاسمة، رفع سماعة الهاتف المجاور لفراشه، وأدار قرصه ثلاث مرات متوالية، وقال:

- شرطة النجدة؟ أنا (هاني عبد الله).. السكرتير الخاص لمجموعة شركات (جيلان شوكت)، أريد أن أبلغ عن جريمة.

وتنهد في حرارة، قبل أن يستطرد:

• • •

أوقفت (غادة) سيارتها أسفل البناية، التي تقيم فيها، وغادرتها شاردة الذهن، تسترجع في ذاكرتها كل ما حدث، منذ مصرع أمها، وتتساءل في أعماقها عن الوسيلة التي سيتبعها (نديم) هذه المرة: ليواجه امرأة قوية في المجتمع، ويكشف أمرها للجميع، وخيل إليها أن

هذه العملية ستكون أكثر تعقيدًا من عمليتيه السابقتين..

ولم تدر لماذا جال هذا بخاطرها، على الرغم من أن (العقرب) قد انتصر على عملاقين سابقًا..

ربما لأنها لم تكن تبغض الخصمين السابقين، مثلما تبغض هذه المرأة!

أو ربما لأنها تنظر إلى هذه القضية بالذات، من منظور شخصي بحت!

أو هي غريزة المرأة في أعماقها!

انتزعها من شرودها فجأة صوت خشن، يقول:

- الآنسة (غادة)؟

استدارت إلى مصدر الصوت في حركة حادة، ورأت أمامها ضابطًا من ضباط الشرطة برتبة (نقيب)، وإلى جواره شرطي عادي، فقالت في عصبية:

- لقد أفزعتني أيها الضابط.. نعم.. أنا هي (غادة).. ماذا تريد مني؟

وقبل أن تفهم ما يحدث، ارتفعت يد الضابط على رأسها بمسدس كبير، وسمعته يقول في سخرية، مصوبًا إليها كاتم الصوت، في نهاية المسدس:

- حياتك أيتها الجميلة.

وضغط الزناد..

• • •

الإمبراطـورة

4- وبدأت المعركة..

لا أحد يمكنه أن يفسر كيف يحدث هذا..

إن المرء يتعرض لخطر ما، فيشحذ هذا الخطر حواسه وأعصابه، ويدفع كميات هائلة من (الأدرينالين) عبر عروقه، وتنشط ذاكرته لفحص الخطر المواجه، ومقارنته بالمخاطر التي تعرض لها الجسم مسبقًا، ثم تنطلق غريزة البقاء من عقالها، وتشارك مع كل العوامل السالف ذكرها؛ لدفع المرء إلى اتخاذ وسيلة الدفاع المناسبة.. وهذا ما حدث مع (غادة)..

لقد رأت ذلك الضابط يرفع مسدسه في وجهها، وسبابته تضغط الزناد، فانحنت على نحو غريزي، وسمعت أزيز الرصاصة فوق رأسها، وفي أذنيها، فصرخت في غضب:

- أيها الوغد..

ومما لا شك فيه أن الرجل لم يكن يتوقع أبدًا ما حدث في اللحظات التالية، فقد اندفعت قدم (غادة) إلى معدته، وغاصت فيها كالقنبلة، و(غادة) تهتف:

- إنك تستحق هذا.

ثم قفزت قدمها الأخرى إلى أنفه، وهشمته بركلة عنيفة، جعلته يتأوه في شدة، وهو يسقط على وجهه أرضًا..

وانتزع الجندي المصاحب له بندقيته، وهو يقول:

- محاولة جيدة، ولكن..

غاصت (غادة) بجسدها إلى أسفل، وهوت بقبضتها على معدته، وقالت:

- ولكن ماذا؟

تراجع الرجل خطوة، ثم ضربها بكعب بندقيته في معدتها، وهو يهتف:

- ولكنك امرأة.

شعرت بآلام شديدة في معدتها، ولكنها قاومتها، وهي تمسك ماسورة بندقيته، وتقفز بقدميها لتركل صدره، صائحة:

- النساء يجدن القفز.

وقبل أن يسقط، كانت تركل أنفه أيضًا، مستطردة:

- وتحطيم الأنوف.

سقط الجندي أرضًا، وراح يصرخ في ألم، وهو يمسك أنفه المحطم، الذي سال منه الدم غزيرًا، في حين صوبت هي بندقية الجندي إلى الرجلين، قائلة في حزم:

- والآن.. من منكما سيبدأ في إبلاغي بما وراءكما؟

ارتفع فجأة صوت يموج بالدهشة والاستنكار من خلفها، هاتفًا:

- ماذا تفعلين؟

اقترن الصوت بصرير إطارات سيارة تتوقف؛ مما جعلها تلتفت خلفها في سرعة، فوقع بصرها على سيارة من سيارات الشرطة، وقد هبط منها ضابط برتبة (نقيب)، وثلاثة جنود، وكلهم يصوبون إليها أسلحتهم، والضابط يستطرد:

- هل جننت؟! ألقي سلاحك أو نطلق النار.

قال (غادة) في حدة:

- لا تجعل المظاهر تخدعك أيها الضابط.. إنهما ليسا زميلين لكم، فلقد حاولا قتلي منذ قليل.

نقل الضابط بصره بينها وبين الضابط والجندي اللذين نهضا من سقطتهما، فقال الضابط المزيف:

- لا تصدقها أيها الزميل.. لقد ضبطناها متلبسة، ولكنها نجحت في انتزاع سلاحنا، وحاولت التخلص منا.

هتفت (غادة) في غضب:

- هل تصدقهما لمجرد أنهما يرتديان زيًا رسميًا؟

أجابها الضابط في حزم:

- لن أبدأ عملية التصديق أو النفي، إلا بعد أن أستلم سلاحك يا سيدتي.

ألقت البندقية أرضًا، وهي تقول:

- فليكن.. إنني شرطية سابقة، وأعلم القواعد في مثل هذه الظروف، و...

قاطعتها ابتسامة ساخرة، ارتسمت على شفتي الضابط الذي يصوب إليها مسدسه، فهتفت غاضبة:

- إذن فأنت أيضًا..

قاطعها ساخرًا:

- نعم.. كلنا فريق واحد.

قفزت محاولة التقاط البندقية مرة أخرى، ولكن الضابط المزيف قفز نحوها بدوره وهوى على رأسها بكعب مسدسه..

وأظلمت الدنيا فجأة أمام عيني (غادة)..

وسقطت فاقدة الوعي..

وفي ارتياح بالغ، أطلق الضابط المزيف الأول زفرة حارة، وهتف:

- لقد وصلتم في اللحظة المناسبة.. لقد فاجأتنا تلك اللعينة بقدرتها الفائقة على القتال، حتى إننا لم نصمد أمامها، وكادت تهزمنا بالفعل، لولا وصولكم.

ثم التقط مسدسه من الأرض، وهو يستطرد في حزم:

- ولكنها ستدفع الثمن.

سأله زميله:

- ماذا ستفعل؟

صوب الرجل فوهة المسدس إلى رأس (غادة) الفاقدة الوعي، وهو يقول:

- هل تسألني؟ سأنفذ الأوامر بالطبع.

وأردف في شراسة، وهو يجذب إبرة المسدس:

- سأقتلها.

• • •

تألقت عينا العقيد (مجدي)، وهو يقلب بطاقة (العقرب) الأنيقة بين أصابعه، ثم مط شفتيه، وهو يقول لضابط شرطة النجدة في انفعال:

- أحسنت صنعًا باستدعائي أيها النقيب.. إنها قضية تهمني بالفعل.

أجابه نقيب الشرطة في ارتياح:

- كنت أنفذ الأوامر يا سيدي، وهي تقتضي ضرورة إبلاغك شخصيًا بكل قضية نعثر فيها على مثل هذه البطاقة.

أومأ (مجدي) برأسه، قائلاً:

- هذا صحيح.

ثم اتجه إلى حيث يقف (هاني)، وفحصه بنظرة واحدة سريعة، قبل أن يقول:

- إذن فقد زارك (العقرب) هذا المساء.

عقد (هاني) حاجبيه، وهو يقول في عصبية:

نعم لقد فعل، وكانت هذه أول مرة أسمع فيها بوجود مجرم مقنع شهير مثله.

تجاهل (مجدي) الجزء الثاني من عبارة (هاني)، وسأله في لهفة واضحة:

- ماذا كان يريد بالضبط؟

أشار (هاني) إلى نقيب الشرطة، قائلاً:

- لقد أخبرت ذلك النقيب بكل ما حدث، و...

قاطعه (مجدي) في حدة:

- وستقص عليَّ الأمر كله منذ البداية.. هل تفهم؟

هتف (هاني) في عصبية:

- لا.. لست أفهم.. أفهمني أنت من المخطئ هنا، أنا أم ذلك المقنع؟!

التقط (مجدي) أنفاسه في عمق، في محاولة للسيطرة على أعصابه، وهو يقول:

- معذرة لتوتر أعصابي، ولكن هذا المجرم يقلقنا منذ زمن، والمفروض أن يعاوننا كل مواطن شريف.

ثم لان صوته، وهو يستطرد:

- والآن.. هلا قصصت عليَّ الأمر كله؟

وأمام هذا الأسلوب المنمق، راح (هاني) يقص كل ما حدث على مسامع (مجدي)، الذي استمع إليه في اهتمام، ثم سأله:

- ولكن لماذا يسعى (العقرب) لجمع المعلومات عن (جيلان شوكت)؟

أجابه (هاني) في انفعال:

- لا ريب أنه يزمع سرقتها.

مط (مجدي) شفتيه، مغمغمًا:

- ليس هذا أسلوبه.

ثم أخرج من جيبه صورة ملونة لـ (نديم فوزي)، ووضعها أمام عيني (هاني)، وسأله:

- قل لي: هل يشبه هذا الرجل؟

تطلع (هاني) إلى الصورة طويلاً، ثم هز رأسه، قائلاً:

- لست أدري.

فسأله (مجدي) في حزم:

- ماذا تعني بأنك لست تدري؟ إنني ألقي عليك سؤالاً لا يحتمل سوى جواب من اثنين: نعم، أو لا.

هز (هاني) رأسه مرة أخرى، وهو يقول في حدة:

- ليس في هذه الحالة.. لقد رأيت رجلاً مقنعًا، وهذا ليس كذلك، ولا يمكنني الجزم بأنهما رجل واحد.

أعاد (مجدي) الصورة إلى جيبه في حدة، وهو يقول في غيظ:

- إنها نفس النقطة التي يفلت بها ذلك اللعين دومًا.. نقطة أن الشك دائمًا في صالح المتهم.

ثم ضم قبضته، مستطردًا في غضب:

- ولكنه لن يفلت من يدي هذه المرة.. أبدًا.

والعجيب أن مشكلة (مجدي) لم تكن أبدًا معرفة الشخص المسئول..

أو حتى العثور عليه..

كانت المشكلة دائمًا هي إدانته..

ولكن مشكلته هذه المرة ستكون - بالفعل - هي العثور على (نديم فوزي)..

على قيد الحياة..



عاد (نديم) مباشرة، من منزل (هاني) إلى مكتبه، حيث أخفى زي (العقرب) في خزانته السرية، وجلس خلف مكتبه، يراجع ما لديه من معلومات، ثم لم يلبث أن غمغم في حيرة:

- عجبًا!! الأمور تبدو كلها محيرة بالفعل، على الرغم من شعوري الداخلي، الذي يؤكد أن (جيلان شوكت) هذه تخفي أمرًا يخالف القانون.

تنهد في عمق، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه، وهو يتابع في خفوت، متحدثًا إلى نفسه:

- (غادة) تؤكد أن (جيلان) هي نفسها (فوقية رضوان)، إمبراطورة تزوير النقد السابقة، ولكن أعمال (جيلان) كلها تبدو قانونية، على الرغم من ردود أفعالها المريبة، و...

بتر عبارته بغتة، عندما تناهى إلى مسامعه صوت خافت، جعله يهب واقفًا، ويعقد حاجبيه في قلق، ثم يتحرك في خفة نحو باب المكتب، ويفتحه في حركة حادة..

ولكن الردهة كانت خالية تمامًا؛ مما جعله يتمتم في حيرة:

- خيل إليَّ لحظة أن..

عندما بتر عبارته هذه المرة، كان السبب يختلف..

لقد لمح بطرف عينيه رجلاً ضخم الجثة، ينقض عليه من خلف ستار الممر الداخلي، وهو يرفع خنجرًا حادًا، تأهبًا لإغماده في قلبه..

وبسرعة مدهشة، ورد فعل رائع، مال (نديم) جانبًا، ورأى الخنجر يطعن الهواء، ويهوي أمام عينيه، فتحركت قبضته في سرعة كالقنبلة، وهوت على فك الرجل الضخم..

وبقفزة إلى الخلف، بدا المشهد واضحًا أمام عيني (نديم)..

إنه لم يكن يواجه رجلاً واحدًا..

بل ثلاثة رجال..

لقد سقط أولهم أرضًا، إثر لكمة (نديم)، وطار خنجره من يده وفي نفس اللحظة التي برز فيها الرجلان الآخران من خلف الستارة نفسها، وكلاهما يحمل خنجرًا ماضيًا..

ودون تبادل كلمة واحدة، انقض الرجلان على (نديم)..

وتلقى (نديم) ذراع الأول على ساعده، ثم حطم أنفه بلكمة ساحقة، وهو يضرب الثاني بقدمه، ولكن الرجل الساقط أرضًا التقط خنجره مرة أخرى، وانقض على (نديم)، وهوى عليه بخنجره الحاد..

ومزق الخنجر كم سترة (نديم)، وجرح ذراعه، وأسال دمه، ولكن (نديم) تراجع في رشاقة، وكال للرجل لكمة ساحقة في أسنانه تمامًا..

أعجب ما في هذا الصراع، هو أنه قد دار في صمت تام، كما لو كان مشهدًا صامتًا في فيلم سينمائي قديم..

إلا من صوت اللكمات والقبضات..

وكان (نديم) باسلاً، قويًا شجاعًا..

ولكن..

قال الحكماء قديمًا: « الكثرة تهزم الشجاعة »..

وهذا صحيح..

لقد أحاط المجرمون الثلاثة بـ (نديم)، وارتفعت خناجرهم من حوله، و...

وابتسم الموت..

• • •

الإمبراطـــورة

5- قواعد اللعبة..

ثانية واحدة وتلقى (غادة) مصرعها، وهي فاقدة الوعي..

فوهة المسدس المزود بكاتم للصوت مصوبة إلى رأسها، وسبابة الضابط المزيف تهم باعتصار الزناد، وإطلاق رصاصة الموت، و...

وفجأة أمسك الضابط المزيف الآخر معصم زميله، وأبعد فوهة المسدس جانبًا، وهو يقول:

- رويدك يا رجل.. ليس الآن.

هتف به الأول في غضب:

- ماذا تفعل؟ الأوامر تقتضي قتلها، والفرصة سانحة، والشارع خالٍ، و...

قاطعه زميله في حزم:

- لقد تغيرت الأوامر؛ ولهذا نحن هنا.

سأله في حدة:

- ماذا تعني بأن الأوامر قد تغيرت؟

أجابه بنفس الحزم، وهو ينتزع منه المسدس:

- أبدلت الإمبراطورة رأيها، وقررت الحصول على الفتاة على قيد الحياة أولاً..

هتف الأول محنقًا:

- لماذا؟

أجابه في خشونة:

- ليس هذا من شأننا.

ثم التفت إلى الجنود المزيفين حوله، واستطرد:

- هيا.. احملوها إلى السيارة، قبل أن يثير وجودنا فضول البعض، أو تصل دورية شرطة حقيقية.. هيا.

أسرع الرجال يحملون (غادة) إلى سيارتهم، وانطلقوا بها مبتعدين..

نحو مصير مجهول..

• • •

كانت الخناجر الحادة ترتفع عاليًا، والوحشية التي تنبض بها قلوب المجرمين تزأر في شراسة، والموت يبتسم متلهفًا لانتزاع روح جديدة..

وفجأة تبدل كل شيء..

اقتحم المكان ضابط شاب، انتزع مسدسه في صرامة، وهو يهتف:

- كل في مكانه، سأطلق النار على أول من يتحرك منكم.

ولكن أحد المجرمين الثلاثة دار على عقبيه في سرعة، وألقى خنجره نحو القادم الجديد..

وأطلق الضابط رصاصة مسدسه..

وأسقط المجرم..

وانغرز الخنجر في إطار الباب، على قيد سنتيمترات من رأس الضابط، في نفس اللحظة التي تحرك فيها (نديم) هاتفًا:

- شكرًا.

حطمت قبضته فك أقرب الرجلين الباقيين إليه، ثم استدار يواجه الثالث، الذي دفع خنجره نحو رقبة (نديم)، صارخًا:

- لن تربح.

ولكن رأس (نديم) تحرك جانبًا، وتفادى النصل القاتل، ثم طارت قدمه لترتطم بمعدة الرجل، ووثبت الأخرى تحطم أسنانه..

وسقط المجرم الثالث أرضًا..

واندفع (نديم) نحو الضابط، هاتفًا:

- هل أنت بخير؟

اعتدل الضابط، الذي لم يكن سوى العقيد (مجدي)، وقال في حدة، وهو يهندم زيه الرسمي في عصبية:

- المفروض أن ألقي أنا هذا السؤال، ألا يكفي أنني قد لاحظت العراك الصامت؟

ثم أشار إلى الرجال فاقدي الوعي، مستطردًا:

- من هؤلاء بالله عليك؟

أجابه (نديم) في هدوء:

- دعني أستعيد عبارتك السابقة، فالمفروض أن ألقي أنا هذا السؤال.

قال (مجدي) في حدة:

- اسمع يا (نديم).. إنني أبغض أسلوب الثعلب هذا، الذي تتعامل به مع الجميع، وأؤكد

لك أنك لن تخدعني أبدًا، ولن تقنعني أنك تجهل هوية ثلاثة رجال، أرادوا قتلك في عقر مكتبك.

قال (نديم) في برود:

- عليك أن تجد الدليل على معرفتي لهم.

صاح (مجدي) في غضب:

- أهذا ما تفعله دومًا؟ أن تستغل ثغرات القانون؟

هز (نديم) رأسه نفيًا، وقال:

- على العكس أيها العقيد.. إنني أرتق تلك الثغرات.

رمقه (مجدي) بنظرة حادة، وقال:

- في شخصية (العقرب).. أليس كذلك؟

هز (نديم) كتفيه، وقال في برود:

- ربما.

التقت نظراتهما طويلاً في عناد وصرامة وحزم، قبل أن يردف (نديم):

- ولكنك أنقذت حياتي على أية حال.

مط (مجدي) شفتيه، وقال:

- للأسف.. ولكنك مصاب بجرح في ذراعك، يحتاج إلى ضمادة.

وألقى جسده على أقرب مقعد إليه، وهو يستطرد:

- قل لي: هل تعرف (جيلان شوكت)؟

أجابه (نديم) في بساطة:

- بالتأكيد.. إنها سيدة مجتمع شهيرة.

سأله:

- وماذا أيضًا؟

- وسيدة أعمال أيضًا.

- رائع.. لماذا - في تصورك - يسعى (العقرب) خلف سيدة مثلها؟

- يمكنك أن تطرح هذا السؤال عليه مباشرة.

- إنني أفعل.

- ولكننا وحدنا هنا.

عقد (مجدي) حاجبيه في غضب وتوتر، وقال:

- اسمع يا (نديم).. كلانا يعرف شخصية (العقرب) الحقيقية، وذلك الهوس الذي يملأ عقله، بشأن الفارق بين العدالة والقانون، وكلانا يعلم أيضًا أنه - على الرغم من مخالفه للقانون - لا يطارد إلا أولئك الذين يعبثون بالقانون.. أهذا صحيح؟

أومأ (نديم) برأسه موافقًا، دون أن يلفظ حرفًا واحدًا، فتابع (مجدي)، وكأنه لم يكن ينتظر جوابًا:

- نبشه حياة (جيلان شوكت) إذن، واقتحامه لمنزل سكرتيرها الخاص عنوة، بحثًا عن المزيد من المعلومات عنها، يعنيان أن (جيلان) - في رأيه - تخالف القانون، فما نوع هذه المخالفة؟

ران عليهما الصمت طويلاً، ثم قال (نديم) في بطء:

- لم لا تنبش ماضيها بدورك بحثًا عن الجواب؟

بدا الحنق على وجه (مجدي)، وخيل لـ (نديم) لحظة أنه سينفجر ساخطًا، إلا أنه لم يلبث أن غمغم:

- سأفعل.

ثم نهض من مقعده في حدة، وأشار إلى المجرمين الثلاثة، الفاقدي الوعي، مردفًا:

- بعد أن أتخلص من أكوام القمامة هذه.

وكان من الواضح أن الصراع مازال يواصل انحرافه الحاد..

نحو نقطة مجهولة..

• • •

استعادت (غادة) وعيها مع صداع شديد، جعلها تتأوه في ألم، هاتفة في صوت واهن ضعيف:

- أين أنا؟

أرادت أن ترفع يدها إلى رأسها، ولكن شيئًا ما كان يكبل معصمها؛ مما جعلها تفتح عينيها في حيرة، قبل أن تهتف، وقد اتسعت عيناها عن آخرهما بغتة:

- أنت؟!

كانت تجلس أمامها في هدوء، (جيلان شوكت)، تنفث دخان سيجارتها في بطء، وتتطلع

إليها بعينين زرقاوين، وابتسامة ساخرة شامتة..

وبكل البغض الكامن في أعماقها، صرخت (غادة):

- أيتها القاتلة الحقيرة.

جاوبتها ضحكة ساخرة، انطلقت من بين شفتي (جيلان)، قبل أن تميل نحوها، وتقول ساخرة:

- ألديك دليل؟

قالت (غادة) في غضب:

- بالتأكيد.

تراجعت (جيلان) في هدوء، وهي تقول:

- أنت كاذبة.

قالت (غادة) في حدة:

- أتراهنين؟

أجابتها في برود:

- نعم.. أراهن بحياتك مقابل ما لديك من وثائق.. ما رأيك؟

ترددت (غادة) لحظة، فقد كانت العبارة – على الرغم من صرامتها – تحمل معنى خفيًا بأن (جيلان) تحمل بعض الشك في صحة وجود مثل هذه الوثائق..

وكان من الضروري أن تلعب (غادة) بهذه الورقة، حتى آخر رمق..

هذه هي قواعد اللعبة..

وفي حزم، قالت (غادة):

- اقتليني لو أردت، ولكنني لن أمنحك سلاح هدمك أبدًا.

قالت (جيلان) في هدوء:

- هكذا؟!

ثم أمالت رأسها نحو (غادة)؛ لتلتقي عيونهما، وهي تردف:

- أهذا رأي زميلك أيضًا؟

لم تجب (غادة) على الفور..

كانت تتطلع إلى عيني (جيلان) في اهتمام بالغ، وحيرة شديدة، ثم لم تلبث أن تطلعت

إلى وجهها كله، وهي تغمغم في شرود:

- لست أدري.

ثم انتفضت فجأة، وكأنها تفيق من حلم عميق، وأضافت في حزم:

- إنه سيتفق معي في الرأي حتمًا.

أطلقت (جيلان) ضحكة ساخرة أخرى، وهي تتراجع في مقعدها مبتعدة، وقالت في تهكم لاذع:

- هذا لو أنه مازال ينتمي إلى عالمنا.

لم تكد تتم عبارتها، حتى ارتفع رنين الهاتف المجاور لها، فالتقطت سماعته في سرعة، ووضعتها على أذنها، قائلة:

- من المتحدث؟

رأتها (غادة) تعقد حاجبيها في شدة، وتبدو- عبر ملامحها - كما لو أن ما تسمعه لم يرقَ لها أبدًا، قبل أن تقول في حزم:

- لا بأس.. عد على الفور.. لديَّ خطة بديلة.

وأعادت سماعة الهاتف إلى موضعها، وهي تلتفت إلى (غادة)، قائلة:

- يبدو أن رفيقك هذا ليس بالرجل السهل.

ابتسمت (غادة) في ثقة، وهي تقول:

- أكثر مما يمكنك تصوره..

تطلعت إليها (جيلان) لحظة في صمت، ثم قالت في هدوء، وهي تنفث دخان سيجارتها في عمق:

- لم يحن الوقت بعد للجزم بهذا.

وعادت تميل نحو (غادة) ؛ متابعة في حزم:

- لكل مخلوق في هذه الدنيا نقطة ضعف.

ثم اعتدلت بغتة مستطردة:

- فيما عداي.

غمغمت (غادة) في مقت:

- يا للغرور!

ابتسمت (جيلان في سخرية، وقالت:

- بل قولي: يا للعبقرية!!

وفي هذه المرة كانت ابتسامتها تحمل شيئًا أكثر من مجرد السخرية..

كانت تحمل صورة قاتمة مخيفة..

صورة الموت..

• • •

الإمبراطـــورة

6- المساومـة..

وصل (نديم) إلى مكتبه، في تمام الثامنة صباحًا كالمعتاد، وسأل عم (أحمد)، وهو يدلف إلى مكتبه:

- صباح الخير يا عم (أحمد).. ألم تصل الآنسة (غادة) بعد؟

أجابه (أحمد)، وهو يبتسم في حنان:

- إنها تصل بعدك بنصف الساعة تقريبًا.

ثم أشار إلى أرضية ردهة المكتب، مستطردًا في حيرة:

- ولكن أخبرني يا سيدي.. ألديك فكرة عن سر تلك البقع الحمراء على الأرضية؟ إنها تبدو لي أشبه ببقع دموية متجمدة.

قال (نديم) في هدوء:

- إنها كذلك بالفعل.

ارتسم مزيج من الذعر والدهشة على وجه (أحمد)، في حين تابع (نديم) بنفس الهدوء:

- لقد أصيب أحد عملاء المكتب بنزيف أنفي غزير.

هتف (أحمد):

- متى؟ لقد غادرت المكتب بعد التاسعة، و...

قاطعه (نديم):

- لقد حدث هذا في منتصف الليل تقريبًا.

عاد (أحمد) يحدق في بقعة الدم، مغمغمًا:

- عجبًا!!

تركه (نديم) في حيرته، ودلف إلى حجرة مكتبه الخاصة، وأغلقها خلفه، ثم جلس خلف مكتبه، يتحسس الضمادة الصغيرة على ذراعه..

كان جرحه سطحيًا بسيطًا، وكان من الممكن أن يصبح غائرًا شديدًا، لولا الزجاج نصف الشفاف، الذي يكون ثلث باب الشقة تقريبًا، والذي سمح لـ (مجدي) برؤية ما يحدث في ردهتها، والتدخل في الوقت المناسب..

إنها عناية الله (سبحانه وتعالى) ولا شك..

تنهد في عمق، وهو يستعيد الذكرى، قبل أن ينطلق رنين الهاتف بغتة، فمد يده في هدوء يلتقط سماعته، وقال:

- هنا مكتب (نديم فوزي) المحامي.. من المتحدث؟

أتاه صوت أنثوي مألوف، يقول:

- من الطريف أن أجدك خلف مكتبك، في هذه الساعة.. هذا يؤكد أنك تميل حقًا إلى النشاط.

تعرف صوت (جيلان شوكت) على الفور، فأجاب في هدوء:

- هذا ينطبق عليك أيضًا يا سيدة (جيلان).

جاوبته ضحكة عابثة طويلة، على الطرف الآخر للهاتف، قبل أن تقول (جيلان):

- رائع.. ألمعيتك هذه تجعل اللعبة أكثر إمتاعًا.

قال دون مبالاة:

- أية لعبة؟!

وبدلاً من أن تجيبه، سألته:

- قل لي: هل وصلت زميلتك العزيزة إلى المكتب؟

استشعر قلقًا خفيًا في أعماقه، لم يمنعه من أن يقول في هدوء:

- ليس بعد.

أجابت في أسف ساخر مفتعل:

- يا للخسارة! أردت تعزيتها في مصرع أمها الصحفية اللامعة، منذ عشر سنوات تقريبًا.

توترت عضلاته كلها، وهو يستمع في انتباه، دون أن ينبس بحرف واحد، في حين تابعت هي:

- ولقد سرت شائعة بأنها تملك بعض الوثائق، التي تدين القاتلة، ولكنني تأكدت منها بأنها لا تحمل شيئًا من تلك الوثائق.

ضغطت حروف كلمة (منها)، وكأنها تتعمد إرسال رسالة خاصة إلى (نديم)، الذي استقبل المعنى بالتأكيد، وكادت قبضته تعتصر سماعة الهاتف، على الرغم من أن صوته لم يفقد نبرته الهادئة، وهو يسألها:

- وأين (غادة) الآن؟

بدا له صوتها جذلاً، ساخرًا، وهي تقول:

- حاول أن تخمن.

سيطر على أعصابه في شدة، وهو يقول لها:

- لقد أسعدني حديثك كثيرًا يا سيدة (جيلان)، وأرجو منك إبلاغ (غادة) أنني أنتظر

حضورها المكتب في سرعة، والا...

قاطعته (جيلان) في حزم:

- لست أظنها ستحضر إلى مكتبك اليوم.. أو حتى في الأيام القادمة، والى الأبد، إلا إذا حملت أنت تلك الوثائق التي أشك في وجود مثلها، وأتيت لتسليمها إلى (أكرم)، محاميّ الخاص.

ران عليهما الصمت لحظات طوال، شعر خلالها (نديم) بمقت شديد تجاه (جيلان شوكت) وأسلوبها الشبيه بالأفعى، ثم لم يلبث أن قال في اقتضاب:

- متى؟ وأين؟

أجابته في اقتضاب مماثل:

- الثانية عشرة من مساء الليلة، في مكتب (أكرم).. سأكون هناك.

وقبل أن يلقي سؤالاً إضافيًا واحدًا، كانت قد أنهت الاتصال دفعة واحدة..

وبقي (نديم) لحظات ممسكًا سماعة الهاتف، وذلك الصوت الهاتفي الرتيب ينتقل منها إلى أذنه، معلنًا إنهاء المحادثة، قبل أن يعيد هو السماعة إلى موضعها في بطء، ويعقد حاجبيه في شدة.

لقد كشفت (جيلان) أمر (غادة)، وخطفتها بوسيلة ما؛ لتساوم من أجل الحصول على الوثائق، التي لا وجود لها بالفعل..

ولكن (جيلان) تشك في وجود مثل هذه الوثائق حتمًا..

وهذه هي الورقة الباقية في اللعبة..

الورقة الأخيرة..

لا.. مازالت هناك ورقة أخرى..

قفزت العبارة الأخيرة إلى ذهنه فجأة، فمد يده يضغط زرًا خفيًا في مكتبه، انفرجت على أثره فرجة صغيرة في المكتب، التقط منها بطاقة بيضاء أنيقة، تحمل رسمًا لعقرب ذهبي، وأضاف عقله..

هناك تلك الورقة..

ورقة (العقرب)..

• • •

جلس اللواء (حلمي) منهمكًا في قراءة ملف ضخم، في ملفات تحريات إدارة المباحث

الجنائية، التي يرأسها، عندما سمع دقات عنيفة على باب حجرته، فزفر في ضجر، وقال:

- ادخل يا (مجدي).

دفع العقيد (مجدي) الباب، ودخل إلى حجرة اللواء (حلمي)، وهو يقول:

- يدهشني دائمًا تعرفك إياي يا سيدي، عندما أطرق بابك.

ابتسم (حلمي)، وقال:

- يمكنك أن تقول: إن لك أسلوبًا متميزًا يا (مجدي).

ثم أشار إلى المقعد المقابل لمكتبه، مستطردًا:

- اجلس، وأخبرني ماذا تريد.

جلس (مجدي)، وهو يحك مؤخرة رأسه، كعادته كلما وجد صعوبة في بدء حديث ما، فأضاف (حلمي):

- هات ما لديك، فكلي آذان صاغية.

التقط (مجدي) نفسًا عميقًا، وقال:

- لقد ظهر (العقرب) مرة أخرى.

شحذت العبارة حواس (حلمي) كلها، فترك الملف من يده، ومال بجسده كله تقريبًا نحو (مجدي)، وهو يردد في انفعال:

- ظهر؟

أومأ (مجدي) برأسه إيجابًا، وقال:

- نعم.. لقد بدأ يلعب لعبته التقليدية، حول واحدة من سيدات الأعمال والمجتمع هذه المرة.

سأله (حلمي) في اهتمام:

- من هي؟

أجابه (مجدي) على الفور:

- (جيلان).. (جيلان شوكت).

مضت لحظات من الصمت بعد الجواب، إلى أن قال (حلمي) في خفوت:

- وما رأيك أنت؟

تنهد (مجدي) في عمق، وبدا مترددًا لحظات، ثم قال:

- أنت تعلم رأيي بشأن (العقرب) وأسلوبه يا سيدي، فـ (نديم) يخالف القانون بهذا، و...

قاطعه (حلمي) في حزم:

- ليس لدينا دليل على أن (نديم) هو (العقرب).

زفر (مجدي) مرة أخرى، وقال:

- فليكن.. إنني أرى أن (العقرب) هذا، أيًا كانت هويته، يخالف القانون بسعيه وراء الجريمة والمجرمين، دون صفة رسمية أو قانونية، ولكن..

توقف لحظات، تضاعف خلالها تردده؛ مما جعل اللواء (حلمي) يغمغم، محاولاً تشجيعه على المضي في حديثه:

- ولكن ماذا؟

تردد (مجدي) لحظة أخرى، ثم اندفع يقول:

- ولكن (العقرب) لا يهاجم عادة إلا المجرمين.

تراجع (حلمي) في مقعده، وسأله:

- وما الذي يعنيه هذا بالنسبة لك؟

هز (مجدي) رأسه، قائلاً:

- يعني أن (جيلان شوكت) تخفي أمرًا ما يخالف القانون.. هذا هو أول ما دار بخلدي، فور معرفتي بسعي (العقرب) خلفها؛ مما دفعني إلى جمع أكبر قدر من المعلومات عنها.. ولم يكن ذلك عسيرًا، فلقد وجدت لها ملفًا بإدارة الجوازات، حيث: إنها كانت زوجة لمليونير تركي، وتملك مصنعًا لأدوات التجميل في (أسطنبول)، وتحمل الجنسيتين: التركية والمصرية، وتستورد أدوات التجميل التي ينتجها مصنعها، وهذا يضيف إليها ملفًا في إدارة الاستيراد، و...

قاطعه (حلمي) في فضول:

- المهم.. ما الذي توصلت إليه؟

لوح (مجدي) بذراعيه، هاتفًا:

- لا شيء..

رفع (حلمي) حاجبيه في دهشة، قائلاً:

- لا شيء؟! مطلقًا؟

لوح (مجدي) بذراعيه مرة أخرى، مجيبًا في حنق:

- مطلقًا.. كل أوراقها رسمية، قانونية، سليمة.. وأعمالها تسير على خير ما يرام، وبشكل

قانوني سليم، فلا توجد حتى مخالفة جمركية أو ضريبية واحدة.. إنها باختصار نظيفة تمامًا.

بدا هذا الأمر محيرًا بالنسبة للواء (حلمي)، الذي اعتاد أن يكون خصوم (العقرب) دائمًا من عتاة الجريمة، الذين يغفل عنهم القانون، أو يعجز عن الإيقاع بهم، ولم يستطع إقناع نفسه بأن (نديم) قد أخطأ اختيار خصمه هذه المرة، وهو صاحب الشخصية الرصينة المتأنية، و...

قفزت إلى ذهنه فجأة فكرة، جعلته يسأل (مجدي) بغتة:

- ألم تراودك فكرة ألا تكون (جيلان) ذاتها هي المقصودة؟

عقد (مجدي) حاجبيه، وهو يسأله في دهشة:

- ماذا تعني يا سيدي؟

أجابه في حماس:

- أعني أنه من المحتمل أن (العقرب) يسعى خلف أحد رجال (جيلان)، وليس خلف (جيلان) نفسها.

هز (مجدي) رأسه نفيًا، وأجاب:

- لقد درست هذا الاحتمال يا سيدي، ولكن الأسلوب الذي اتبعه (العقرب)، والأسئلة التي ألقاها كلها، تؤكد أنه يسعى خلف (جيلان) دون سواها.

عاد (حلمي) على حيرته، وهو يغمغم:

- لا ريب أن لديه مبررات نجهلها إذن.

وصمت لحظات مفكرًا، ثم رفع عينيه إلى (مجدي)، وقال في حزم:

- لا بأس يا (مجدي).. اترك لي هذا الأمر حتى الغد، وستجد لديَّ جوابًا بإذن الله.

وخفت صوته حتى لم يعد يسمعه سواه، وهو يستطرد:

- من (العقرب) نفسه.

• • •

صاحت (جيلان)، في وجه سكرتيرها الخاص (هاني) في غضب:

- أبلغت الشرطة؟! من سمح لك أن تفعل؟

أجابها (هاني) في دهشة:

- لم يكن هذا يحتاج إلى استئذان أي شخص يا سيدة (جيلان).. لقد اقتحم ذلك المقنع منزلي عنوة، وأجبرني على الإدلاء ببعض المعلومات، وكان من الطبيعي بعد انصرافه أن أبلغ

الشرطة، كما ينبغي أن يفعل أي مواطن شريف.

نفثت دخان سيجارتها في عصبية، وهي تقول:

- إنني أبغض تدخل الشرطة في شئون شركاتي، هذا يعرض سمعتنا للقيل والقال..

قال (هاني) في ضيق:

- ولكنه أمر شخصي تمامًا يا سيدتي.

هتفت في حنق:

- فليكن.. كان ينبغي أن تستشيرني أولاً.

ولوحت بذراعها في حدة ومستطردة:

- ثم ما معنى القناع والزي الأسود؟! أفي (شيكاغو) نحن؟ أم في فيلم سينمائي هزلي؟

عقد محاميها (أكرم)، الذي بقى صامتًا طيلة الوقت حاجبيه، وحك ذقنه في قلق، وهو يتمتم:

- إنه أسلوب غريب بالنسبة لمجتمعنا بالتأكيد.

نفثت دخان سيجارتها في عصبية، قائلة:

- ومقلق..

ثم التفتت إلى (هاني)، مستطردة في حزم:

- حسنًا.. لقد حدث ما حدث.. عد إلى مكتبك، وأبلغني بكل تطورات الأمر أولاً بأول.

غادر (هاني) مكتبها، دون أن ينطق بحرف واحد، في حين اتجهت هي إلى (أكرم)، وقالت في توتر:

- ما معنى هذا الأسلوب العجيب؟.. ولماذا يتفق ظهور ذلك المقنع، ومحاولته الحصول على معلومات عني، مع ظهور ابنة تلك الصحفية اللعينة؟

رفع بصره إليها، وهو يقول:

- إنها ليست أول مرة يظهر فيها هذا المقنع.

ضاقت عيناها، وهي تتطلع إليه قائلة في حدة:

- ماذا تعني؟ هل ظهر رجل مقنع في المجتمع المصري من قبل؟

أجابها وهو يلتقط سماعة الهاتف:

- ليس على نحو علني، ولكن الأوساط السفلية تردد شائعة عن هذا المقنع، الذي يتشح بالسواد، ويطلق على نفسه اسم (العقرب)، والذي تسبب في الإيقاع بـ (نعمان والي) منذ ما

يقرب من عام.

وضغط أزرار الهاتف، مستطردًا:

- وقبل أن يحين موعدنا مع ذلك المحامي المغرور (نديم فوزي).. سأكون قد جمعت لك أكبر قدر من المعلومات عن هذا الـ.. (العقرب).

قالت في حدة:

- هذا أفضل، فأنا أرغب في أن أنهي كل شيء قبل أن ينتصف الليل، بحيث تشرق شمس الغد، وأنا أحمل اللقب بلا منازع.

ورفعت رأسها في شموخ، مستطردة:

- لقب (الإمبراطورة).

• • •

الإمبراطورة

7- الفخ..

دق (أحمد) باب حجرة مكتب (نديم) في رفق، وسمع صوت (نديم) من الداخل يقول:

- ادخل يا عم (أحمد).

دفع العجوز باب المكتب في هدوء، وارتسمت على شفتيه ابتسامة حانية مشفقة، وهو يقول:

- إنها العاشرة مساء الآن يا ولدي.. ألم يحن الوقت بعد لتعود إلى منزلك؟

هز (نديم) رأسه نفيًا في هدوء، وقال:

- انصرف أنت يا عم (أحمد).. سأنهي بعض أعمالي وأرحل.

سأله في حنان:

- أتحب أن أبقى لخدمتك؟

أجابه في حزم:

- لا.. سأبقى وحدي.. انصرف أنت.

برز وجه آخر حنون، من فوق كتف (أحمد)، يقول:

- وحدك تمامًا.

التفت (أحمد) في دهشة إلى صاحب الصوت، في حين نهض (نديم) من خلف مكتبه، قائلاً في ترحاب:

- مرحبًا يا سيادة اللواء (حلمي).. كم يسعدني دائمًا أن أراك!!

ارتسمت على شفتي (أحمد) ابتسامة كبيرة مرحبة، وهو يقول بدوره:

- مساء الخير يا سيادة اللواء، تفضل.. هل أعد لك قدح القهوة كالمعتاد؟

صافح (حلمي) (نديم) في حرارة، وهو يقول لـ (أحمد):

- لا يا عم (أحمد).. انصرف أنت وعد إلى منزلك، سأتحدث مع (نديم) قليلاً، ثم نرحل معًا.

أطاعه (أحمد)، وحمل أشياءه القليلة، وانصرف عائدًا إلى منزله، في حين قاد (نديم) رئيسه السابق إلى داخل حجرة مكتبه، وجلسا على مقعدين متقابلين، و(حلمي) يغمغم:

- أتحشم ألا أكون قد أتيت في وقت غير مناسب.

قال (نديم):

- على الرحب والسعة دائمًا يا سيدي.

خيم عليهما الصمت لحظات، وكأن كلاً منهما ينتظر أن يبدأ الآخر الحديث، ثم قال اللواء (حلمي):

- أنت تعلم بالطبع أن (العقرب) قد ظهر ثانية.

قال (نديم) في هدوء:

- تقصد ثالثة يا سيدي.. فهناك قضيتي (نعمان والي) و(صالح عثمان).

ابتسم اللواء (حلمي)، وقال:

- نعم.. أقصد أنه ظهر للمرة الثالثة.. وهو يسعى هذه المرة خلف (جيلان شوكت)، سيدة المجتمع والأعمال الشهيرة.

أومأ (نديم) برأسه إيجابًا، فتابع (حلمي):

- العجيب أن (جيلان) هذه تبدو نظيفة تمامًا، من كل النواحي القانونية الرسمية، وحتى غير الرسمية، على عكس من يتخذهم (العقرب) خصومًا له عادة.

قال (نديم) في هدوء:

- هذا لو أنها حقًا (جيلان شوكت).

انعقد حاجبا اللواء (حلمي) في شدة، وهو يقول:

- أتعني أنها ليست كذلك؟

هز (نديم) كتفيه، وقال:

- ربما لم تكن كذلك منذ عشر سنوات فقط.. بل ربما لم يكن هناك وجود لمن تدعى (جيلان شوكت)، قبل هذا التاريخ.

هتف (حلمي):

- إنه اتهام بالغ الخطورة يا (نديم).

بدا (نديم) جامدًا، وهو يقول:

- إنني لم أتهم أحدًا يا سيدي.

التقت نظراتهما لحظات، بدت خلالها ملامح (نديم) كقناع من الصلب، لا يعكس أية انفعالات؛ مما جعل اللواء (حلمي) يميل نحوه، قائلاً:

- قل لي يا (نديم): ما شكوك (العقرب) تجاه (جيلان شوكت)؟

قال (نديم) في هدوء شديد:

- لقد أخبرتك كل ما لديَّ بالفعل يا سيدي.

تراجع اللواء (حلمي) في مقعده، وقد أدرك أنه لن يحصل من (نديم) قط على حرف زائد، فتنهد قائلاً:

- لا بأس.. يمكننا أن نجري تحرياتنا.

ثم سأله بغتة:

- ولكن أين (غادة)؟

خيل إليه أن (نديم) كان يتوقع هذا السؤال، أو ينتظره؛ فقد أجاب على الفور:

- في مهمة خاصة بالمكتب.

ردد (حلمي):

- مهمة خاصة؟!

وهز رأسه متفهمًا، ثم نهض مستطردًا:

- سأتركك أنا إذن، فربما احتاجت لك في مهمتها.

نهض (نديم) يصافحه، وهو يغمغم:

- إنها تحتاج إليّ بالفعل يا سيدي.

وعندما انصرف اللواء (حلمي)، أضاف (نديم) في خفوت:

- تحتاج إليّ كثيرًا.

وأدار عينيه إلى الخزانة السرية..

إلى حيث الزي..

زي (العقرب)..

• • •

ثم تكد (جيلان شوكت) تدلف إلى مكتب (أكرم منصور)، في تمام الحادية عشرة مساء، حتى هب هذا الأخير من خلف مكتبه، وهتف:

- مرحبًا يا عزيزتي (جيلان).. إنني أحمل لك مفاجأة.

جلست على المقعد المواجه لمكتبه، وأشعلت سيجارتها، ونفثت دخانها في قوة، وهي تقول:

- بشأن ماذا؟

مال على أذنها، هامسًا:

- بشأن (العقرب).

عقدت حاجبيها، وقالت في توتر ملحوظ:

- ماذا لديك عنه؟

عاد يجلس خلف مكتبه، وهو يبتسم في زهو، قائلاً:

- لقد التقطت طرف الخيط من قضية (نعمان والي)، وطلبت مقابلة رجله الأول (سيد) في السجن، فقد أصيب (نعمان والي) نفسه بالجنون، بعد هزيمته على يد (العقرب).. ولقد استصدرت تصريحًا خاصًا بزيارة (سيد)، والتقيت به بالفعل بعد الظهر، ولقد أخبرني بكل ما يعرفه عن (العقرب)، الذي حطم أنف زعيمه، وألقاه في السجن، على الرغم من اتصالاته وسطوته، و...

قاطعته في عصبية:

- أنت تعلم أنني أكره المقدمات الطويلة يا (أكرم).

صمت لحظة، دون أن يفقد ابتسامته المزهوة، ثم قال:

- لا بأس.. لن نحتاج لها.

ومال نحوها، وهو يقول في صوت، حرص على أن يشحنه بأكبر قدر ممكن من الإثارة:

- لقد توصلت إلى معرفة الشخصية الحقيقية لـ (العقرب).

وعاد يجلس في وضعه الأول، مستطردًا في حزم:

- إنه نفس المحامي الشاب.. إنه (نديم فوزي).

انتفض جسدها في قوة، وهتفت:

- أأنت واثق؟

قال في حزم:

- تمام الثقة.

نهضت من مقعدها على نحو غريزي، وأطفأت سيجارتها في حدة، وهي تقول:

- ذلك الوغد!!

ولوحت بذراعها مستطردة:

- إذن فذلك المحامي الشاب متيم بقصص البطولات السينمائية والرسوم المتحركة، ويتصور نفسه النسخة المصرية من (زورو) و(الرجل الوطواط).. يا للسخافة! أيظن أن قناعه هذا سيكفل له النصر.

ابتسم (أكرم) ساخرًا، وهو يقول:

- دعيه يتصور هذا.

هتفت في سخط:

- سأسحقه سحقًا.

أجابها في هدوء:

- لم نختلف.. سنعمل على أن نسحقه سحقًا، حتى يصبح عبرة لكل من يفكر في دس أنفه في شئوننا.

قالت في حدة:

- ولكن بعد أن ننتزع منه الوثائق.

أطلق (أكرم) ضحكة ساخرة طويلة، جعلتها تلتفت إليه في حنق، هاتفة:

- لماذا تضحك؟

أجابها ضاحكًا:

- ماذا أصابك أيتها الإمبراطورة؟ أصدقت حقًا أنه وزميلته يملكان مثل هذه الوثائق؟

قالت في حدة:

- من أدراك أنهما لا يملكانها؟

قال في ثقة:

- لأن الفتاة التي تلقى أمها مصرعها قتلاً أمام عينيها لن تتردد لحظة واحدة في تسليم عنق قاتلة أمها إلى السلطات، لو أنها تملك قرينة واحدة لإدانتها.. أليس كذلك؟

بدت الدهشة على وجه (جيلان)، وكأنما لم تفكر في هذا الاحتمال قط، ثم لم تلبث أن غمغمت:

- أنت على حق.

ثم ضمت قبضتها في حنق، هاتفة:

- وأنا التي أبقيت على حياة تلك المحامية اللعينة.

وانقضت على الهاتف، مستطردة في شراسة:

- سآمر رجالي بقتلها.

قبض (أكرم) على معصمها، قبل أن تلتقط سماعة الهاتف، وقال:

- ليس الآن.

صاحت به في حدة:

- ولماذا الانتظار؟

أجابها في حزم:

- لأننا لم نختبر بعد قوة رفيقها، الذي يطلق على نفسه اسم (العرب)، ومهما كان رأيك عما يفعله، فقد نجح بالفعل في تحطيم واحد من عمالقة عالم الجريمة. وتحقيق هذا ليس بالأمر الهين أو السهل، وإن كان يعني شيئًا فإنما يعني أنه ليس من المفضل أن نستهين بخصمنا هذه المرة.

أبعدت يدها عن سماعة الهاتف، قائلة في توتر:

- أريد أن أفهم أكثر.

أجابها في اهتمام:

- ما ينبغي أن نفعله أولاً هو أن نتخلص من (العقرب)، وبعدها سيسهل تخلصنا من الفتاة، وإلا فإننا سنستخدمها كورقة للمساومة، لو عجزنا عن التخلص منه.

قالت في حزم:

- لن نعجز.

وأشعلت سيجارة أخرى، قبل أن تتابع:

- سيصل ذلك المحامي الشاب في تمام منتصف الليل؛ ليتفاوض معنا بشأن رفيقته..

وابتسمت ابتسامة شرسة، وهي تنفث دخان سيجارتها، مستطردة:

- وأراهنك أنه لن يشهد فجر الغد.. لن يشهده أبدًا.

• • •

الإمبراطـــورة



8- ليلة (العقرب)..

درس (نديم) الموقف كله، وهو يقف على سطح البناية المجاورة لتلك التي تضم مكتب (أكرم)..

كانت المنطقة كلها هادئة ساكنة، في ذلك الوقت المتأخر من الليل، وقد غاب القمر خلف بعض السحب المنخفضة، فساد ظلام كثيف، أضاف إلى الصورة الكثير من الرهبة والغموض..

وكان من الواضح أن (جيلان) قد وضعت بعض رجالها لحراسة مدخل البناية الأخرى، حيث مكتب (أكرم)، فلقد لمح (نديم) رجلين، يوحي مظهرهما بالشراسة، يحومان حول المدخل..

وتطلع (نديم) إلى ساعته، التي أشارت عقاربها إلى الثانية عشرة إلا الثلث، قبيل منتصف الليل، وغمغم:

- حان الوقت ليبدأ (العقرب) عمله.

وفي هدوء انتزع سترته البيضاء، وارتدى سترة جلدية سوداء، فوق قميصه وسرواله الأسودين، ثم راح يرتدي قفازيه المطاطين في سرعة، ويخفي وجهه بقناع (العقرب) الأسود..

كان قد قرر أن يخوض المعركة بصفته (العقرب)، محارب الجريمة، وحامي العدالة، لا بصفته (نديم فوزي)، المحامي ورجل القانون..

ولم يكن قد تنازل بعد عن رأيه في الفارق الكبير بين القانون والعدالة، فالقانون - في رأيه - بطيء، تعترضه الروتينيات والتعقيدات والإجراءات، في حين تنطلق العدالة حرة حاسمة..

هذا هو منطق (العقرب)..

لو أنه يعمل بصفته (نديم فوزي)، لكان من المحتم أن يبحث عن أدلة قانونية، ودلائل قوية، تكفي لإقناع هيئة المحكمة بإدانة (جيلان شوكت)..

أما بصفته (العقرب) فهو يحتاج فقط إلى المعرفة..

ثم يضرب ضربته..

وفي خفة، ترك (نديم) حقيبته الصغيرة، التي تحوي زي المحامي الشاب الأنيق، وتحرك نحو الحائط الذي يفصل البنايتين، في زي (العقرب) الأسود، وألقى حبلاً متينًا إلى سطح بناية مكتب (أكرم)، وراح ينزلق فوقه إلى هناك..

واستقرت قدماه على سطح بناية مكتب (أكرم)، فتلفت حوله في حذر، ثم تحرك في خفة القط نحو مدخل السطح..

كان واثقًا من أنه قد اتخذ الطريق الوحيد، الذي لن يتوقع (أكرم) أو (جيلان) قدومه منه، ولكنه لم يكد يفتح باب السطح، حتى وقع بصره على رجل يوليه ظهره، وهو يتطلع إلى أسفل، وكأنما يتوقع صعود شخص ما إلى السطح..

لقد حاصرت (جيلان) المكان حقًا، واتخذت الحذر ضد كل احتمالات فرار (نديم)، حتى لو حاول الصعود إلى السطح..

وليس الهبوط منه لحسن الحظ..

وكفهد قوي، انقض (نديم) على الرجل، وأحاط عنقه بذراعه اليسرى، ثم لوى ذراع الرجل اليمنى خلف ظهره في قوة، وهو يقول في صرامة:

- لا تنبس بحرف واحد.

كاد الرجل يصرخ من فرط الألم والمفاجأة، إلا أن صوت (نديم) الصارم جعله يكتم صرخته في أعماقه، ويقول في صوت مختنق:

- ماذا تريد؟

شدد (العقرب) في ضغط ذراعه على عنق الرجل، وهو يقول في صرامة:

- كم رجلاً وضعتهم رئيستك لحراسة المكان؟

أجابه الرجل في ألم، وهو يكاد يختنق:

- ثمانية رجال غيري.. اثنان عند باب البناية، وواحد في المصعد، واثنان في الدور الرابع أمام المكتب، واثنان يختفيان داخل المكتب نفسه، وواحد على السطح.

سأله (العقرب):

- على السطح؟! أين هو؟

شعر فجأة بفوهة مسدس باردة تلتصق بمؤخرة عنقه، مع صوت ساخر خشن يقول:

- هأنذا.

وسمع صوت إبرة المسدس تتحرك..

• • •

تطلعت (جيلان) إلى ساعة يدها، وقالت في عصبية:

- الثانية عشرة إلا الربع.. المفروض أن يكون في طريقه إلى هنا الآن.

ابتسم (أكرم) في هدوء، وهو يقول:

- لا داعي لكل هذا التوتر.. إننا سنستقبله جيدًا، أيًا كان موعد وصوله.

قالت في غضب:

- أنت تعلم أنني أكره الانتظار.

ضحك قائلاً:

- حقًا؟!

رمقته بنظرة غاضبة، وقالت في توتر:

- اسمع يا (أكرم).. صحيح أنني صبورة فيما يختص بالعمل، ولكنني أمضيت عشر سنوات كاملة دون متاعب أو مشاكل، وكل أعمالي تسير على خير ما يرام، ولقد استقر بي المقام هذه المرة، ويمكنني أن أمارس عملي إلى الأبد، دون أن يحمل مخلوق واحد ذرة من الشك في أمري؛ لذا فمن الطبيعي أن يقلقني ويثير أعصابي تدخل شخص مثل هذا (العقرب) في شئوني، وتعرض أعمالي للخطر بغتة.

ابتسم قائلاً:

- اطمئني يا عزيزتي (جيلان).. لن يربح هذا (العقرب) المعركة.. ثم إن أوراقنا كلها سليمة، ولا يوجد ما يقلقنا.

شردت ببصرها مغمغمة:

- أتمنى ذلك يا (أكرم).. أتمنى ذلك.

ولكن أعماقها كانت تحمل شيئًا من الخوف..

الخوف المبهم..

• • •

فجأة تحرك (العقرب)..

كان المجرم يلصق فوهة مسدسه برأس (العقرب)، عندما انحنى هذا الأخير فجأة، ودفع ساعده إلى أعلى؛ ليرفع اليد الممسكة بالمسدس عاليًا، ثم دار على عقبيه في سرعة مدهشة، وهوى بقبضته على فك الرجل كالقنبلة، ولم ينتظر سقوطه، بل استدار مرة أخرى، وضم قبضتيه؛ ليهوي بهما على مؤخرة عنق الرجل الآخر..

وفي صوت مكتوم، سقط الرجلان أرضًا..

وفي سرعة، راح (العقرب) يقيد معصميهما خلف ظهريهما، ثم ألصق على فميهما شريطًا لاصقًا، وغمغم:

- بقى سبعة رجال، قبل أن أنفرد بالأفعى ومستشارها.

هبط درجات السلم في خفة وسرعة، حتى بلغ الطابق الخامس، فتوقف هناك لحظة، وضغط زر المصعد، واختفى إلى جوار بابه، حتى صعد المصعد إليه، وانفتحت أبوابه آليًا..

وكعاصفة هو جاء، قفز (العقرب) داخل المصعد، ورأى الرجل الذي وضعته (جيلان) هناك يحدق فيه في ذهول، فأضاع ذهوله بلكمة كالقنبلة، تحطمت لها أسنان الرجل الأمامية، وسقط بين ذراعي (العقرب)، الذي قيده وكمم فمه بدوره، ودفعه خارج المصعد، بعد أن استولى على مسدسه، وضغط زر المصعد في هدوء إلى الطابق الرابع..

وفي الطابق الرابع توقف المصعد، وانفتحت أبوابه، وقفز (العقرب) خارجه..

وانتزع الرجلان اللذان يحرسان الطابق مسدسيهما، ولكن قدم (العقرب) أطارت مسدس أولهما، وهوت قبضته على فك الثاني، ثم حطمت قبضته الأخرى أنف الأول..

وربح (العقرب) هذه الجولة أيضًا، بنفس السرعة والصمت المطلوبين، وراح يقيد هذين الرجلين ويكممهما، وهو يفكر في الخطوة التالية..

لقد تخلص حتى الآن من خمسة رجال، وبقي أمامه أربعة..

اثنان عند مدخل البناية، واثنان داخل المكتب..

وقرر - منطقيًا - أن يقتحم المكتب، ويتخلص ممن داخله أولاً..

ولكن أين يجد هذين الرجلين؟

توقف لحظات يدرس الأمر، ثم لم يلبث أن غمغم:

(جيلان) هذه أفعى سامة بالفعل، ولا توجد سوى وسيلة واحدة لهزيمة الأفعى.

وعاد يصعد إلى السطح..

• • •

هتفت (جيلان) في حدة:

- الثانية عشرة تمامًا، ولم يصل ذلك المحامي بعد.

قال (أكرم):

- سيصل بين لحظة وأخرى حتمًا.

أشعلت واحدة من سجائرها، وهي تنفث الدخان في حدة، قائلة:

- لماذا تبدو واثقًا هكذا؟

تطلع إليها وهي تنفث دخان سيجارتها، وقال:

- (جيلان).. أنت تسرفين كثيرًا في التدخين هذه الأيام.

قالت في عصبية:

- هذا شأني.

هز كتفيه قائلاً:

- كما يروق لك.

ثم اتجه نحو نافذة مكتبه، مستطردًا:

- على أية حال، أظن أن هذا المحامي سيصل بسيارته الآن، و...

تراجع بغتة في ذهول، واتسعت عيناه في شدة، وهو يهتف:

- يا للشيطان!!

التفتت (جيلان) إلى حيث ينظر في حركة حادة، ثم اتسعت عيناها بدورها، وتراجعت وهي تطلق شهقة قوية..

لقد كان أمامهما آخر شخص يتوقعان رؤيته من النافذة..

كان أمامهما (العقرب)..

• • •

الإمبراطـورة

9- هزيمـة..

بذلت (غادة) أقصى جهدها؛ لتبدو هادئة، وهي مقيدة إلى مقعد ثقيل، داخل حجرة كبيرة، وأمامها يجلس رجل ضخم الجثة، شرس الملامح، انهمك في تنظيف مدفع رشاش، في عناية بالغة، وقد رفع قدميه فوق مائدة صغيرة في مواجهتها، وراح يطلق من بين شفتيه صفيرًا منغومًا لأغنية رديئة، انتشرت في الآونة الأخيرة، بين أوساط الحرفيين، ونالت بينهم شهرة واسعة..

وعلى الرغم من الهدوء، الذي ترسمه على وجهها، كانت أصابعها تعمل في همة ونشاط، في محاولة للتخلص من قيودها، حتى ندت منها تنهيدة يأس، جعلت الرجل يتوقف عن العناية بمدفعه الرشاش، ويتطلع إليها بابتسامة مقيتة، قائلاً في سخرية وخشونة:

- هل أصابك الملل؟

أجابته ساخرة:

- وهل يمل المرء رؤية وجهك الوسيم؟

عقد حاجبيه في غضب، وقال:

- هل كل المحاميات سخيفات هكذا؟

أجابته بنفس اللهجة الساخرة:

- أخبرني أولاً.. هل كل المجرمين على نفس القدر من الغباء والبشاعة؟

هب من مقعده في غضب، واندفع نحوها، وجذب شعرها في قسوة آلمتها، وهو يقول:

- هل يروق لك أن أذبحك الآن؟

قالت في تهكم، على الرغم من آلامها:

- وهل سيحرمني هذا رؤية جمالك الفتان؟

دفعها في غلظة، وهتف:

- أراهن أن سخريتك هذه ستتحول إلى ضراعة وتوسلات، عندما يلمس نصل خنجري الحاد عنقك.

ثم أشار إلى الهاتف، مستطردًا في حدة:

- أتعلمين ماذا أنتظر؟ إنني أنتظر محادثة من الزعيمة، تبلغني فيها بالتخلص من رفيقك، وبتنفيذ المهمة التي أوكلتها إليّ.

ومال نحوها مضيفًا في شماتة:

- أتعلمين طبيعة هذه المهمة؟

غمغمت في خفوت، وهي تتطلع إلى وجهه البشع:

- يمكنني أن أخمن.

نهض قائلاً في سعادة وتشف:

- أن أذبحك.

وأخرج خنجرًا حادًا، وغرس نصله في سطح المائدة بحركة سريعة، وابتسم ابتسامة وحشية شرسة، مستطردًا:

- وسأنتظر تلك اللحظة بفارغ الصبر.

وارتجف قلب (غادة) في رعب..

• • •

مضت لحظات من صمت ثقيل وكل من (أكرم) و(جيلان) يحدقان في وجه (العقرب) في ذهول، قبل أن يتحول ذهو ل (جيلان) إلى غضب جارف، وهي تهتف:

- كيف فعلت هذا؟

قبل أن يفتح (العقرب) فمه اقتحم رجلان حجرة المكتب، وكل منهما يحمل مسدسه، فقفز (العقرب) إلى جوار (جيلان)، وصوب مسدسه إلى صدرها، قائلاً في صرامة:

- سأطلق النار على رأسها مباشرة، لو تحرك أحدكما خطوة واحدة.

تجمد الرجلان في مكانيهما، وشحب وجه (أكرم)، وهو يهتف:

- لا.. لن يفعل أحدنا أي شيء.

وعادت (جيلان) تسأل في غضب:

- كيف فعلت هذا؟

أشار (العقرب) إلى أعلى، قائلاً:

- لقد أتيت من حيث لا يتوقعني أحد.

قالت في حدة:

- أتعلم أنني أستطيع أن آمر رجالي بقتلك هنا؟

هز رأسه في برود، وقال:

- لن يحدث هذا.. فأنت رأس الأفعى بالنسبة لرجالك، ولن يجرؤ أحدهم على إطلاق النار عليّ، وأنا أهدد رأسهم.

عقدت حاجبيها في غضب، وهي تقول:

- هكذا؟!

ثم استدارت تواجهه بصدرها، قائلة في حدة:

- أطلق النار إذن.

أدهشته جرأتها الشديدة حقًا، ولكنه قال في صرامة:

- إنك تغرينني بأن أفعل.

تقدمت بصدرها نحوه، وهي تقول في تحد:

- هيا.. افعل.. إنني أتحداك.

وفجأة أطلقت صرخة قتالية، وقفزت قدمها تضرب المسدس من يده، وتطيح به بعيدًا..

كانت تجيد القتال اليدوي حقًا..

وكانت المفاجأة هذه المرة من نصيب (العقرب)..

وصرخت (جيلان):

- إنه لكم يا رجال.

ثم تراجعت في حركة حادة، ووجد (العقرب) مسدسي رجليها مصوبين إليه، وسمعها تطلق ضحكة ساخرة عالية، وتقول:

- هيا.. اعترف أيها المقنع.. لقد خسرت معركتك هذه المرة.

بدا (العقرب) هادئًا جامدًا، وكأن ما حدث لا يعنيه كثيرًا أو قليلاً، في حين ارتسمت ابتسامة ارتياح على وجه (أكرم)، وهو يقول:

- رائع يا (جيلان).. هل يطلق الرجال النار عليه؟

هزت رأسها نفيًا، وقالت:

- لا.. ليس هنا.

ثم تقدمت نحو (العقرب)، وانتزعت قناعه بحركة مفاجئة، وابتسمت في ظفر، قائلة:

- إذن فهو أنت يا سيد (نديم).

أجابها (نديم) في هدوء:

- نعم.. هو أنا.

قالت في سخرية:

- تشرفنا.

وفجأة تحركت يدها في سرعة، وهوت على مؤخرة عنقه بضربة فنية مباشرة، شعر معها (نديم) بالأرض تميد تحت قدميه، والأضواء تخفت أمام عينيه..

وسقط فاقد الوعي..

وفي سخرية، ابتسمت (جيلان)، وقالت:

- ها هي ذي أسطورة أخرى تتحطم.

ثم أشارت إلى رجليها، قائلة:

- احملوه إلى منطقة بعيدة، عند كورنيش النيل، واربطا حجرًا ضخمًا إلى عنقه، ثم ألقياه في المياه الباردة، مع تحياتي.

قالتها وعيناها تتألقان في جذل وحشي، فحمل الرجلان (نديم) وغادرا المكان؛ لتنفيذ الأمر، في حين سألها (أكرم):

- وماذا عن الفتاة؟

ابتسمت قائلة:

- أمرها أبسط مما تتصور.

ورفعت سماعة الهاتف، وأدارت رقمًا ما، ولم تكد تسمع صوت ذلك الضخم القبيح، الذي يقوم على حراسة (غادة)، حتى قالت:

- أنا (جيلان شوكت).. نفذ الأمر.

تألقت عينا الضخم، وأعاد سماعة الهاتف إلى موضعها، وافتر ثغره عن ابتسامة وحشية، وهو يلتفت إلى (غادة)، التي ارتجف جسدها من قمة رأسها وحتى أخمص قدميها، عندما رأته ينتزع الخنجر الحاد من سطح المنضدة، ويتجه إليها، وأيقنت أنها النهاية..

نهاية ليلة (العقرب)..

• • •

الإمبراطورة

10- قتل.. وقتل..

تطلع العقيد (مجدي) إلى وجه رئيسه اللواء (حلمي) في حيرة، قبل أن يزدرد لعابه في صوت مسموع، ويسأله في حيرة تحمل نبرة استنكار:

- ماذا تعني يا سيدي بأنه من المحتمل أن (جيلان شوكت) لم تكن هي نفسها (جيلان شوكت) منذ عشر سنوات؟!

أجابه اللواء (حلمي) في هدوء:

- لقد درست ما ناقشناه معًا، بشأن اهتمامات (العقرب) الأخيرة بـ (جيلان شوكت)، وتوصلت إلى أنه ما دمنا لم نجد شيئًا يدين (جيلان) منذ ظهورها على ساحة المجتمع وعالم الأعمال. فمن المحتمل أنها لم تكن تحمل هذا الاسم من قبل.

عقد (مجدي) حاجبيه طويلاً، وهو يفكر في هذا الاحتمال، ويقلبه على كل الوجوه، ثم قال في حزم:

- لا يا سيدي.. هذا الاحتمال غير وارد تقريبًا.

سأله في اهتمام:

- لماذا؟

قلب (مجدي) الملفات التي أمامه، وانتزع من بينها واحدًا، وهو يقول:

- لأنني أرسلت أطلب معاونة السلطات التركية، وها هو ذا الملف، الذي أرسلوه من (إسطنبول) ظهر اليوم.

فتح الملف في سرعة وانفعال، مستطردًا:

- إنهم يقولون إن (جيلان شوكت) شخصية معروفة لديهم، وأنها مصرية الجنسية، تزوجت منذ خمسة عشر عامًا من ثري تركي، يدعى (عاصم شوكت)، ومنه حصلت على اسمها الثاني، ولقد كانت إحدى سيدات المجتمع في (إسطنبول)، حتى وفاة زوجها، منذ أحد عشر عامًا تقريبًا، حيث خاضت سلسلة من القضايا والمشكلات المعقدة مع أسرته، بشأن نصيبها من الميراث، خاصة وأنها لم تنجب منه أطفالاً، وفي النهاية حصلت على مائة ألف دولار، وعادت إلى (القاهرة) منذ عشر سنوات وما لا يقل قليلاً عن نصف السنة، حيث بدأ نجمها يلتمع، في عالم الأعمال، ودنيا المجتمع.

استمع إليه اللواء (حلمي) في اهتمام بالغ، ثم غمغم:

- مائة ألف دولار؟! فقط؟!

...حو (مجدي)، مستطردًا:

...يمكن لرجل أعمال، مهما بلغ من الذكاء والحنكة والحكمة، أن يصنع

إمبراطورية اقتصادية هائلة، كالتي صنعتها (جيلان شوكت) في عشرة أعوام، برأس مال لا يزيد على مائة ألف دولار؟

هز (مجدي) كتفيه، وقال:

- لست أدري، فمعلوماتي عن الاقتصاد أضعف مما يمكن أن تتصور يا سيدي، ولكن يمكننا استشارة الزملاء في إدارة الأموال العامة، أو التهرب الضريبي، أو...

قاطعه (حلمي) بإشارة من يده، وقال في حزم:

- إنه مجرد تساؤل.

وصمت لحظة، ثم أضاف في تفكير عميق:

- أو طرف خيط..

• • •

ابتسم المجرم الضخم الجثة في شماتة، وتألقت عيناه في شراسة، وهو يشحذ خنجره، ويتطلع إلى (غادة) قائلاً:

- كم يسعدني أن أتت الأوامر بقتلك، سيروق لي كثيرًا أن أذبحك.

أجابته في سخرية، على الرغم من الدماء التي ترتجف في عروقها:

- كان ينبغي أن تستدعي بعض رجال الصحافة لتسجيل هذه اللحظة التاريخية، فإنها أول مرة يذبح فيها الخروف واحدة من البشر، على عكس المألوف.

كشر عن أنيابه، وهو يقول:

- إنني أكره أن تسخر مني امرأة، ولكنني سأغفر لك هذا، وسأعتبره مجرد هذيان امرأة تحتضر.

قالت متهكمة:

- بل هو نوع من الغزل الساخر، مثلما يحدث بين أي شخص وحماره.

زمجر في غضب، وجذبها من شعرها في قوة، ورفع خنجره، هاتفًا:

- لن أغفر المزيد.. هيا.. أخبريني: ما الوسيلة التي تختارينها للموت؟

صاحت في سخرية:

- الشيخوخة.

قالتها وانثنى جسدها في سرعة ومرونة مذهلتين، ووثبت قدميها إلى أعلى؛ لتركل وجه

الرجل في عنف، وتلقيه أرضًا..

وسقط الرجل كالثور، وارتطم بالأرض في قوة، ثم صرخ:

- أيتها اللعينة!

ولكنه لم يكد يعتدل واقفًا، حتى وجد نفسه، على الرغم منه، يحدق فيها في ذهول، فلم تكن تجلس على المقعد، الذي قيدها بنفسه إليه، وإنما كانت تقف أمامه بابتسامة ساخرة، وقيودها ملقاة عند قدميها..

وهتف المجرم ذاهلاً:

- ولكن القيود!!

أجابته (غادة):

- من حسن حظي وسوء حظك أنني نجحت في حلها منذ دقيقة واحدة.

تقافز الغضب من كل خلية من خلايا وجهه، وهو يرفع خنجره، وينقض عليها، صارخًا:

- لن تفلتي.

على الرغم من أن حجمه كان يفوق ثلاثة أمثال حجمها.. أو لهذا السبب بالذات..

فقد تفادت (غادة) انقضاضته في مرونة، وتركته يتجاوزها، ثم هوت على مؤخرة عنقه بحافة يدها، وهي تقول:

- تمامًا مثلما يحدث في مصارعة الثيران..

وقفزت تركل عموده الفقري بقدمها، مستطردة:

- لابد من إنهاك الثور أولاً..

وجمعت قبضتيها لتهوي بهما على عنقه، وهي تختم عبارتها:

- قبل القضاء عليه.

أطلق الرجل خوارًا جعله أشبه بالثور فعلاً، قبل أن يسقط على وجهه، ويفقد وعيه تمامًا..

وبابتسامة ساخرة، قالت (غادة):

- لماذا يصرون دائمًا على العمل مع ثيران غبية؟

وفي هدوء، انحنت تلتقط سلسلة مفاتيح المجرم، وهي تقول:

- أتعشم أن تكون من نوع الثيران المنظمة، التي تحتفظ بكل مفاتيحها في سلسلة واحدة.

ابتسمت عندما وجدت مفتاحي المنزل والسيارة في حلقة المفاتيح، ولوحت بيدها للمجرم الملقى أرضًا، وهي تقول:

- وداعًا يا ملك الثيران.

غادرت المنزل في هدوء، واستقلت السيارة، ولم تكد تدير محركها حتى وجدته أمامها.. ذلك المجرم الضخم الجثة، وقد استعاد وعيه، ولحق بها، وبدا وجهه أشبه بلوحة مثالية للغضب، وهو يصوب إليها مسدسه، ويصرخ:

- قلت لن تفلتي.

وضغط الزناد..

• • •

أوقف رجلا (جيلان) سيارتهما في منطقة خالية، عند كورنيش النيل، وتلفتا حولهما في حذر، ثم فتحا حقيبة السيارة الخلفية، وأخرجا منها جسد (نديم) الفاقد الوعي، وأرقداه أرضًا، ثم تعاونا على إخراج حجر ضخم، وضعاه إلى جوار (نديم)، وقال أحدهما وهو يلهث:

- أسرع يا رجل.. حاول أن تنتهي من المهمة في سرعة، قبل أن ينتبه أي عابر سبيل لما نفعل.

قال زميله، وهو ينحني ليربط الحجر بحبل سميك، في رقبة (نديم):

- اطمئن، لن يستغرق الأمر دقيقة واحدة.

سمعا فجأة صوتًا يقول في برود:

- هل تراهن؟

اعتدل الرجل في حركة حادة، وهو يحدق في وجه (نديم)، الذي لفظ العبارة السابقة، في حين قفزت يد زميله نحو مسدسه، وهو يهتف:

- يا الله!!

قبل أن ينطق ما كان ينتوي نطقه، انطلقت قبضة (نديم) نحو فكه كالقنبلة، وسمع المجرم الآخر صوت ارتطام مكتوم، وشاهد زميله يسقط أرضًا، والدماء تندفع من أنفه وفمه في غزارة، فقفز واقفًا، وصاح:

- أي شيطان أنت؟

وثب (نديم) واقفًا على قدميه، وهو يقول:

- ما رأيك أنت؟

وقبل أن ينتهي آخر حرف من حروف عبارته، كانت قدمه تركل وجه المجرم في عنف، ثم ترتفع في مهارة مدهشة، لتركل أنفه، في تتابع فائق السرعة..

وكحجر أصم، سقط المجرم فاقد الوعي..

وفي هدوء شديد، اتجه (نديم) نحو السيارة، وانطلق بها مبتعدًا، وهو يقول لنفسه:

- لقد نجوت هذه المرة يا (نديم)، ولكنك فقدت سرية شخصيتك.. فقدتها للأبد.

وامتلأت نفسه بالمرارة..

• • •

لم تكد (غادة) ترى ذلك المسدس المصوب إلى رأسها، عبر زجاج السيارة الأمامي، حتى ضغطت دواسة الوقود، ورفعت قدمها عن الكامح في مهارة، اكتسبتها من عملها بالشرطة، وقيادتها سيارتها الخاصة لسنوات..

وأطلق المجرم النار..

وانحنت (غادة) على نحو غريزي..

واخترقت الرصاصة زجاج السيارة الأمامي، ومرقت فوق رأس (غادة)، وارتطمت بالزجاج الخلفي، في نفس اللحظة التي اندفعت فيها (غادة) بالسيارة نحو المجرم، الذي اتسعت عيناه في رعب، وصرخ:

لا.. ليس..

وارتطمت به مقدمة السيارة، وأطاحت به بعيدًا، وهو يطلق صرخة ألم مدوية، و(غادة) تنطلق بعيدًا..

لقد نجت هذه المرة..

تقريبًا..

• • •

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثالثة وعشر دقائق صباحًا، عندما اندفعت (غادة) إلى حجرة (نديم)، في مكتبه الخاص، وهتفت:

- كنت أعلم أنني سأجدك هنا.

تألقت عيناه في ارتياح وسعادة، وإن بدا شديد الهدوء، وهو ينهض من خلف مكتبه، ويلتقط كفها في راحته، قائلاً:

- (غادة)!.. لقد نجوت إذن.. حمدًا لله.

سألته في جزع:

- قل لي أولاً ماذا أصابك.. إنك تبدو شاحباً، على نحو يثير القلق.

عاد يجلس خلف مكتبه، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه، وقال:

- لقد خسرت سرية شخصيتي.

أطلقت شهقة قوية، وهي تلقي نفسها على أقرب مقعد لمكتبه، هاتفة:

- يا إلهي! كيف حدث هذا؟

روى لها ما حدث في اقتضاب، واستمعت هي إليه في توتر بالغ، ثم هتفت:

- يا للعينة! كأنما تعلم فعلاً من أنت!

أومأ برأسه إيجابًا، وشرد ببصره قليلاً، وهو يقول:

- يبدو أننا نفتقر إلى الخبرة الكافية، في لعبة الشخصية المزدوجة هذه.

هزت رأسها في عنف، وقالت:

- لا.. لست أعتقد هذا.. فلقد عدت أنت من هناك، واستبدلت ثيابك في سرعة، وحافظت على هدوء أعصابك، بحيث يستحيل أن يثبت مخلوق واحد أنك و(العقرب) شخص واحد، أو...

قاطعها رنين مباغت لجرس الباب، جعلها تعقد حاجبيها وتقول في توتر:

- ترى من يأتي في مثل هذه الساعة؟

نهض من خلف مكتبه في هدوء، وألقى إليها مسدسه، وهو يقول في حزم:

- الوسيلة الوحيدة لمعرفة الجواب، هي فتح الباب.

اتجه نحو الباب، وهي تتابعه ببصرها في حذر وتحفز، ثم فتح الباب في حركة سريعة وقال في هدوء:

- مرحبًا أيها العقيد.. ترى ما سر هذه الزيارة العجيبة؟

شعرت (غادة) بالدهشة، عندما وقع بصرها على العقيد (مجدي)، الذي أزاح (نديم) جانبًا، ودلف إلى الداخل، وهو يقول في لهجة تحمل نبرة شماتة واضحة:

- إنها زيارة عمل.

دست (غادة) مسدسها في جيبها، وهي تغادر حجرة مكتب (نديم)، وتعقد ساعديها أمام صدرها، وتقول ساخرة:

- زيارة عمل في الثالثة والنصف صباحًا!

أجابها في خشونة:

- وهل هناك مواعيد لعمل الشرطي النشط؟

قالت متهكمة:

- أين هو ذلك الشرطي النشط؟ لست أرى هنا سواك.

عقد حاجبيه، وهو يقول في حدة:

- أراهن أن سخريتك هذه ستتحول إلى بكاء وضراعة عندما تعلمين لماذا أنا هنا.

قالت ساخرة:

- حقًا؟!

أما (نديم)، فقد سأله في هدوء:

- حسنًا يا (مجدي).. لماذا أنت هنا؟

التفت إليه (مجدي)، وقال في لهجة تقطر شماتة:

- أتحب أن تعرف حقًا؟ لا بأس أيها المحامي النابه.. أنا هنا لإلقاء القبض على (العقرب).

سأله (نديم) في برود:

- وأين هو هذا العقرب؟

أشار إليه (مجدي)، وقال:

- ها هو ذا.

لم يبد القلق على وجه (نديم)، وهو يقول:

- أتعلم يا عزيزي (مجدي) أنك تغريني برفع قضية تشهير ضدك؟ و...

قاطعه (مجدي) في حزم:

- رويدك يا زعيم الأذكياء.. الأمر يختلف هذه المرة، فلديَّ دليل لا يقبل الشك.

غمغمت (غادة) في دهشة:

- دليل؟!

أجابها (مجدي) في ظفر وشماتة:

- نعم.. وشهادة شهود أيضًا.. إنني هنا بناء على بلاغ من السيدة (جيلان).. (جيلان شوكت)..

واتضحت معالم اللعبة..

• • •

الإمبراطورة



11- وراء القضبان..

تنهد اللواء (حلمي) في حرارة، وقال لـ (نديم) مشفقًا:

- لست أدري ماذا أقول هذه المرة يا ولدي.. يبدو أن (جيلان) قد أجادت اللعبة هذه المرة، فلديها أربعة شهود، أقسموا أن رجلاً مقنعًا قد هاجمهم مع (جيلان)، في مكتب محاميها الخاص (أكرم منصور)، وأنهم قد نجحوا في نزع قناعه قبل فراره، وأن وجهه هو وجهك أنت بالذات.

قالت (غادة) في حدة:

- ليس هذا دليلاً كافيًا، فربما كان ذلك المقنع يشبه (نديم) فحسب.

ابتسم اللواء (حلمي) مشفقًا، وقال:

- لا تنسي أن محاميها (أكرم) هذا داهية.. لقد احتاط لهذا، فأضاف إلى بلاغها أن حديثًا قصيرًا دار بينه وبين (نديم)، أكد له شخصية هذا الأخير، قبل نزع قناعه.

هتفت محنقة:

- سنلعب لعبتها إذن.. إنني أتهمها باختطافي، والشروع في قتلي، و...

قاطعها في هدوء:

- ألديك دليل على هذا؟

بدا السخط على ملامحها، وهي تقول:

- لا.. للأسف.

ربت (نديم) على كفها مهدئًا، وقال:

- ليست هذه الوسيلة المناسبة يا (غادة).. أظن أن أفضل ما نفعله مع (جيلان) هو نبش ماضيها، و...

قاطعته في ضيق:

- لا تعتمد على هذا.

تطلع إليها في شيء من الدهشة والحيرة، قبل أن يسألها:

- لماذا؟

أشاحت بوجهها عنه، وكأنها تخشى مواجهته، وهي تجيب:

- إنني واثقة من أن عيني (فوقية)، التي قتلت أمي، كانتا سوداوين، ولكن عيني (جيلان) زرقاوين.

سألها في خفوت:

- ألا يحتمل أنها ترتدي عدسات لاصقة؟

هزت رأسها نفيًا في ضيق، وقالت:

- لا.. لقد تطلعت جيدًا إلى عينيها. إنها لا ترتدي أية عدسات.

كانت صدمة حقيقية لـ (نديم)، جعلته يغمغم في توتر:

- أتعنين أننا كنا طوال الوقت نطارد...

بتر عبارته على نحو حاد، وتظاهر اللواء (حلمي) أنه لم يستمع إلى الجزء الأخير من الحديث، وهو يقول:

- لو أن لديك دليلاً ينفي هجومك على مكتب (أكرم)، فقد..

قاطعه صوت خشن يقول:

- إنه لا يملك دليلاً واحدًا.

التفت الجميع في حدة إلى (مجدي)، الذي استطرد في شماتة:

- لقد وقع حقًا هذه المرة.

بدا الضيق على وجه اللواء (حلمي)، في حين قال (نديم) لـ (مجدي) في هدوء:

- يبدو أنك نسيت أهم مبدأ قانوني يا زميلي السابق، فالبينة على من ادعى، وعلى (جيلان) أن تثبت كوني (العقرب).

قال (مجدي) في خشونة:

- شهادة الشهود تكفي.

أجابه (نديم) بكل برود:

- ليس إذا ما دافعت عن نفسي.

قال (مجدي) ساخرًا:

- وهل تجرؤ؟

أجابه (نديم):

- بالتأكيد، فأنت لم تسأل (جيلان) مثلاً عن سبب مهاجمتي لها في مكتب (أكرم).

قال (مجدي) في سرعة:

- لسرقتها.

- سرقت ماذا؟

- حلي وأموال.

- وكم مرة فعل (العقرب) هذا؟

ران الصمت على المكان لحظة، ثم أجاب (مجدي) في حدة:

- ولا مرة واحدة.

ابتسمت (غادة) في ظفر، وقالت:

- ألا يعد هذا دليل نفي قويًا؟

أجابها (مجدي) في حدة:

- لا.

قال (نديم) في هدوء:

- ولكنه يكفي للإفراج عني بكفالة على الأقل.

وصمت لحظة، ثم استطرد في حزم:

- لسوء حظ (جيلان)..

• • •

«أفرجوا عنه بكفالة؟!».

أطلقت (جيلان) هذه العبارة كصرخة غاضبة ساخطة، قبل أن تستطرد في ثورة:

- وكيف سمحت لهم بفعل هذا؟

عقد (أكرم) حاجبيه، وقال:

- وهل لي الحق في أن أسمح أو أمنع؟ إنه وكيل النيابة الذي فعل هذا.

أشعلت سيجارتها في توتر، وقالت:

- ولكن هذا سيعني أن يواصل (العقرب) دس أنفه في شئوننا.

قال (أكرم) في هدوء:

- لقد كشفنا أمره، وسيحد هذا من حركته كثيرًا.

نفثت دخان سيجارتها، وهي تقول في عصبية:

- هل تظن هذا حقًا؟

ابتسم (أكرم)، ولوح بكفه في هدوء، وهو يقول:

- اطمئني يا عزيزتي.. حتى لو دس (العقرب) أنفه في شئوننا فلن يجد شيئًا.. إن عملنا

نظيف تمامًا.

قالت في حدة:

- أتسخر مني؟ أم أنه نوع من المزاح السخيف؟

قهقه ضاحكًا، وهو يقول:

- لا هذا ولا ذاك، ولكنك في الواقع تبدين أكثر جمالاً في لحظات الغضب.

ومال نحوها، مستطردًا في لهجة ذات مغزى:

- ثم إنه لا يسعى في الواقع خلف (جيلان)، بل خلف (فوقية).

حدجته (جيلان) بنظرة ناقمة طويلة، ثم أشاحت بوجهها، قائلة:

- لقد ماتت (فوقية) منذ عشر سنوات، في ذلك الحادث.

غمغم:

- أعلم هذا.

ثم استطرد في حزم:

- ولكنه هو يجهل الحقيقة.

التفتت إليه مرة أخرى، وتطلعت إليه طويلاً، قبل أن تسأله:

- ماذا تقصد؟

ابتسم وهو يتراجع في مقعده، وقال ملوحًا بكفه كالمعتاد:

- أقصد أنه مادام هذا ما يقلقه، وما دام لا يسعى إلا لمحاولة إثبات أن (جيلان) هي نفسها (فوقية)، فلنرخِ له العنان في هذا الشأن، فهو لن يصل فيه إلى أية نتائج مهما فعل.

استمعت إليه في اهتمام، ثم سألته:

- ألا ينطوي هذا على بعض الخطورة؟

هز كتفيه، وقال:

- مطلقًا.. لقد أحرقت أصول كل الوثائق بنفسي.. اطمئني.

تنهدت وقالت:

- أتمنى أن أثق في رأيك هذه المرة.

أضاف مبتسمًا:

- كما تفعلين دائمًا.. أخبريني: هل سبق أن خذلتك قبلاً؟

ابتسمت قائلة:

- مطلقًا.

وصمتت لحظة، ثم أضافت:

- فليكن.. سنلعب اللعبة بأسلوبك هذه المرة، فإما أن ننجح في إبعاد هذا (العقرب) عن لعبتنا الكبرى، أو...

فرقعت سبابتها وإبهامها، وهي تقول في حزم:

- أو نسحقه سحقًا.

• • •

تثاءبت (غادة) في إرهاق شديد، ودعكت عينيها وهي تقول:

- كم هو جميل!

سألها (نديم) في شرود، وهو منهمك في مراجعة ملف ضخم:

- ما هو هذا الجميل؟

ابتسمت في تهالك، قائلة:

- النوم.

رفع عينيه عن الملف، وسألها:

- ولم لا تخلدين بعض الوقت للنوم؟

قالت مداعبة:

- وهل ينعم بالنوم من يعمل معك؟

تثاءبت مرة أخرى، ثم هزت رأسها، وكأنما تنفض عنه رغبتها الشديدة في النعاس، وقالت في اهتمام:

- قل لي: هل توصلت إلى شيء من جبل الأوراق هذا؟

أجابها في اهتمام مشابه:

- تقريبًا.

اعتدلت في مجلسها، ورفعت سبابتها أمام وجهها، قائلة:

- لحظة إذن.

وهتفت:

- أحضر لنا قدحين من القهوة المركزة يا عم (أحمد).

ابتسم العامل العجوز، وهو يقول:

- حالاً يا سيدتي.

التفتت هي إلى (نديم)، وقالت:

- هيا.. هات ما لديك.

أشار إلى بعض الأوراق أمامه، وهو يقول:

- كل الوثائق هنا تؤكد أن (جيلان) ليست (فوقية)، بأي حال من الأحوال، فقد كانت هناك أنشطة واضحة لكلتيهما، في آن واحد، في (القاهرة) و(إسطنبول)، ثم إن (جيلان) لم تغادر تركيا، منذ زواجها، وحتى بعد مصرع (فوقية).

غمغمت:

- عجبًا!

تنهد وقال:

- العجيب في هذا الموضوع هو انفعال (جيلان) العنيف عندما تحدثت معها عن (فوقية) لأول مرة.. إنه يؤكد أنها تعرف من هي (فوقية).. تعرفها جيدًا.

ران عليهما الصمت لحظات، وكل منهما يعمل عقله بحثًا عن جواب، ثم لوحت (غادة) بكفها، وقالت:

- حسنًا، فلنؤجل بحث هذه النقطة لما بعد.

قال في هدوء:

- فليكن.. لقد راجعت ملف (جيلان) هنا، وذلك الملف الذي نسخه لنا اللواء (حلمي)، عن إقامتها في (إسطنبول)، ومن واقعها يتضح أن (جيلان) عادت من (تركيا)، وهي تملك مائة ألف دولار فحسب، أي ما يساوي مائة وثمانين ألفًا من الجنيهات، في ذلك الحين، وبعد عام واحد، أنشأت أربعة متاجر للأزياء وأدوات الزينة، في مواقع رائعة بقلب العاصمة، وابتاعت فيلا فاخرة في قلب (القاهرة)، وأسست في الوقت ذاته مصنعًا لأدوات الزينة في (إسطنبول)، وكانت هذه المنشآت تتكلف أربعة ملايين جنيه على الأقل، في ذلك الوقت، فمن أين أتت بكل هذا المال في عام واحد؟

قالت (غادة) في اهتمام:

- من أين أتت به حقًا؟

مط شفتيه، وتابع:

- الملاحظ هنا أن (جيلان) لا تستورد أدوات الزينة إلا من مصنعها في (إسطنبول) فقط، وهي تستورد كميات كبيرة، تسدد عنها الرسوم الجمركية على نحو منتظم، كما تسدد ضرائب مبيعاتها بكل أمانة، وعلى الرغم من مصروفاتها الباهظة، وتبرعاتها الضخمة للجمعيات الخيرية وما يشبهها، فقد ابتاعت منذ عدة أعوام متجرًا بالغ الضخامة، في واحد من أرقى أحياء العاصمة لبيع مستلزمات التجميل والزينة، وفيلا على شاطئ (المعمورة)، وأخرى في (باريس)، وطائرة خاصة في (روما).

قالت (غادة) مبهورة:

- هل تبلغ أرباح أدوات التجميل كل هذا القدر؟

أجابها في هدوء:

- ربما.

ثم شرد بصره، مستطردًا:

- وربما كان كل هذا مجرد ستار لتجارة أكثر ربحًا بكثير.

سألته في اهتمام:

- تجارة ماذا؟

أجابها في حزم:

- المخدرات.

وبدأت اللعبة تتضح أكثر..

• • •

الإمبراطورة

12- زيارة ليلية..

كانت ليلة باردة بحق، خلت فيها الشوارع من المارة، قبل منتصف الليل بساعتين كاملتين، وتوارى فيها القمر خلف عدد من السحب السوداء الثقيلة، التي تنذر بسقوط أمطار، عندما غادر (نديم فوزي) مكتبه، وتدثر بمعطفه، واتجه نحو سيارته، فقال الرائد (حسن) للعقيد (مجدي)، وهما يجلسان داخل سيارة، على بعد أمتار قليلة من سيارة (نديم):

- ها هو ذا يا سيدي.. إنه سيستقل سيارته.

قال (مجدي) في انفعال:

- أراهنك أنه سيتجه بها إلى شركة (جيلان)، أو فيلتها، فلابد له من أن يواصل لعبته، في شخصية (العقرب).

راقبا (نديم) معًا، وهو يرفع ياقتي معطفه، ويضع على رأسه قبعة سميكة، لتقيه البرد، ثم يخرج سلسلة مفاتيحه، و...

وسقط شيء ما من سلسلة المفاتيح، ارتطم بالأرض، وصدر عنه رنين معدني، قبل أن يتدحرج عائدًا إلى مدخل البناية، فأسرع (نديم) خلفه، وغاب داخل البناية لحظة، ثم عاد إلى سيارته، واستقلها وانطلق..

وهتف (مجدي) في (حسن):

- انطلق خلفه.. لا تدعه يغيب عن عينيك أبدًا.

انطلق (حسن) بالسيارة خلف سيارة (نديم)، التي سارت في بطء، وهي تعبر الطرقات في تراخ، حتى هتف (مجدي) في عصبية:

- ماذا يفعل هذا الأحمق؟ هل يتنزه بسيارته في مثل هذا الجو؟

تردد (حسن) لحظة، ثم قال:

- الواقع يا سيدي أنه يبدو كما لو أنه يعلم أننا نطارده.

عقد (مجدي) حاجبيه في توتر، وغمغم:

- يعلم؟!

ثم لوح بكفه في عصبية، وأضاف:

- لا.. مستحيل.

أجابه (حسن) في تردد:

- ولكن قيادته السيارة بهذا البطء لا تعني سوى هذا.

تمتم (مجدي):

- هل تعني أنه ربما؟

قفز الخاطر إلى رأسه بغتة، فأضاف في ذعر:

- يا إلهي!! لو أن هذا حقيقة..

ثم لكز (حسن) بكفه، هاتفًا:

- أسرع يا رجل.. اعترض طريقه وأوقفه.

قال (حسن) في دهشة:

- هل تعني أننا لن نتبعه ولن...؟

قاطعه في حدة:

- لا.. سنغير المهمة هذه المرة..

ضغط (حسن) دواسة الوقود، وزاد من سرعة سيارته، وعبر إلى جوار سيارة (نديم)، ثم انحرف؛ ليعترض طريقها في حدة..

وتوقفت سيارة (نديم) في عنف، وقفز (مجدي) من سيارته، هاتفًا في عصبية:

- هيا.. غادر السيارة.

اتسعت عيناه في ذهول، لم يلبث أن استحال إلى غضب جارف، وهو يهتف:

- أنت؟!

ابتسمت (غادة)، التي غادرت السيارة، مرتدية معطف (نديم) وقبعته، وقالت في سخرية:

- من كنت تتوقع؟

اندفع نحو السيارة، وأزاحها عن طريقه، وانحنى يفحص داخل السيارة في غضب، قبل أن يعتدل صائحًا:

- ولكن كيف؟ لقد شاهدناه بأنفسنا يرتدي القبعة وكانت ملامحه واضحة، و...

بتر عبارته بغتة، واتسعت عيناه عن آخرهما، وهو يسترجع مشهد تلك القطعة المعدنية، التي سقطت من (نديم)، فعاد خلفها إلى داخل البناية، وهتف محنقًا:

- إذن فقد تم الاستبدال في تلك اللحظة.

سألته (غادة)، وهي تبتسم ساخرة:

- أية لحظة!

رمقها بنظرة غاضبة صارمة، وصاح:

- اسمعي أيتها اللعينة.. لن يمكنك أنت وزميلك خداع القانون إلى الأبد.

هزت كتفيها، وقالت:

- ومن قال إننا نرغب في هذا؟ إن أعمالنا كلها قانونية.

صاح في غضب:

- وماذا عن خدعة السيارة هذه؟

قالت ساخرة:

- أية خدعة؟ لا يوجد قانون يمنعني من قيادة سيارة (نديم)، فهو يدفع تأمين سائق خاص، وأنا أمتلك رخصة قيادة، و...

قاطعها في حدة:

كفى.

وعاد إلى السيارة، وقفز داخلها صائحًا:

- هيا بنا يا (حسن).

راقبتهما (غادة) بابتسامة ساخرة، وهما ينطلقان مبتعدين، ثم غمغمت:

- لن يمكنكما إيقاف (العقرب)، إذا ما أراد أن ينطلق..

لن يمكنكما مطلقًا..

• • •

حجب ظلام تلك الليلة ذلك الشبح الأسود، الذي تسلل في خفة، من سطح بناية عالية، إلى سطح بناية أقل ارتفاعًا، هبط على سطحها في هدوء، ثم اتجه إلى سلمها في صمت وسكون، وعالج باب السطح في مهارة، ودلف منه إلى السلم..

وفي خفة الفهد، راح يهبط درجات السلم، حتى الطابق الثاني، حيث بداية مخازن (جيلان)، التي تحتل الطابقين: الأول والثاني، وقبو البناية..

وفي براعة، تمكن (العقرب) من فتح باب المخزن، ثم دخله وأغلق الباب خلفه في هدوء، وأشعل مصباحًا ضوئيًا صغيرًا، أداره في المكان، وتمتم في خفوت:

- كل شيء يبدو أشبه بمخزن أدوات تجميل عادي.

اتجه نحو أحد صناديق المخزن، وراح يفتحه في حنكة، حتى أزال غطاءه، والتقط من داخله علبة تحمل شعار أدوات (جيلان) للتجميل، وقال:

- مجرد علبة أدوات زينة بريئة، لا يمكنها أن تثير شكوك أحد، أو...

بتر عبارته بغتة، وانعقد حاجباه في شدة، وهو يقول:

- يا إلهي! ربما كان هذا هو المقصود.

فتح العلبة في سرعة، ودس إصبعه في المادة الجيلاتينية ذات الرائحة العطرة، وعبث به في قاع العلبة، ثم انتزعه مغمغمًا:

- لا يوجد شيء هنا.

عاد يلقي نظرة على محتويات المخزن في حيرة، ثم قال:

- أي لغز تتقمصه (جيلان) هذه؟

بدت له محتويات المخزن قليلة، بما لا يتناسب مع شركة ضخمة لتوزيع أدوات الزينة والتجميل، فتنهد قائلاً:

- أنا واثق من أنك تخفين شيئًا يا (جيلان)، ولكن ما هو؟

التصقت فوهة مسدس فجأة بمؤخرة رأسه، مع صوت خشن يقول:

- هل تحب أن تسألها بنفسك؟

وتناهى إلى مسامعه صوت إبرة المسدس تتراجع، استعدادًا للانطلاق..

والقتل..



من المؤكد أن ذلك الرجل، الذي يصوب مسدسه إلى رأس (نديم)، لم يكن يتصور أبدًا أنه يواجه واحدًا من أقوى وأعتى محاربي الجريمة على الإطلاق..

ولكنه أدرك ذلك ولا شك..

لقد ألصق فوهة مسدسه بمؤخرة رأس (نديم)، وألقى سؤاله الساخر، ثم انقلبت الدنيا كلها على رأسه كالإعصار..

لقد انحنى (نديم) في سرعة مدهشة، ورفع ساعده يضرب به ساعد الرجل، ويزيح فوهة المسدس عاليًا، ثم دار على عقبيه، ولكم معدة الرجل بيسراه في قوة، وهوى على فكه بيمناه في سرعة البرق..

وسقط مسدس الرجل، وهوى هو نفسه خلفه فاقد الوعي..

وفي هدوء، التقط (نديم) مسدس الرجل، وفحصه، ثم ألقاه إلى جوار صاحبه، مغمغمًا:

- كنت أتوقع هذا.

وقف في وسط المخزن، وأدار عينيه فيه في اهتمام بالغ، ثم زفر قائلاً:

- من الواضح أنك شديدة الحرص والحذر والذكاء يا (جيلان)، ولكنني أومن بأنه ما من مجرم، مهما بلغت عبقريته، لا يرتكب ولو خطأً تافهًا ضئيلاً، يكون طرف الخيط، الذي يشنق به نفسه في النهاية.

ثم غادر المخزن، وقد اتضحت في رأسه خطة العمل..

وخطة القتال..

• • •

فركت (جيلان) كتفيها في عصبية، وهي تقول لـ (أكرم) متوترة:

- إنها ليست مشكلة (فوقية) و(جيلان) حتمًا.. لقد هاجم ذلك (العقرب) مخزني أمس، وفحص إحدى علب مستحضرات التجميل.. إنه يعلم شيئًا عن عملنا بالتأكيد.

شبك (أكرم) أصابع كفيه أمام وجهه، وهو يقول في بطء:

- أو أنه يبحث عن شيء ما.

هتفت متوترة:

- لن يفعل، ما لم تكن لديه شكوك خاصة.

وأشعلت سيجارتها في عصبية، مستطردة:

- اسمع يا (أكرم).. إننا في طريقنا لإتمام أكبر صفقة في عمرنا كله، ولن يمنعني أن أخاطر بوجود مثل هذا الخصم، الذي حطم اثنين من عمالقة عالمنا من قبل.

قال في بطء:

- ولكن أحدًا لم يكشف أمرنا أبدًا، وكل صفقاتنا تتم على خير ما يرام، و...

قاطعته في حزم:

- لن أخاطر.

ثم اندفعت نحوه، وهي تنفث دخان سيجارتها في وجهه، وهي تستطرد:

- أتعلم قيمة الصفقة القادمة يا (أكرم)؟ إنها تتجاوز المليار دولار.. هل تدرك كم يساوي هذا المبلغ بالجنيهات المصرية؟

اعتدل يسألها في هدوء:

- ماذا تعتزمين؟

أجابته في حدة:

- قتله.

ثم اعتدلت بدورها، مردفة في صرامة:

- سأقتل كل من يعترض طريق صفقتي الأخيرة.

غمغم) أكرم) في دهشة:

- الأخيرة؟!

قالت في عصبية:

- نعم.. الأخيرة يا (أكرم).

هب من مقعده، هاتفًا:

- ولكن لا يمكنك التراجع الآن.

صرخت ثائرة:

- سأفعل ما يحلو لي.

سقطت سيجارتها من بين شفتيها، وهي تطلق تلك الصرخة الأخيرة، فسحقتها بقدمها في غضب، وأشعلت سيجارة أخرى، قبل أن تستطرد:

- لقد أقحمتني في هذه اللعبة منذ عشرة أعوام، ولقد سئمت مواجهة الخطر في كل لحظة، وقررت التقاعد.

قال في حدة:

- ومن سيسمح لك؟

قالت غاضبة:

- أتصورت أنني سأطلب رأيك؟

قال في صرامة:

- بل موافقتي.

صرخت:

- من تظن نفسك؟

أشار إلى خزانته، وهو يقول في غلظة:

- أتسألين من أظن نفسي؟ إنني محاميك، والرجل الذي يدير كل العمل عنك، منذ عشر سنوات.. هل ترين هذه الخزانة ذات الأرقام السرية؟ إنها تحوي عددًا من الوثائق، التي تكفي لإلقائك في غياهب السجون، وقتما يحلو لي، وأينما أشاء.

هتفت في غضب:

- أيها الحقير..

استند إلى سطح مكتبه براحتيه، ومال بوجهه نحوها، وقال:

- لا معنى الآن لكلمة الحقير هذه، فكلانا يشترك في الصفة نفسها، ثم إنه ينبغي أن تعلمي أن التقاعد في عملنا هذا مستحيل، فلست وحدك المستفيدة بما نربح، ولكن الجميع يربحون أيضًا، ولن يسمح لك أحدهم بسحب أرباحك دفعة واحدة هكذا.

غمغمت في مرارة:

- اللعنة!

تراجع مبتسمًا، وهو يقول:

- ستشملنا اللعنة جميعًا، ولكنها عندما تبدأ في التهامنا، فستنتقيك أولاً.

تطلعت إليه في بغض واضح، ثم نفثت دخانها في عنف، وقالت:

- ما لم ألتهمك أنا أولاً.

قهقه ضاحكًا، وقال:

- لست أظنك تفعلين.

قالت في حدة:

- ولم لا؟

أجابها ساخرًا:

- لأنك في هذه الحالة ستخسرين كل شيء، فكما يقولون في الأفلام السينمائية: لقد وضعت نظامًا يضمن وصول هذه الأوراق والوثائق إلى أيدي الشرطة، إذا ما لقيت مصرعي على نحو غير طبيعي.

احتقن وجهها، وهي تقول:

- أيها الوغد!!

ارتفع في تلك اللحظة صوت سكرتيرة (أكرم)، من جهاز الاتصال الداخلي، وهي تقول:

- هناك رجل يطلب مقابلتك، ومقابلة السيدة (جيلان) يا سيدي.

سألها في اهتمام:

- وما اسمه؟

ارتجفت (جيلان)، عندما أجابت السكرتيرة:

- اسمه (نديم).. (نديم فوزي).

• • •

الإمبراطورة

13- كشف الأوراق..

ساد الصمت التام، داخل حجرة مكتب (أكرم)، وشحب وجه (جيلان) في شدة، واحتبس دخان سيجارتها في حلقها، ثم لم تلبث أن سعلت، وهي تقول:

- ما الذي جاء به؟

هز (أكرم) رأسه، وقال:

- لست أدري.

ثم ضغط زر جهاز الاتصال الداخلي، وقال لسكرتيرته:

- دعيه يدخل.

هتفت به (جيلان):

- هل ستسمح له بالدخول؟

قال في حزم:

- سيقتلني الفضول؛ لمعرفة ما الذي جاء من أجله، لو أنه انصرف دون أن ألتقي به.

أطفأت سيجارتها في عصبية، وراحت تتطلع إلى الباب متوترة، حتى عبره (نديم)، فقالت في حدة:

- ماذا تريد؟

اتجه (نديم) في هدوء إلى مقعد قريب، وجلس واضعًا إحدى ساقيه فوق الأخرى، وقال:

- كم تبدو لي هذه المقابلة شديدة الجفاف، بعد أن قضيت ليلتي أطالع كل ورقة أمكنني الحصول عليها بشأنك.

قالت في عصبية:

- بشأني أنا؟!

أما (أكرم)، فقد سأله في هدوء:

- وفي أية شخصية فعلت هذا؟ في شخصية (نديم)، أم (العقرب)؟

هز (نديم) كتفيه، وقال:

- أظن هذا يناسب (نديم) أكثر.

قالت (جيلان) في حدة:

- ولماذا يطالع (نديم فوزي) المحامي التافه أوراقي.

اعتدل (نديم) فجأة، وقال:

- كان هناك أمر يثير حيرته في شدة.

تبادل (أكرم) و(جيلان) نظرة متوترة، ثم سأله (أكرم):

- أمازلت تبحث عما يثبت أن (جيلان) هي نفسها (فوقية)؟

لوح (نديم) بسبابته، قائلاً في هدوء:

- مطلقًا.

ثم رمق (جيلان) بنظرة باردة، مستطردًا:

- وإن كنت أعلم الصلة التي تربطهما.

اندفعت (جيلان) تقول في عصبية:

- لن يمكنك إثبات هذا.

تألقت ابتسامة ظافرة في عيني (نديم)، لم تفصح عنها شفتاه؛ مما جعل (أكرم) يهتف بـ (جيلان):

- اصمتي.

ثم التفتت إلى (نديم)، وسألته:

- أي شأن أقلقك إذن؟

استرخى (نديم) في مقعده، وهو يقول في هدوء:

- أمر خاص بمساحيق التجميل.

شحب وجه (جيلان) في شدة، على نحو أقنع (نديم) بأنه قد أصاب الهدف بالفعل، ثم أشعلت سيجارتها في عصبية، دون أن تنبس ببنت شفة وفي حين تطلع (أكرم) إلى (نديم) طويلاً، وكأنما يحاول سبر غوره، ثم لم يلبث أن قال:

- وماذا بشأن مساحيق التجميل؟

أخرج (نديم) من جيبه ورقة، راح يقرأ ما بها، قائلاً:

- لقد راجعت كل الأرقام الخاصة بعملكما في هذا المجال، فوجدت ما يدهش حقًا، فلقد استوردتما، في السنوات العشر الأخيرة، كمية هائلة من أدوات ومساحيق التجميل، من مصنع (جيلان) في (تركيا)، وعلى الرغم من كثرة المبيعات، وسداد الضرائب المستحقة عليها، إلا أن الفارق بين حجم المستورد والمبيع ضخم، بما يكفي لأن يكون لديكما عشرة مخازن هائلة، لما لم يتم بيعه بعد.

ثم أزاح الورقة جانبًا، وهو يستطرد:

- فما تفسير هذا؟

تضاعفت عصبية (جيلان)، في حين سأله (أكرم) في بطء وحذر:

- ما رأيك أنت؟

نهض (نديم)، وهو يعيد الورقة إلى جيبه، قائلاً:

- رأيي أن كمية ضخمة من المساحيق المستوردة لم يتم بيعها على نحو طبيعي، ولا حتى عبر منافذ البيع المألوفة.

سأله (أكرم)، بنفس البطء والحذر:

- لماذا؟

قال (نديم):

- بسبب ما تحويه.

ثم هب من مقعده بغتة، على نحو أفزع (جيلان)، وأمسك حافة مكتب (أكرم) في قوة، مستطردا في صرامة:

- المخدرات!

وعلى الرغم منه، انتفض جسد (أكرم) انتفاضة خفيفة، وهو يردد:

- مخدرات؟!

مضت لحظة، قبل أن يتمكن من السيطرة على أعصابه، ويبتسم ابتسامة باهتة، قائلاً في خفوت:

- أي هزل هذا يا سيد (نديم)؟

اعتدل (نديم)، وقال:

- أتراه كذلك؟

ثم اتجه نحو الباب، مستطرداً:

- سنلتقي إذن في قاعة المحكمة.

وبسرعة غادر الحجرة، وأغلق بابها خلفه في قوة، فحدقت (جيلان) في الباب في ذعر قبل أن تندفع نحو (أكرم)، هاتفة:

- إنه يعلم كل شيء.

صاح بها في خشونة:

- اصمتي.

ونهض من خلف مكتبه، وراح يحك ذقنه بيده في توتر، قبل أن يقول:

- من المستحيل أن يكون لديه أية أدلة، وإلا فما جاء إلى هنا، بل سيذهب مباشرة إلى الشرطة.

هتفت (جيلان):

- قلت لك إنه يعلم كل شيء.

واصل وكأنه لا يشعر بوجودها:

- أو ربما يحاول استفزازنا؛ للحصول على معلومة ما.

أمسكت (جيلان) كفه في قوة، وقالت:

- اسمع يا (أكرم).. من المحتم أن نعمل على إلغاء صفقة الغد، حتى لا نخسر كل شيء.

دفعها بعيدًا في خشونة، وهو يقول:

- هل جننت؟ لقد وضعنا ثروتنا كلها في هذه الصفقة، ولا يوجد ما يمكن أن يتسبب في فشلها؛ فكل شيء سيسير كالمعتاد.. ستصل الشحنة إلى ميناء (الإسكندرية)، ويتم فحص العينات، ولقد اتخذت التدابير اللازمة لمرور ذلك دون مشاكل، وبعدها سيتم الإفراج عن الشحنة، ويتسلم تجار (مصر) حصصهم، ونربح نحن ملياري دولار.

قالت في انهيار:

- وماذا لو تسبب ذلك الرجل في كشف أمرنا هذه المرة؟

دار حول مكتبه، وهو يقول في توتر:

- لن نمنحه الفرصة لهذا.

ألقى نفسه على مقعد مواجه لمكتبه، مستطردًا:

- سنحاول منعه، و....

أطلق شهقة مباغتة، بترت حديثه، وجعلت (جيلان) تهتف في فزع:

- ماذا حدث؟

أشار إليها بالصمت، وهو يقفز نحو المكتب، وينحني ليفحص أسفل حافته، فكتمت توترها، ومالت نحو النقطة التي يفحصها، واتسعت عيناها في ذعر، عندما وقع بصرها على جهاز الناقل الصوتي الصغير، المثبت أسفل الحافة..

وفي توتر انتزع (أكرم) الجهاز، وأسرع نحو خزانته، وألقاه داخلها، ثم قال في حدة:

- هل رأيت هذا؟ لقد وضعه ذلك (العقرب) حتمًا.

هتفت به في ذعر:

- لقد استمع إلى حديثنا كله، وعلم ما نحن بصدده.

قال في شراسة:

- لم يعد هناك مجال للتراجع، لا يمكننا أن نترك (العقرب) وزميلته على قيد الحياة.

واعتدل مستطردًا في حزم:

- لابد من التخلص منهما.. الليلة..

• • •

« لقد كشفا وجود الجهاز».

قالتها (غادة) في قلق، إلا أن (نديم) لم يبد اهتمامًا بهذا، وهو يقول:

- فليكن.. لن يمكنهم التراجع الآن، فالصفقة – كما سمعنا – ستتم غدًا، وإبلاغ شرطة مكافحة المخدرات يكفي لإفسادها.

سألته في اهتمام:

- هل نتصل بهم؟

أجابها في هدوء:

- ليس الآن، فلقد أدركت (جيلان) أننا قد علمنا بخطتها، والأرجح أنها قد تعمد إلى مغادرة البلاد، قبل وصول الصفقة، ومن الضروري أن نمنعها من ذلك أولاً.

سألته:

- وماذا نفعل؟

سمعا من خلفهما صوت (جيلان) تقول:

- هل أخبرك أنا؟

التفتا إليها في حركة حادة، ورأياها تقف على باب المكتب، وحولها أربعة رجال، يصوبون إليهما مسدساتهم القوية، وهي تستطرد:

- يمكنكما أن تستسلما لي.

قال (نديم) في هدوء:

- ترى أين نحن؟ في (شيكاغو)؟

قالت (جيلان) في ظفر:

- سل نفسك هذا السؤال عندما ترتدي زي (العقرب).

سألتها (غادة) محنقة:

- كيف وصلت بهذه السرعة؟

ابتسمت (جيلان)، وهي تقول:

- يمكنك القول إنني أجيد التحرك في سرعة، ثم إن مكتبكما ومكتب (أكرم) يقعان في شارع واحد.. أليس كذلك؟

واتجهت نحو مقعد قريب، وجلست فوقه تشعل سيجارتها، وتنفث دخانها، قائلة:

- لقد كشف الجميع أوراقهم، فأنا أعلم الآن أنك (العقرب)، وأنت تعلم طبيعة عملي.

قال (نديم):

- وطبيعة شخصيتك.

مطت شفتيها، وقالت:

- لست أظن هذا.

وتنهدت في عمق، ثم أدارت عينيها إلى (غادة)، قائلة:

- هل تعلمين من أنا؟

أجابتها (غادة):

- كنت أتصور هذا، ولكنني كنت مخطئة.

نفثت (جيلان) دخان سيجارتها في عمق، وقالت:

- إنني لست (فوقية).

غمغمت (غادة) في فضول:

- من أنت إذن؟

نهضت (جيلان) في صمت، واتجهت نحو نافذة المكتب، ونفثت دخان السيجارة مرة أخرى، قبل أن تقول:

- إنني شقيقتها.

بدا هذا الجواب مناسبًا لكل ما سبقه من غموض، بشأن شخصية (جيلان)، التي تابعت في شيء من الحزن:

- كانت صلتي بـ (فوقية) ضعيفة منذ البداية، فلقد انفصل أبونا عن أمنا، ونحن بعد رضيعين، وكانت هي من نصيب أبي، وبقيت أنا في كنف أمي.

تنهدت، قبل أن تستطرد:

- لم نلتقِ أبداً، حتى تزوجت أنا ذلك التركي، وسافرت معه إلى (إسطنبول)، ثم توفي هو، وعدت أنا إلى (مصر)؛ لأعلم بأمر مصرعها، من محاميها (أكرم).

امتلأت كلماتها بالبغض، وهي تتابع:

أخبرني (أكرم) أنها قد تركت لي كل ثروتها، وتبلغ خمسة ملايين دولار، وأخبرني حقيقة عملها، ثم راح يوسوس لي بالعمل في مجال تهريب المخدرات والاتجار به، ويغريني بأرباحها الضخمة، حتى وقعت في براثنه، وبدأ هذا العمل البغيض.

ساد الصمت لحظة، ثم قالت (غادة) في سخرية:

- يا لها من قصة مؤثرة!

حدجتها (جيلان) بنظرة صارمة غاضبة، ثم قالت:

- من حسن حظك أنك لن تستمعي إليها طويلاً.

ثم التفتت إلى رجالها، قائلة:

- هيا.. تخلصوا منهما.

وارتفعت فوهات المسدسات نحو (نديم) و(غادة)، فهتف (نديم):

- هل ستنتقلين من خانة تجار المخدرات إلى خانة القتلة؟

هزت (جيلان) كتفيها، وقالت:

- للضرورة أحكام.

ثم التقطت حقيبتها، واتجهت نحو الخارج، مستطردة:

- اقتلوهما بعد انصرافي يا رجال، فأنا أكره رؤية الدماء.

قالت (غادة) متهكمة:

- يا لرقة طباعك!

منحتها (جيلان) ابتسامة صفراء، ثم غادرت المكان، وأغلقت الباب خلفها..

وجذب الرجال إبرات مسدساتهم، و...

حانت لحظة الموت..

• • •

14- خطة الأفعى..

ابتسم الرائد (حسن)، وهو يسأل العقيد (مجدي)، الذي يجلس شاردًا إلى جواره، داخل سيارته، المتوقفة على بعد أمتار من مدخل البناية، التي يحتل مكتب (نديم) إحدى شققها:

- لماذا تبدو قلقًا هكذا يا سيدي؟

التفت إليه (مجدي) في شرود، ثم قال:

- إنني أتساءل عما يحدث هنا!

سأله في حيرة:

- وماذا يحدث؟

مضت لحظة من الصمت، ثم قال (مجدي):

- المفروض أننا نراقب (نديم)؛ حتى لا يتحول خلسة إلى (العقرب)، كما فعل ليلة أمس.

قال (حسن)، وقد ازدادت حيرته:

ومن الواضح أنه لم يفعل.

هز (مجدي) رأسه، وقال:

- أعلم ذلك، ولكن ألم يدهشك أن يذهب (نديم) إلى مكتب (أكرم)، ثم يعود، فتلحق به (جيلان)، مع أربعة رجال أشداء، يثير مظهرهم الشك، وبعدها تنصرف وحدها، عائدة إلى مكتب (أكرم).. ما الذي يعنيه هذا في رأيك؟

غمغم (حسن):

- لست أدري.

زفر (مجدي) في توتر، وقال:

- ولا أنا..

ثم أضاف في حدة:

- دعنا ننتظر إذن، حتى ندرك ما يعنيه هذا.

وكان من الواضح أنه لا يشعر بالارتياح..

قط..

• • •

رفع الرجال الأربعة فوهات مسدساتهم في وجهي (نديم) و(غادة)، فتنهدت (غادة)،

وقالت في أسف:

- يبدو أنها النهاية يا (نديم).

خيل إليها أن ابتسامة كبيرة تملأ عينيه، وهو يقول:

- لا.. ليس بعد.

لم يكد يتم عبارته، حتى ارتفع من خلف الرجال الأربعة صوت صارم، يقول:

- ألقوا أسلحتكم أيها السادة، وإلا أطلقت النار على رءوسكم.

تجمد الرجال الأربعة في أماكنهم، وقال (نديم) في هدوء:

- لم تتوقعوا وجود خط دفاع ثانٍ، أليس كذلك؟

أما (غادة)، فقد حدقت في وجه صاحب الصوت، وهتفت في دهشة:

- أنت؟

لكن (نديم) التقط حقيبتها في سرعة، واختطف منها مسدسها، وصوبه إلى الرجال الأربعة، قائلاً:

- هيا أيها الأطفال الأربعة.. ألقوا أسلحتكم.

ألقى الرجال الأربعة أسلحتهم في حنق، فأطلقت (غادة) ضحكة مجلجلة، وهتفت:

- خدعة رائعة يا عم (أحمد).

التفت الرجال الأربعة إلى صاحب الصوت، الذي أجبرهم على إلقاء أسلحتهم، وتفجر الغيظ والغضب في أعماقهم، عندما وقعت أبصارهم على عم (أحمد) العجوز، الذي غمغم في خفوت:

- ما كنت لأسمح لهم بقتلكما يا سيدتي.

راح الرجال الأربعة يسبون ساخطين، و(غادة) تطلق ضحكة أخرى، قائلة:

- رائع يا عم (أحمد)!! رائع!! لقد فعلتها بجرأة مدهشة، وأنت لا تحمل سلاحًا.

قال (نديم) في حزم:

- لا داعي للحديث الطويل.. هيا.. سنقيد هؤلاء الأربعة.

سأله عم (أحمد):

- هل نبلغ الشرطة؟

هز رأسه نفيًا، وقال:

- ليس بعد، إن (جيلان) تتوقع أنهم قد نجحوا في قتلنا، ومن الأفضل أن تبقى على ثقتها في هذا فترة، سنحتفظ نحن خلالها بهؤلاء، و...

قاطعه صوت حاد:

- في هذه الحالة سترتكب مخالفة قانونية يا عزيزي (نديم).

كان صاحب الصوت هو (مجدي)، الذي اندفع إلى الداخل، مستطردًا في ظفر:

- كما تفعل الآن، وأنت تحمل سلاحًا دون ترخيص.

التقطت (غادة) المسدس بسرعة من يد (نديم)، وهي تقول:

- خطأ يا عزيزي (مجدي).. إنني أنا التي تحمل السلاح، ولديَّ ترخيص بحمله.

عقد (مجدي) حاجبيه لحظة، ثم لوح بكفه، قائلاً:

- حسنًا.. لن أتشبث بنقطة سأعجز حتمًا عن إثباتها.

والتفت إلى الرائد (حسن) مستطردًا:

- صوب أنت مسدسك إلى هؤلاء الرجال الأربعة يا (حسن)، وسأتحدث أنا مع (غادة) و(العقرب).. أقصد (نديم).

اتخذ مقعدًا أمام (نديم)، وقال:

- حسنًا.. إنني أنتظر تفسيرًا لهذا.

تبادل (نديم) و(غادة) نظرة طويلة، ثم جلس (نديم) أمام (مجدي)، وقال في هدوء شديد:

- لا بأس يا عزيزي (مجدي).. إنني رجل لا يحمل أحقادًا لأحد، ما دام هدفنا هو تحقيق العدالة، فسأبدل أسلوبي هذه المرة، وأكشف لك كل أوراق (جيلان شوكت)، استمع إليَّ.

وراح يروي له كل ما يتعلق بـ (جيلان)..

دون ذكر (العقرب)..

• • •

تطلع (أكرم) في دهشة إلى (جيلان)، وهي تدلف إلى مكتبه، وعلى شفتيها ابتسامة غامضة عجيبة، وسألها في حيرة:

- لماذا عدت؟

أشعلت سيجارتها في هدوء، وقالت:

- لقد تخلصت من (العقرب) وزميلته.

عاد يسألها في ريبة:

- ولماذا عدت؟

التقطت نفسًا طويلاً من سيجارتها، ثم نفثته في هدوء، وقالت:

- هناك تغيرات جذرية في الخطة.

عقد حاجبيه وهو يقول في حدة:

- (جيلان).. الأمر لا يحتمل أية حماقات.

قالت في حزم:

- قلت لك إنها تغيرات جذرية.

زفر في توتر، وقال:

- حسنًا يا (جيلان).. هاتي ما لديك.

هزت رأسها نفيًا، وقالت:

- ليس قبل أن تصرف كل العاملين بمكتبك، فالأمر يحتاج إلى بقائنا وحدنا تمامًا.

تطلع إليها في شك، قبل أن يسألها:

- ماذا وراءك يا (جيلان)؟

قالت في صرامة:

- اصرفهم أولاً.

مضت لحظة من الصمت، وهو يتطلع إليها في حذر، قبل أن يضغط زر الاتصال الداخلي، ويقول لسكرتيرته:

- مري الجميع بالانصراف، وانصرفي أنت أيضًا، فسأبقى وحدي مع السيدة (جيلان).

عاد يجلس في مقعده، ويتطلع إلى (جيلان) في حذر، ولم ترقَ له ابتسامتها أبدًا، وهي تقول:

- هذا أفضل.

ساد بينهما الصمت تمامًا، حتى انصرف الجميع من المكتب، ثم سألها (أكرم) في عصبية مفرطة:

- والآن ماذا لديك يا (جيلان)؟

تراجع في مقعده في حدة، عندما أخرجت من حقيبتها مسدسًا، صوبته إليه، دون أن

تفقد ابتسامتها الغامضة، فهتف:

- ما هذا يا (جيلان)؟

أجابته باسمة:

- مسدس يا عزيزي (أكرم).. ألا تعرف ما هو المسدس؟ إنه سلاح صغير يسهل حمله، ويحتوي على خزانة بها عدة رصاصات، تكفي واحدة منها لاختراق جمجمة رجل بالغ، وقتله في لحظة واحدة.

غمغم في صوت متحشرج:

- (جيلان).. إنك لا تدركين ما تفعلينه.

هزت كتفيها قائلة:

- على العكس يا عزيزي (أكرم).. إنني أدرك كل خطوة أقوم بها، وربما لأول مرة في حياتي.

ارتجف وهو يشير إلى خزانته:

- هل نسيت الأوراق والوثائق، و...؟

قاطعته في هدوء:

- لا.. لم أنسَ شيئًا يا (أكرم).. سأقتلك أولاً، ثم آخذ كل الأوراق والوثائق، وأنصرف.

قال في حدة:

- لن يمكنك فتح الخزانة، فذلك يحتاج إلى معرفة أرقام فتحها السرية.

قالت مبتسمة:

- إنني أعرفها.

تراجع وعيناه تتسعان في دهشة، وهتف:

- مستحيل!

ثم أضاف في عصبية:

- إنها خدعة ولا شك، فلا أحد، حتى سكرتيرتي الخاصة يعلم أرقام خزانتي السرية.

ابتسمت قائلة:

- ولكنك فتحت الخزانة أمامي منذ ساعات؛ لتلقي داخلها ذلك الناقل الصوتي الصغير، ولحظتها راقبتك في دقة، وحفظت أرقام فتح الخزانة.

شحب وجهه، وهو يقول:

- أنت كاذبة مخادعة.

ابتسمت في سخرية، قائلة:

- حقًا؟

ثم اتجهت إلى الخزانة، وضغطت أرقامها السرية في سرعة، ثم فتحتها في رشاقة، وهي تقول:

- هل يقنعك هذا؟

ندت منه حركة حادة، وكأنما سينقض عليها، إلا أنها لوحت بمسدسها في وجهه في حزم، فعاد يستقر على مقعده، ويقول في توتر:

- حسنًا يا (جيلان).. خذي كل الأوراق.. لن أعترض.

قالت متهكمة:

- وهل تملك الاعتراض؟

انتزعت مظروفًا كبيرًا من خزانته، وفتحته لتلقي نظرة على محتوياته، ثم ابتسمت قائلة في ارتياح:

- شكرًا لأسلوبك المنظم يا (أكرم).. كل الأوراق هنا بالفعل.

طوت المظروف، ودسته في حقيبتها، ثم التقطت رزم الأوراق المالية من الخزانة وألقتها أرضًا، وهي تقول:

- هل تسعدك رؤية كل هذه الأموال عند قدميك، قبل أن تلقى حتفك يا عزيزي (أكرم)

جفف (أكرم) عرقه الغزير، وهو يقول في لهجة أقرب إلى الضراعة:

- (جيلان).. لماذا يا (جيلان)؟ لقد كنت خير عون لك، طيلة كل هذه الأعوام، و...

صرخت به:

- اخرس.

ابتلع باقي كلماته في هلع، في حين استطردت هي في غضب:

- إنك أنت الذي دفعت بي إلى كل هذا.. أنت سبب كل ما حدث ويحدث.

هتف منهارًا:

- لقد صنعت منك إمبراطورة.

صاحت في مرارة:

- إمبراطورة إجرام.

ورفعت مسدسها في وجهه، مستطردة في شراسة:

- ستدفع الثمن يا (أكرم).. ستدفع الثمن حياتك.

بكى وهو يهتف:

- ولكن هذا سيقضي عليك أيضًا، فلقد اتخذت ما يلزم ؛ لتسليم نسخة من الأوراق والوثائق إلى...

قاطعته في حدة:

- أنا أيضًا اتخذت ما يلزم، فلقد حجزت تذكرة طائرة إلى (أوروبا)، سأنطلق بها فور الإفراج عن الشحنة غدًا، وتسليمها إلى التجار، وسيتم تحويل كل ثروتي إلى بنك في (سويسرا)، قبل أن يتم كشف جثتك، مع ملاحظة أن مكتبك يغلق أبوابه غدًا، في إجازته الأسبوعية، أي أن لديّ يومين كاملين، قبل أن يبدأ رجال الشرطة عملهم، وقبل انتهاء هذه الفترة، سأكون في (باريس)، أحمل اسمًا وهوية جديدين، وأنعم بثروة هائلة، لن تنضب مدى حياتي.

أدرك أنها قد أعدت لكل شيء عدته، فقال منهارًا:

- متى فعلت كل هذا؟

أجابته في زهو:

- إنني أعد له منذ أسبوع يا عزيزي، ولكنني لم أكن أعلم أنك تمتلك بعض الوثائق ضدي، إلا منذ ساعات؛ مما استلزم إجراء تعديل جوهري في خطتي.

غمغم:

- ولكن البكاء والانهيار هنا، و...

قالت في حدة:

- مظهر من مظاهر الضعف الأنثوي.. إنني أنثى يا عزيزي (أكرم).. أليس كذلك؟

وفي هدوء رفعت فوهة مسدسها إلى رأسه، فبكى هاتفًا:

- الرحمة!!

قالت في برود:

- الوداع.

وأطلقت النار..

• • •

الإمبراطـــورة

15- لعبة العقـارب..

هز (مجدي) رأسه في عنف وكأنما يحاول إقناع نفسه بما قصه عليه (نديم)، قبل أن يهتف في وجه هذا الأخير:

- إذن فأنت تصر على أن (جيلان شوكت) مهربة مخدرات، وأنها تحضر المخدرات إلى (مصر) داخل علب مستحضرات التجميل، التي تستوردها من (إسطنبول).

أكمل (نديم) في هدوء:

- وأنها تنتظر إتمام أضخم صفقاتها غداً.

هز (مجدي) رأسه مرة أخرى وهتف:

- مريع!!

ثم استعاد لهجته الصارمة الجافة، وهو يستطرد:

- هل يفترض أن أصدق هذا؟

قال (نديم):

- لو أردت.

شملهما الصمت لحظة، وكلاهما يتطلع إلى الآخر، ثم التقط (مجدي) سماعة الهاتف في حركة حادة، وأدار القرص في عصبية، وانتظر حتى سمع صوت محدثه على الطرف الآخر، وقال في توتر ملحوظ:

- إنه أنا يا سيدي.. العقيد (مجدي).. لديَّ معلومات، من مصدر موثوق به، تؤكد أن شحنة أدوات التجميل، التي ستصل من (إسطنبول) غداً، لحساب (جيلان شوكت)، تحوي مخدرات مهربة.. نعم يا سيدي.. المصدر موثوق به للغاية.

ورفع عينيه يلقي نظرة على (نديم)، ثم أضاف في عصبية:

- لا يا سيدي.. ليست هناك أدلة مادية.

انتهى الاتصال بعد تبادل عبارات روتينية سريعة، ثم قال (مجدي) لـ (نديم) في حزم:

- يمكنك اعتبار صفقة (جيلان) في خبر كان.

قالت (غادة) على الفور:

- وماذا عن (جيلان) نفسها؟

هز (مجدي) رأسه في حدة، وقال:

- أنت تعرفين القانون.. إنها بريئة، حتى تثبت إدانتها، ومادمنا لم نثبت وجود المخدرات في شحنة أدوات التجميل، و...

قاطعه (نديم):

- حتى لو حدث هذا، فقد تعجز عن إثبات تورط (جيلان) في الأمر؛ إذ لن يدهشني أن تكون الصفقة باسم شخص آخر، بل قد تجد لدى (جيلان) حفنة من الشهود، يؤكدون أن علاقتها بالشحنة لا تتعدى التمويل فقط، و...

قاطعه (مجدي) في عصبية:

- ماذا تقصد باختصار؟

اتجه (نديم) إلى مكتبه في هدوء، وجلس خلفه، وهو يقول:

- أقصد أن القانون قد يعجز عن الإيقاع بـ (جيلان شوكت).

أدرك (مجدي) مقصده، فقال في حدة:

- في حين لن يعجز (العقرب).. أليس كذلك؟

هز (نديم) كتفيه، وقال:

- لم أقل هذا.

فتح (مجدي) فمه؛ لينطق بشيء ما؛ إلا أنه لم يلبث أن أطبق شفتيه، وبدا في صمته وكأن صراعًا رهيبًا يدور في أعماقه، ما بين واجبه ومشاعره، قبل أن يشيح بوجهه قائلاً في صوت مختنق:

- إنني أمثل القانون وحده.

ثم التفت إلى (حسن)، وصرخ وكأنما يفرغ فيضان مشاعره:

- وأنت.. خذ هؤلاء الأوغاد إلى قسم الشرطة، واطلب التحفظ عليهم، حتى ينتهي أمر (جيلان) هذه.

وفي توتر التفت إلى (نديم)، وأضاف:

- هل سمعتني يا سيد (نديم)؟ القانون فقط.

واندفع يغادر المكان كالعاصفة..

• • •

شحب وجه (جيلان)، وكادت قبضتها تعتصر سماعة الهاتف، وهي تقول في رعب:

- ماذا تقول؟ لديهم أمر بفحص الشحنة!

خفق قلبها في عنف، وهي تتابع:

- ماذا؟! بلاغ بوجود شحنة مخدرات داخل المساحيق!

أخذت ترتجف في عنف، وخيل إليها أنها ستفقد وعيها، وهي تعيد سماعة الهاتف، مغمغمة:

- مستحيل!!

ألقت جسدها على مقعد قريب، وزاغ بصرها في ارتياع، وهي تردد:

- كيف كشفوا أمر الصفقة؟ كيف؟

بدا عقلها مشتتًا متوترًا، وعجز فكرها المرتبك عن التفكير، فصرخت:

- ماذا أفعل؟

وكرد فعل أنثوي تقليدي، انفجرت باكية..

بكت في غزارة شديدة، كما لم تبك من قبل..

ثم توقفت دموعها بغتة..

ذهبت الصدمة، وحان وقت التفكير..

وكعادتها أشعلت سيجارتها، وراحت تنفث دخانها في توتر، وهي تقول:

- اللعنة عليك مرتين يا (أكرم).. لقد ورطتني في هذا الأمر، ولست أجدك الآن لاستشارتك في قانونية الفرار منه.

زفرت في توتر، وتابعت:

- حسنًا.. فلتدرس الأمر جيدًا.. حسبما تعلمت من (أكرم)، فلن يمكنهم إلقاء القبض عليّ، أو توجيه أي اتهام لي، إلا بعد وصول الشحنة، وضبط المخدرات.

نهضت من مقعدها، وراحت تفرك كفيها في عصبية، مستطردة:

- هذا يعني إذن أنه أمامي يوم كامل لدراسة الأمر، والتصرف بأقصى سرعة.

التقطت سماعة الهاتف، وأدارت قرصه في توتر، وقالت:

- أنا (جيلان شوكت).. أريد حجز تذكرة طائرة إلى (باريس) الليلة.

بدت شديدة العصبية، وهي تهتف:

- ماذا تعنين بأنه لا توجد طائرات لـ (باريس) الليلة؟ أريد السفر لضرورة قصوى.. ماذا لديك؟ (جنيف).. فليكن.. أريد تذكرة لـ (جنيف).

أنهت الاتصال في حنق، وأسرعت إلى حجرتها، وراحت تجمع كل مجوهراتها وحليها الثمينة في حقيبة واحدة، وهي تقول محنقة:

- أنا (جيلان شوكت).. الإمبراطورة.. تضطرني الظروف للفرار على هذا النحو، واخسر كل ثروتي، فيما عدا تلك المجوهرات، التي لا يتجاوز ثمنها نصف المليون.

أغلقت حقيبتها، وألقت نظرة سريعة على ساعة معصمها، وقالت:

- مازالت أمامي سبع ساعات، قبل موعد إقلاع الطائرة.. ليس من المفضل أن أبقى هنا.. سأذهب إلى.. إلى..

راحت تعمل فكرها في سرعة، ثم هتفت:

- نعم.. سأذهب إلى هناك.

واندفعت تغادر منزلها، وهي تحمل حقيبة المجوهرات..

آخر ما تبقى من إمبراطوريتها..

إمبراطورية الشر..

• • •

ضغط (مجدي) جرس مكتب (أكرم) للمرة العاشرة، قبل أن يقول في عصبية:

- أين ذهب ذلك الوغد؟ بواب البناية يؤكد أنه لم يغادر المكتب، في حين انصرف جميع العاملين فيه، ثم انصرفت بعدهم (جيلان)..

قال الرائد (حسن):

- ربما استسلم للنوم هنا، أو...

قاطعته ضغطة قوية على ذراعه، من أصابع (مجدي)، الذي هتف:

- أو الموت.

كان هذا الخاطر يكفي لأن يستل (مجدي) مسدسه، ويصوبه إلى رتاج مكتب (أكرم)، وهو يبعد (حسن) قائلاً في حزم:

- وهذا هو الأرجح.

أطلق من مسدسه رصاصة، حطمت رتاج الباب، ثم دفع الباب بكتفه، واندفع إلى الداخل، حتى اقتحم حجرة (أكرم)، فأطلق شهقة قوية، وهتف:

- يا إلهي!

أسرع يفحص جثة (أكرم)، قبل أن يقول في انفعال:

- لقد لقي مصرعه.. أحدهم قتله برصاصة مباشرة في رأسه.

هتف (حسن):

- أحدهم؟!

هب (مجدي) واقفًا، وهو يهتف:

- بل هي قتلته.. (جيلان) فعلتها.

وقفز نحو الهاتف، مستطردًا:

- سأطلب اعتقالها على الفور.

وضع (حسن) يده على كف (مجدي)، وهو يقول في قلق:

- لن يمكنك اعتقالها يا سيدي، قبل إثبات إدانتها، فما من وكيل نيابة سيوافق على إلقاء القبض عليها، إلا بعد استجوابها على الأقل.

حدق (مجدي) في وجهه لحظات في صمت ودهشة، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه في غضب، وهو يقول في حدة:

- الإجراءات.. دائمًا هي الإجراءات، التي تعوق كل شيء.

قال (حسن) في خبث:

- ربما لهذا يحاربها رجل مثل (العقرب).

التفت إليه (مجدي) في حدة، ورمقه بنظرة نارية، قبل أن يقول في صرامة:

- هل تؤيده؟

ارتبك (حسن) وغمغم:

- في الواقع.. لست.. ولكن..

قاطعه (مجدي) كعاصفة عاتية:

- (العقرب) رجل يخالف القانون ويتجاهله، ويبني عمله كله على الدوران حول كل الأعراف والنظم، ولا يمكنني أبدًا أن أعتبر مثل هذا الرجل محقًا.

ثم هب من مكانه، مستطردًا في حدة:

- إننا سنربح هذه القضية يا (حسن)، وسننتزعها من بين يدي (العقرب).

وانفجرت الكلمة الأخيرة من حلقه كالقنبلة، عندما أضاف:

- وبالقانون.

• • •

انهمك (هاني)، السكرتير الخاص لـ (جيلان شوكت) في ترتيب بعض أوراقه الخاصة، في صوان ملابسه بمنزله، حتى إنه قد انتفض في قوة، عندما سمع من خلفه صوت هادئ يقول:

- هل تعتزم الرحيل معها؟

التفت (هاني) على مصدر الصوت بحركة حادة عنيفة، ولم يكد بصره يقع على (العقرب)، بزيه الأسود، وقناعه المخيف، حتى تراجع في عنف، فارتطم ظهره بالصوان في قوة، وهو يهتف:

- أنت؟!

أمسك (العقرب) كتف (هاني) في قوة، وهو يقول في برود:

- إنك لم تجب سؤالي.

تأوه (هاني) ألمًا، من قوة القبضة، وهتف:

- ماذا تعني بالرحيل معها؟ إنني باقٍ هنا.

ضغط (العقرب) كتفه في صرامة، أجبرت (هاني) على الجلوس على طرف فراشه، وسأله في نفس البرود المخيف:

- أين يمكنني أن أجد (جيلان) الآن؟

لوح (هاني) بذراعيه في عصبية، وهو يقول:

- ومن أدراني؟ ربما كانت في فيلتها.

قال (نديم):

- إنها ليست هناك.

قال (هاني) في حدة:

- ابحث عنها في إحدى أفرع الشركة إذن.. أو حتى في فيلا (المعمورة)، أو..

بتر عبارته دفعة واحدة، على نحو يوحي بأنه يخفي خلفها شيئًا، فسأله (العقرب) في حزم:

- أو أين؟

قال وهو يشيح بوجهه جانبًا:

- أو أي مكان آخر.

ساد الصمت بينهما لحظة، ثم قال (العقرب):

- هل تعلم أن رئيستك تاجرة مخدرات؟

التفت إليه (هاني) في ذهول حقيقي، وهو يهتف مستنكرًا:

- تاجرة ماذا؟

أجاب (العقرب) في حزم:

- تاجرة مخدرات يا (هاني)، وهي تستورد المخدرات مع مساحيق التجميل، منذ عشر سنوات.

شحب وجه (هاني)، وهو يغمغم:

- يا إلهي!

ولكنه لم يلبث أن استدرك في حدة:

- لا.. أنت تكذب.. أنت مخادع.

سأله (نديم) في هدوء شديد:

- أأبدو لك كذلك؟

التفت (هاني) يتطلع إليه مليًا..

لم يكن يرى من وجه (نديم) سوى عينيه..

فقط عينيه..

ولكن شيئًا ما في أعماق (هاني) جعله يميل إلى التصديق..

أوهو شيء في عيني (نديم)..

المهم أن (هاني) قد أبعد عينيه، وتمتم:

- لا.. لست تبدو كذلك.

بدا الارتياح في صوت (نديم) ونبراته، وهو يسأله:

- أين هي إذن؟

ران الصمت لحظة، ثم قال (هاني):

- هناك منزل سري، استأجرته منذ عامين، ولا أحد يعرفه سواها وأنا.

ثم التقط ورقة صغيرة وقلمًا، واستطرد:

- ها هو ذا عنوانه..

وكتب العنوان..

عنوان (الإمبراطورة)..

• • •

الإمبراطورة

16- قمة السقوط..

تطلعت (جيلان) إلى ساعتها في توتر بالغ، وقالت لنفسها، وهي تفرك كفيها في عصبية:

- أربع ساعات فحسب، وينتهي هذا الكابوس.

انقضت على حقيبتها، وكأنها أنثى نمر شرسة، تنقض على فريستها، وفتحتها في حدة، وراحت تراجع محتوياتها في سرعة، ثم أغلقتها قائلة:

- كل شيء هنا.. المجوهرات.. جواز السفر.. تذكرة الطائرة.. كل شيء.

صمتت وهلة، وهي تعود إلى فرك كفيها، ثم لم تلبث أن هتفت في حنق:

- اللعنة!

ولوحت بذراعيها في سخط، مستطردة:

- لماذا أقف ذلك الموقف اللعين الآن؟ كان يمكنني أن أكتفي بالمائة ألف دولار، التي ورثتها عن زوجي الراحل.. لماذا ورطت نفسي في هذا الأمر؟ لماذا؟

قفز قلبها بين ضلوعها، وكاد يتوقف من شدة المفاجأة والذعر، عندما أتى صوت (العقرب) من خلفها، يقول في برود:

- ألا يبدو لك هذا السؤال متأخرًا أكثر مما ينبغي؟

استدارت بكيانها كله إليه، وحدقت في وجهه بذهول، وهو يجلس هادئًا على المقعد المواجه لها، ولم تكد تتمالك شيئًا من جأشها، حتى صرخت:

- كيف وصلت إلى هنا؟

أجاب في هدوء:

- لديَّ أساليبي.

نزت الدموع من عينيها، وهي تقول:

- اتركني يا (نديم).. اتركني أرحل.. صدقني.. لم أكن أقصد كل ما فعلت.

قال مستنكرًا:

- لم تكوني تقصدين؟! يا له من قول!! وماذا عن آلاف الشبان والأسر الذين دمرت مخدراتك مستقبلهم طوال السنوات العشر الماضية؟

صرخت في انهيار:

- (أكرم) اللعين هو الذي دفعني إلى هذا.. هو الذي زين لي الشر، وقادني إلى الهاوية، دون أن أدرك.

قال في صرامة:

- اسقطي فيها إذن.

تطلعت إليه في رعب، ثم قالت:

- اسمع يا (نديم).. اتركني أرحل، وسأدفع ثمن هذا.

قال في برود:

- حقًا؟

هتفت:

- سأدفع لك مائة ألف جنيه.. بل مائتين.. ربع مليون جنيه لو أردت.

تطلع إليها لحظات في صمت، ثم قال:

- أتظنين أنني رجل يمكن شراؤه بالمال؟

صرخت في عصبية:

- كل البشر يمكن شراؤهم بالمال.. كلهم.. أتظنني لا أعلم لماذا حطمت (نعمان والي) و(صالح عثمان)؟ لقد أردت أن تنفرد بالساحة وحدك.. هذه هي الحقيقة.

وأشارت إلى حقيبتها، هاتفة:

- هل ترى هذه الحقيبة؟ إنها تحوي كمية من المجوهرات، تكفي لإدارة رأس أعتى الرجال.. انظر.

اختطفت حقيبتها في عنف وفتحتها..

وفجأة وجد (العقرب) مسدسها مصوبًا إلى صدره، وهي تقول بضحكة عصبية:

- خسرت هذه المرة أيها المقنع.. أليس كذلك؟

نهض في بطء، وهو يقول:

- أعترف أنني لم أكن أتوقع وجود مسدس في حقيبتك.

أطلقت ضحكة متوترة، وقالت:

- ينبغي أن تتوقع كل شيء، ما دمت تحب لعب دور (زورو) هذا.

قال في هدوء مثير:

- سأتذكر هذه النصيحة.

هتفت به:

- اطمئن.. لن يكون هناك وقت لتتذكر شيئًا.

سألها في بساطة، وكأنها لا تصوب مسدسها إلى صدره:

- أتتصورين أنك ستنجحين في الفرار، بعد كل هذا؟

أجابته في تبجح:

- نعم.. سأنجح، على الرغم من أنف الجميع.. إنني في طريقي الآن لأستقل طائرة (جنيف)، بعد أن أقتلك، ولن يستطيع مخلوق واحد إيقافي، وسأرحل إلى (أوربا)، حيث لن يعثر عليَّ أحد.. إنها مسالة وقت فحسب.

قال في نفس البساطة:

- هناك شرطة دولية.

ضحكت في توتر مرة أخرى، وقالت:

- هذا لو أنني بقيت (جيلان شوكت)، كما أنا الآن.. إنني سأختلف هناك تمامًا.. سأحمل وجهًا جديدًا، و...

قاطعها بغتة:

- لقد كشفوا مقتل (أكرم).

شحب وجهها لحظات، وجف لعابها، حتى إنها عجزت عن النطق لنصف دقيقة كاملة، قبل أن تقول في حدة:

- فليكن، لا مجال لتوجيه الاتهام إليَّ الآن، ولا أحد يعلم أنني سأسافر بعد ساعات قليلة.

قال في برود:

- أنا أعلم.

رفعت مسدسها إلى رأسه، وهي تقول:

- وأنت ستصبح مجرد ماض، بعد لحظة واحدة.

رآها تجذب إبرة مسدسها، قائلة:

- ودائمًا يا سيد (نديم).

وفجأة تحرك (نديم)..

لم تكن قد ضغطت زناد المسدس بعد، عندما مال هو، وانحنى، وانثنى، ثم انقض عليها..

كل هذا في لحظة واحدة..

وشهقت (جيلان) في ذعر، عندما أحاطت أصابع (العقرب) القوية بمعصمها، ورفعت يدها الممسكة بالمسدس عاليًا..

وانطلقت الرصاصة في الهواء..

وصرخت (جيلان)..

وسقط مسدسها أرضًا..

وانهارت الإمبراطورة، وهي تصرخ باكية:

- لا يا (نديم).. اتركني أرحل.. أرجوك.. أقسم لك إنني لن أعود إلى تجارة المخدرات أبدًا.. ولن أخبر مخلوقًا واحدًا بشخصيتك الحقيقية.. أقسم لك.. امنحني فرصة واحدة.

جذبها في صمت وصلابة إلى مقعد ثقيل، وانتزع من جيبه أغلالاً حديدية قوية، وقيدها بها إلى المقعد، وهي تصرخ:

- لا.. اتركني.. خذ كل المجوهرات، واتركني..

انتهى من تقييدها، وتراجع في هدوء، والتقط حقيبتها، وأخرج منها جواز السفر وتذكرة الطائرة، ومزقهما في سرعة، ثم ألقاهما عند قدميها، فصرخت:

- لا.. أرجوك.

ثم انفجرت باكية في انهيار، في حين قال هو في صرامة:

- كما قلت أنت: إنها مسألة وقت فحسب.. ستصل شحنة المخدرات غدًا، وسيصدر وكيل النيابة أمرًا بضبطك وإحضارك، بعد ساعات قليلة، بتهمة قتل (أكرم)، وبعدها بتهمة تهريب المخدرات والاتجار فيها، وأظن أن عقوبتك على التهمتين ستكون الإعدام.

سالت دموع ندمها أنهارًا، وهو يتجه إلى الباب، مستطردًا:

- وعندما يحين الوقت المناسب، سيجدك رجال الشرطة هنا.

توقف وكأنما تذكر أمرًا ما، وعاد إليها؛ ليلصق بمقعدها بطاقة (العقرب) الذهبية، وهو يضيف:

- صدقيني.. لقد فقدت اللقب إلى الأبد.

واتجه مرة أخرى إلى الباب، وقال:

- لقب الإمبراطورة.

وأغلق الباب خلفه في هدوء..

• • •

الإمبراطـورة

17- الختـــام..

ابتسمت (غادة) ابتسامة واسعة، عندما رأت العقيد (مجدي)، وهو يعبر باب المكتب، وهتفت:

- ما أسعد حظنا هذه الأيام!! إنك تزورنا يوميًا تقريبًا يا عزيزي (مجدي).

عقد (مجدي) حاجبيه، وهو يقول:

- لست في حالة تسمح بالعبث هذا النهار.. أين (نديم)؟

أشارت إلى حجرة (نديم)، قائلة:

- في حجرته بالطبع.

اتجه إلى حجرة (نديم)، واقتحمها دون أن يطرق بابها، فرفع (نديم) عينيه إليه، وقال في هدوء، وكأنما لم تدهشه رؤيته:

- مرحبًا يا (مجدي).. تفضل.

اتجه إليه (مجدي)، واتخذ لنفسه مقعدًا، وهو يقول في عصبية:

- لقد أسقط وكيل النيابة التهم عنك.

قال (نديم) في هدوء:

- هذا جيد..

ساد الصمت لحظات، ثم أضاف (مجدي):

- بعد إلقاء القبض على (جيلان)، وثبوت التهم عليها، لم يعد اتهامها لك يعني شيئًا.

قالت (غادة) ساخرة:

- بالتأكيد.

رمقها (مجدي) بنظرة غاضبة، ثم عاد يدير عينيه إلى (نديم) ويقول:

- لقد انتهى الأمر كما يرغب (العقرب).. أليس كذلك؟

أجابه (نديم):

- أظن ذلك.. سأسأله فور رؤيته.

بدا الضيق على وجه (مجدي)، وكأنما لم يعد يحتمل أسلوب المحاورة هذا، ثم رفع عينيه إلى (نديم)، وقال في حزم:

- اسمع يا (نديم).. ربما نختلف أنا و(العقرب) في الأسلوب، فهو يفضل التحرك بحرية، وأنا رجل يحب الالتزام بالقانون، وربما يتصور هو أنه على حق، ولكنني أيضًا أظن نفسي على حق، وأومن بذلك تمامًا، ولن أحيد أبدًا عن أسلوبي، حتى ولو انتصر (العقرب) في كل المعارك.

ابتسمت عينا (نديم)، وهو يقول:

- إنني أحترم دائمًا كل من يصر على مبادئه.

تبادلا نظرة صامتة طويلة، قبل أن ينهض (مجدي) قائلاً:

- وأنا أيضًا.

واتجه نحو باب المكتب، ثم التفت إلى (نديم) مستطردًا في حزم:

- ومن هذا المنطق سأواصل محاولاتي للإيقاع بـ (العقرب)؛ لأنه مازال برأيي رجلاً يعمل ضد القانون.

وانطلق مغادرًا المكتب كقذيفة مدفع، ولم يكد يغلق بابه خلفه، حتى هتفت (غادة):

- يا له من عنيد!

قال (نديم):

- ولكن يخلص لعمله.

سألته في اهتمام:

- قل لي يا (نديم): ترى من منكما على حق؟

صمت لحظات، ثم أجابها في بطء:

- لست أدري حقًا يا (غادة)، فلقد هاجمنا (جيلان)، ونحن نتصور أنها (فوقية)، ثم ثبت أنها لم تكن كذلك.

قالت في عناد:

- ولكنها كانت مجرمة.

هز كتفيه، قائلاً:

- وكان من المحتمل ألا تكون كذلك، وأن يقاتلها (العقرب) بلا مبرر.

قالت مبتسمة:

- فليكن، ولكنني على كل الأحوال أفضل (العقرب).

وتطلعت إليه في حنان، مستطردة:

- خاصة عندما يحمل اسم (نديم).. (نديم فوزي)..

• • •

تمت بحمد الله